بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة الصحيحة على منهاج النبوة

عبدالله عبدالرحمن رحمه الله

باب الاول

العقيدة الصحيحة على منهاج النبوة

العقيدة في اللغة:

العقيدة في اللغة هي المصدر من الفعل اعتقد يعتقد اعتقاداً، أُخذت من العَقد، وهو الشّد والرّبط بقوّة، والإبرام، والإحكام، والتوثق، والتماسك، والإثبات؛ ومنه اليقين والجزم. والعقد نقيض الحل، ويقال: عقده يعقده عقداً، ومنه عقدة اليمين والنكاح والبيع والعهد ونحوهما من المواثيق والعُقود؛ لارتباط كلٍّ من الطرفين بهذا العقد قال الله تبارك وتعالى: **لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ** [المائدة: ٨٩]. وقال الله تبارك و تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ** ﴾ [المائدة: ١]. والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.

العقيدة في الاصطلاح:

هي الأمور التي يجب أن يعتقد و يؤمن بها القلب، وتطمئن إليها النفس؛ حتى تكون يقيناً ثابتاً لا يمازجها ريب، ولا يخالطها شك. أي: الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، ويجب أن يكون مطابقاً للشرع، لا يقبل شكاً ولا ظنا؛ فإن لم يصل العلم إلى درجة اليقين الجازم لا يسمى عقيدة، قال تعالى: **(وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا)**

والعقيدة هي الإيمان الجازم الذي يترتَّب عليه القَصد والقول والعمل بمُقتَضاه.

وإذا كان الاعتقاد غير مُطابق للشرع والحق الثابت ولا يقوم على دليل، واذا كان ليس مأخوذة من الكتاب و السنة فهو ليس عقيدةٌ صحيحة سليمة، وإنّما هو عقيدة فاسدة كاعتقاد الفرق الضالة.

العقيدة الإسلامية: هي الإيمان الرّاسخ الجازم بربوبية الله عز وجل وألوهيته وحاكميته وأسمائه وصفاته.

والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب،وكلّ ما يتفرّع عن هذه الأصول ويلحق بها من أساسيّات الدين، وهذه هي العقيدة الصّحيحة، وقد أطلق عليها بعض السلف اسم عقيدة أهل السُّنة والجماعة، لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده، ولتفريقها عن بعض العقائد الضالّة التي استُحدِثت، وهذه العقيدة

إنّما هي عقيدةٌ مستمدَّةٌ من القرآن و سنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وما أجمع عليه الصحابة والتابعين، والتسليم التام لله عز وجل في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قلبا و قولا و عملا.

العقيدة الصحيحة المأخوذة من القرآن والسنة نقلا لا عقلا، والسليمة خالية من الشرك، العقيدة الصّحيحة هي العقيدة الخالية من البِدع، فالله سبحانه وتعالى قد أنزل شريعةً كاملةً شاملةً تبيّن للنّاس ما يتعلّق بجميع شؤون حياتهم وتشتمل على الاعتقاد والقول والعمل. وعلى منهاج النبوة، مثل ما كان عليه الرسول و اصحابه، كما قال عليه الصلاة والسلام: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة. فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ قال «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي. وهي العقيدة التي يجب التمسك بها والاستقامة عليها والحذر مما خالفها.

وهذه العقيدة الصحيحة التي بعث الله بها رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم، وهي عقيدة الفرقة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله سبحانه.

وأما المنحرفون عن هذه العقيدة والسائرون على ضدها فهم أصناف كثيرة، والفرق الضالة فمنهم من ينسبون انفسهم الى الاسلام و يحسبون انهم مهتدون. كعباد والأوثان والأولياء وقبور الصالحين والأشجار والأحجار وغيرها، كالصوفية و الدراويش فهؤلاء لم يستجيبوا لدعوة الرسل، بل خالفوا وعاندوا كما فعلت قريش وأصناف العرب مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وكانوا يسألون معبوداتهم قضاء الحاجات، وشفاء المرضى، والنصر على الأعداء، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، فلما أنكر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وأمرهم بإخلاص العبادة قالوا : **هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ** [يونس:١٨]، **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** [الزمر:٣] كما يقولون المشركون في زماننا.

أولذين يحرفون الكلم عن مواضعه، يخرجون الاعمال من الإيمان، يقولون بأفواههم ولا يعملون الصالحات بل يعملون الطالحات كما قال الله عز وجل (يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)

هؤلاء فعلوا ما فعلت اليهود، غيّروا حكم الله بالقوانين الوضعية ويقولون آمنا بأفواههم وهم ليسوا بمؤمنين كما قال الله عز وجل **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ**

آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ) وهم مثل المرجئة والاحزاب ما يسمى بالإسلامية السياسة، أخذوا ما يريدون من الدين و تركوا ما لا يريدون، يحكمون ببعض أحكام الشريعة كالنكاح والطلاق والميراث، و ويتركون ما لا يريدون كالقصاص والمعاملات لكي يرضون طواغيتهم و يرضون اليهود والنصارى، وقال الله عز وجل: وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ. البقرة ١٢٠

ومن العقائد المضادة للعقيدة الاسلامية الصحيحة كالفرق الضالة الذين يوالّون الطواغيت (عقيدة عدم الكفر بالطاغوت) و التحاكم الى القوانين الوضعية. وفي باب الأسماء والصفات عقائد أهل البدع: من الجهمية، والمعتزلة، ومن سلك سبيلهم في نفي صفات الله عز وجل، وتعطيله سبحانه من صفات الكمال، ووصفه عز وجل بصفة المعدومات والجمادات والمستحيلات، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، ويدخل في ذلك من نفى بعض الصفات وأثبت بعضها، كالأشاعرة، فإنه يلزمهم فيما أثبتوه من الصفات نظير ما فروا منه من الصفات التي نفوها، وتأولوا أدلتها، فخالفوا بذلك الأدلة الشرعية، وتناقضوا في ذلك تناقضا بينا، و في باب الايمان عقائد أهل البدع من الخوارج و المرجئة، ومن سلام سبيلهم من الاشعرية و باقي فرق الضالة.

مفهوم العقيدة الفاسدة

هي العقيدة التي تخالف العقيدة الصّحيحة عقيدة اهل السنة والجماعة التي أمر بها الله عز وجل في جوانب كثيرة، ومن أبرز ملامح العقيدة الفاسدة نذكر:

١) أنّها عقيدة ناقصة لا تتضمّن التّوحيد الكامل لله تعالى، فعقيدة أهل الجاهلية على سبيل المثال هي عقيدة فاسدة، فقد كانوا يؤمنون بأنّ الله تعالى هو الرازق المدبّر الخالق، بمعنى أنّهم موحِّدين لله تعالى توحيد ربوبيّة فقط، بينما كانوا يعبدون الأصنام لتقرّبهم إلى الله تعالى، وهذا ينافي توحيد الألوهيّة، وهكذا في يومنا هذا من الناس موحدين لله تعالى في توحيد الربوبة، ولكن يتوسلون و يطلبون المدد من قبور الصالحين، وانها عقيدة تُبنى على البدع، مثل اعتقاد العصمة لأحدٍ من البشر او التوسّل بقبورالصّالحين والتبرّك بها اعتقاداً بأنّها سوف تضرّ أو تنفع، وذلك ينافي عقيدة المسلم الصحيحة المبنية على الإيمان بأنّ الله وحده سبحانه هو من يملك النّفع والضّر للعالمين.

٢) أنّها عقيدة تتضمّن معتقدات باطلة تتعارض مع ما جاءت به العقيدة الصّحيحة المستمدّة من القرآن الكريم والسنّة النبويّة المطهّرة، ومن تلك المعتقدات الباطلة عدم كفر بالطاغوت او يسمون الطواغيت بولاة الامور، أو دخول البرلمانات و الحكومات الطاغوتية والحكم بغير ما أنزل الله، او موالاة الكافرين ومظاهرتهم على الموحدين، أو دخول التحالفات الكفرية ضد الطائفة الناجية المنصورة.... أو تأويل صفات الله تعالى التي ذُكرت في القرآن الكريم، مثل تأويل صفة الاستواء على العرش تأويلاً خاطئاً، والأصل الإيمان بهذه الصّفات كما قال السّلف من غير تكييف أو تشبيه أو تمثيل أو تعطيل أو تحريف.

٣) أنّها عقيدة تُبنى على النواقض، من الذين ينسبون انفسهم الى الاسلام ولكن واقعين في احد من نواقض الاسلام كترك الصلاة أو موالاة الكفار أو الانضمام الى الفرق الضالة أو الكراهية حكم من احكام الله أو سنة من سنن الرسول، او كراهية بانتصار المسلمين المتعاونين على اقامة حكم الله على أرض الواقع الذين يقاتلون في سبيل الله و نحو ذلك من نواقض الاسلام، وذلك ينافي عقيدة المسلم الصحيحة المبنية على التوحيد و نصرة الدين.

العلاقة بين التوحيد والعقيدة

علم العقيدة وعلم التوحيد مترادفان عند أهل السنة، وإنما سمي علم التوحيد بعلم العقيدة بناء على الثمرة المرجوة منه، وهي انعقاد القلب انعقادا جازما لا يقبل الانفكاك

وقد يفرق بينهما اصطلاحا باعتبار أن علم التوحيد هو العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية، وأن علم العقيدة يزيد عليه برد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية، فيجتمعان في معرفة الحق بدليله، وتكون العقيدة أعم موضوعا من التوحيد لأنها تقرر الحق بدليله وترد الشبهات وقوادح الأدلة وتناقش الديانات والفرق، وقد جرى السلف على تسمية كتبهم في التوحيد والإيمان بكتب العقيدة، العقيدة اعم والتوحيد اخص.

ومصدر العقيدة عند أهل السنة والجماعة مصدران أساسيان، هما: كتاب الله تعالى (القرآن الكريم). وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. وإجماع السلف الصالح: مصدرٌ مبناه على الكتاب والسنة، مصدر العقيدة الكتاب و السنة على فهم و اجماع الصحابة رضي الله عنهم بنقل الصحيح.

خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة .

لو قارن بين المعتقدات السائدة بين الناس اليوم، لوجد للعقيدة الإسلامية الصحيحة - المتمثلة في عقيدة أهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة - خصائص وسمات تميزها وأهلها بوضوح عن المعتقدات الأخرى من ديانات أو فرق أو مذاهب أو غيرها

الخاصية الاولى: سلامة المصدر:

وذلك باعتمادها على الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ثم اجماع التابعين.

وهذه الخاصية لا توجد في مذاهب أهل الكلام والمبتدعة والصوفية، والمرجئة الخوارج والاحزاب ما يسمى بالاسلامية سياسة الذين يعتمدون على العقل والنظر، وغير ذلك من المصادر البشرية الناقصة التي يُحكمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب، (والعقيدة كلها غيب).

فالذين يزعمون أنهم يستمدون شيئاً من الدين عن طريق العقل والنظر، أو علم الكلام والفلسفة، أو الإلهام والكشف والوجد، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة (غير الأنبياء) أو الإحاطة بعلم الغيب (من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو أقطاب أو أغواث أو نحوهم)، أو يزعمون أنه يسعهم العمل بأنظمة البشر وقوانينهم او يجعلون الشركاء حتى يشرعون لهم من الدين مالم يأذن به الله و يحكمون بالقوانين الوضعية الكفرية، من زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية، ونقول لمن زعم ذلك كما قال الله تعالى لمن قال عليه بغير علم: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ١١١]. وأنى له أن يأتي إلا بشبه الشيطان.

أما أهل السنة فهم - بحمد الله - معتصمون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإجماع السلف الصالح وأقوالهم، وأي معتقد يستمد من غير هذه المصادر إنما هو ضلال وبدعة.

الخاصية الثانية: قيامها على التسليم لله ولرسوله.

أنها تقوم على التسليم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ؛لأنها غيب ، والغيب يقوم ويعتمد على التسليم والاعتقاد والتصديق المطلق لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ،فالتسليم بالغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم الله بها، قال تعالى: ﴿الم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[البقرة: ١-٣]. والغيب لا تدركه العقول ولا تحيط به، ومن هنا، فأهل السنة يقفون في أمر العقيدة على ما جاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم بخلاف أهل البدع والكلام، فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب، وأنى لهم أن يحيطوا بعلم الغيب، فلا هم أراحوا عقولهم بالتسليم، ولا عقائدهم وذممهم بالاتباع، ولا تركوا عامة أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها، ومع ذلك اهل السنة والجماعة ينقادون لله بالطاعة ولا يخرجون الاعمال من الإيمان، و يطبقون تعريف الاسلام على انفسهم (الإسلام هو والاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة براءة من الشرك و اهله)

الخاصية الثالثة: اتصال سندها بالرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين قولا وعملاً وعلماً واعتقادا

فلا يوجد - بحمد الله - أصل من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ليس له أصل وسند وقدوة من الصحابة والتابعين، وأئمة الدين إلى اليوم، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السلف، فهي محدثة، ولا سند لها من كتاب أو سنة، أو عن الصحابة والتابعين، وما لم يكن كذلك فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة.

الخاصية الرابعة: الوضوح والبيان .

تمتاز عقيدة أهل السنة والجماعة بالوضوح والبيان، وخلوها من الغموض، والفلسفة والتعقيد في ألفاظها ومعانيها، لأنها مستمدة من كلام الله المبين ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى. بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتان بين المشربين، لاسيما وأن العقيدة توقيفية غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم.

الخاصية الخامسة: سلامتها من الاضطراب والتناقض واللبس .

فإن العقيدة الإسلامية الصافية لا اضطراب فيها ولا التباس، وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده، والتوكل عليه وحده، وقوة يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحيرة في الدين، ومن القلق والشك والشبهات، بخلاف أهل البدع فلا تخلو أهدافهم من علة من هذه العلل.

ومن ذلك أيضاً سلامة أتباعها - في العموم - من التلبس بالبدع والشركيات والآثام والكبائر، فأهل السنة في عمومهم، هم أسلم الناس من الوقوع في البدع، ولا تكون فيهم الشركيات. أما الذنوب والمعاصي والكبائر فقد يقع فيها طوائف منهم لكنها فيهم أقل من غيرهم، وغيرهم لا يسلم من علة من هذه العلل البدعية والشركية، كما أن المعاصي والكبائر هي في أهل الافتراق أكثر من غيرهم في الجملة.

فالمتكلمة من المعتزلة، وكثير من الأشاعرة ونحوهم قالوا في الله بغير علم، وخاضوا في الغيب بغير علم، والمتصوفة والمقابريون وسائر أهل البدع عبدوا الله بغير ما شرع، والرافضة، والباطنية ونحوهم كذبوا على الله تعالى وافتروا على رسوله صلى الله عليه وسلم حتى صار الكذب ديناً لهم، والخوارج تشددوا في الدين فشدد الله عليهم، والمرجة خرجوا الاعمال من الإيمان و سموا الطواغيت بولاة الأمور و رضوا بالقوانين الوضعية ضلوا واضلوا.

الخاصية السادسة: إنها سبب للنصر والتمكين

من أبرز خصائص عقيدة أهل السنة : أنها من أسباب النجاح والنصر والتمكن لمن قام بها ودعا إليها بصدق وعزم وصبر .

فالطائفة التي تتمسك بهذه العقيدة ، عقيدة أهل السنة والجماعة ، هي الطائفة الظاهرة والمنصورة التي لا يضرها من خذلها ولا من عاداها إلى يوم القيامة . كما أخبرنا بذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله : " لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك

الخاصية السابعة: هي عقيدة الجماعة والاجماع

ذلك أنها الطريقة المثلى لجمع شمل المسلمين ووحدة صفهم ، وإصلاح ما فسد من شئون دينهم ودينا هم ، لأنها تردهم إلى الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين ، وهذه الخاصية لا يمكن أن تتحقق على يد فرقة أو دعوة أو أنظمة لا تقوم على هذه العقيدة أبداً ، والتاريخ شاهد على ذلك ، فالدول التي قامت على السنة هي التي جمعت شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وعزّ بها الإسلام قديماً وحديثاً ، منذ عهد الخلفاء الراشدين

الخاصية السابعة: البقاء والثبات والاستقرار:

من أهم خصائص عقيدة أهل السنة : البقاء والثبات والاستقرار والاتفاق :

فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون ، وإلى أن تقوم الساعة ، بمعنى أنها متفقة ومستقرة ومحفوظة ، رواية ودراية ، في ألفاظها ومعانيها ، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل ، لم يتطرق إليها التبديل ولا التحريف ، ولا التلفيق ولا الالتباس ، ولا الزيادة ولا النقص .

ومن أسباب ذلك : أنها مستمدة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لا ينطق عن الهوى ، وقد تلقاها الصحابة ثم التابعون ، وتابعوهم ، وأئمة الهدى المستمسكون بهديه - صلى الله عليه وسلم - إلى اليوم ، رواية ودراية ، تلقيناً وكتابة .

من ذلك - مثلاً - قول أهل السنة في الصفات إجمالاً وتفصيلاً ، فهو لا يزال واحداً ، وقولهم في كلام الله ، والقرآن ، والاستواء ، والنزول والرؤية ، وقولهم في القدر ، والإيمان ، والشفاعة ، والتوسل ، وغيرها كله لا يزال كما نقل عن السلف والقرون الفاضلة . وهذا مما تكفل به الله من حفظ دينه .

بخلاف الفرق الأخرى ، وأقربها إلى أهل السنة "الأشاعرة "و "الماتريدية "، ومع ذلك فهم مضطربون في كل ما خالفوا به السلف مما أوّلوه أو ابتدعوه ، ويكثر في عقائدهم التلفيق والالتباس والاضطراب ، والتوقف فيما جاء عن الله - تعالى - وعن رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، وابتداع الألفاظ والمعاني التي لم ترد عن الله - تعالى - ولا عن رسوله - صلى الله عليه وسلم (مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة)

باب الثاني

الإسلام

الإسلام هو الدين الوحيد الذي يقبله الله من العباد ومعناه الاستسلام والانقياد لله وعباته بلا شريك والكفر بالآلهة والأنداد الباطلة التي تعبد من دون الله والبراءة من الشرك وأهله

﴿إِنَّ اَلدِّيْنَ عِنْدَ اَللهِ اَلإِسْلاَمَ﴾ آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخرة مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

الإسلام لغةً هو : الاستسلامُ والانقيادُ، يُقالُ فلانٌ مُسلمٌ أي : مُستَسلمٌ لأوامرِ اللَّه وأحكامه.

أو أسلم أمره إلى اللَّه أي سلَّم ، وأسلم دخل في (السَلَم) وهو الاستسلام و (أسلم) من الإسلام.

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١ البقرة﴾

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴿١١٢ البقرة﴾

الإسلام في الاصطلاح بأنه : الاستسلامُ للَّه لا لِغَيرِهِ ، بِأن تَكُونَ العبادةُ والطاعةُ لَهُ والذلُّ ، وهو حَقيقةُ لا إله إلا اللَّه.

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴿١٢٨ البقرة﴾

وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣ المائدة﴾

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿٧ الصف﴾

وأما تعريف الإسلام شرعا و اصطلاحا هو:

الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

فمعنى (الاستسلام للَّه بالتوحيد): أي تستسلم بالعبادة لله وحده؛ لأنه يوجد من يستسلم للَّه ولكنه يستسلم لغيره، كالفرق الضاله يستسلمون للَّه ولكنهم يستسلمون لغيره، منهم من يستسلمون للَّه

ولكنهم يستسلمون لغيره في العبادة، ومنهم من يستسلمون للَّه ولكنهم يستسلمون لغيره في الطاعة و الحكم.

والمشركون يستسلمون للَّه في بعض الأمور في العبادة لكنهم في بعض العبادات يستسلمون لغير اللَّه.

و معنى (الانقياد له بالطاعة). وأيضًا قيَّد (الانقياد) أن يكون بالطاعة لا بالهوى، ولا بما تشتهيه النفس، ولا بما يريده الإنسان، إنما الاستسلام يجب أن يكون بالطاعة؛ بطاعة الله وطاعة رسوله، والانقياد يكون فيما أمر الله به وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن الناس من ينقاد ولكنه على غير اتباع للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولذا قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي رواية: «من صنع أمرًا ليس عليه أمرنا فهو رد» وفي رواية: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وأيضًا قيَّد (الانقياد) بالطاعة، إنما الاستسلام يجب أن يكون بالطاعة؛ بطاعة الله وطاعة رسوله، فعل اوامره و ترك نواهيه، والانقياد يكون فيما أمر الله به وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن الناس من يدعون الاسلام و يخرجون الاعمال من الايمان، قد ضلوا ضلالا بعيدا.

لذا فالانقياد لابد أن يكون بالطاعة، فإذا لم يكن بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فليس من الإسلام؛ حتى ولو تعب المتعبد واجتهد حتى ولو حصل عليه ما حصل في هذا السبيل الذي ليس بطاعة لرسول الله فليس من الإسلام، فإن الذي من الإسلام هو ما كان انقيادًا بالطاعة، فإذا كان بغير طاعة فإنه مردود على صاحبه، سواء شقَّ عليه أو لم يشق عليه، سواء بذل مالاً أو وقتًا أو لم يبذل؛ لأنه مردود على فاعله كما جاء في الحديث، فهذا هو معنى هذا التعريف.

«البراءة من الشرك وأهله» فإنه إذا استسلم العبد لله وحده، وأخلص العبادة لله وحده لا شريك له، وانقاد لله عز وجل بما شرعه تعالى وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم بقي عليه أن يتبرأ من الشرك وأهل الشرك.

ولذا قال: «والبراءة من الشرك وأهله» فلابد للمسلم من أن يعرف الشرك ليكفر به ويجتنبه، ويبغضه ويعادي أهله، ويتبرأ منهم ومما يعبدون. هذا هو الإسلام الصحيح.

أما كون الإنسان يتعبّد ويعبد مع الله غيره، كما يفعله طوائف ممن ينتسب إلى الإسلام، يعبدون الله ولكنهم يذبحون للجن وللشياطين، ويدعون الأموات، ويفعلون بعض الشركيات، فهؤلاء ما استسلموا لله وحده، استسلموا لله في أمر واستسلموا لغيره في أمور. وهذا شيء مشاهد، هذا شيء محسوس عند كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وكذلك الانقياد يوجد في بعض البلدان من يكون فيه تصوف فهو يتعبد لكن بغير طاعة؛ أي على غير متابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، يتعبد بطرق غير مشروعة، يتعبد ويجتهد ويظن أن تعبده من الإسلام وليس من الإسلام.

وكذلك البراءة من الشرك وأهله: يوجد من لا يتبرأ من الشرك، يزعم أنه ما عليه منهم، وليس بمسئول عنهم، ولهم دينهم وله دينه. لا هذا خطأ بل باطل، لهم دينهم ولك دينك، ولكن يجب عليك أن تتبرأ منهم، وأن تكفرهم، وأن تبغضهم، وأن تعتقد بطلان ما هم عليه، هذا هو الإسلام الصحيح.

وقد يحتج بعضهم على ما ذهب إليه في هذا المذهب الباطل من ترك اعتقاد الكفر بالكفار والمشركين، ووجوب الكفر بهم بقوله جل وعلا: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

فيقال: معنى هذه الآية: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ قال أهل العلم: لا إكراه في الدين هذه منسوخة بآية السيف: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ وهذه تسمى آية السيف، ومع هذا فإنه يجب بغضهم وعداوتهم والكفر بهم.

وأما قوله عز وجل: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ فمن تدبر السورة وجد أن معناها هو التصريح بالبراءة من الشرك وأهل الشرك، يوضح ذلك قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ (١) لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤)وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥)لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ يعني: أتبرأ مما تعبدون، وأعتقد بطلان ما تعبدون ﴿ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فهم يعبدون الله، ولكن حيث إنهم يشركون باللات والعزى قال: ﴿ وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ فصارت عبادتهم لا شيء، لماذا؟ لأنهم كانوا يشركون في العبادة.

وقوله: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ أي: لكم دينكم الذي أنتم عليه وأنا لي ديني، الذي هو التوحيد وملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فبهذا تعلم أنه جهر بالبراءة من الشرك وأهله وجهر بالبراءة من الكفر وأهله، فلا يدور في خلد الإنسان أنه ليس بمسؤول عن الكفر بالشرك، وليس مطالبًا بذلك؛ بل اعتقاد الكفر بالشرك وأهله، والجهر بذلك من ملة إبراهيم عليه السلام التي أمرنا باتباعها كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية.

فالواجب عليك أن تتبرأ من الشرك وأهل الشرك، وأن تتبرأ من الكفر وأهل الكفر، كما قال عزّ وجلّ عن إبراهيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦)إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾. كما قال عز وجل عن إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾.

وكما أخبر الله عز وجل في سورة الممتحنة بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

ما معنى: «بدء» : يعني ابتداء، لا إنما معناها ظهر، أي ظهرت العداوة وأُعلنت، فبهذا يتفطن المسلم لمعنى الإسلام، وأنه الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، ونحمد الله أن من علينا بمعرفة ملة إبراهيم ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله عز وجل أن يمنَّ علينا بالثبات على التوحيد، والعقيدة الصحيحة السليمة على نهج النبوة، فإنها نعمة من الله عز وجل تفضَّل بها ومنَّ بها على من يشاء من عباده، فنحمده جلّ وعلا لا نحصي ثناء عليه.

واعلم. من الذي يصلي ويصوم ويدعي الإسلام، ثم يحدث حدثًا أكبر، كأن يذبح للجن أو غيرهم من المخلوقات، أو يطب المدد من القبور الصالحين.

أو الذي يصلي ويصوم ويدعي الإسلام، ثم يحدث حدثًا أكبر، كأن يحكم بغير ما أنزل الله، أو يوالّي الطواغيت، أو يخرج الإعمال من الإيمان فهو أحدث فبطلت عبادته لقوله تعالى:

﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ ولقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢ البقرة﴾

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٨٣ آل عمران﴾

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤ آل عمران﴾

اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢ آل عمران﴾

إذا **الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.**

فلا فائدة للإسلام بلا توحيد كالصوفية، ولا فائدة للأسلام بلا الطاعة كالمرجئة، ولا فائدة للأسلام بلا براءة من المشركين كالأحزاب الأخوانية .

{ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [سورة آل عمران ، الآية ٨٥] .

ولا يستقيم الدين إلا بسلامة الاعتقاد ، وصحة العمل ، وذلك بالاستمساك بالكتاب والسنة ، وما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والدعاة الذين رفعوا لواء الدعوة ، أفراداً أو جماعات ، هم أجدر وأولى من يجب أن يعي هذه الحقيقة العظمى

أركان الإسلام

فأركانه بَيَّنَها النبيُّ صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه في حديث ابن عمر عن رسول الله أنه قال: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا» وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في حديث عمر بن الخطَّاب حينما سأله جبريل عن الإسلام فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» الحديث.

فهذه هي أركان الإسلام ودعائم الإسلام، وقواعد الإسلام، فأولها وأساسها ورأس أمرها هو شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، من قالها عالما بمعناها و عاملا بمقتضاها صار مسلما، ومن قالها و ليس عالما بمعناها أو قالها و عالما بمعناها و ليس عاملا بمقتضاها ما صار مسلما ولو كان يدعي ذلك.

وأحد أصولها الصلاة (إجماع الصحابة و السلف الصالح على أن تارك الصلاة يكفر)، ومن واجبات الدين الصيام والزكاة والحج (تاركها يأثم وجاحدها يكفر)

حكم تارك الصلاة

أن الكتاب والسنة كلاهما يدل على كفر تارك الصلاة الكفر الأكبر المخرج عن الملة. أما الكتاب: فقوله تعالى في سورة التوبة: **{فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ}**، **وقوله في سورة مريم: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً}**. فوجه الدلالة من آية سورة مريم أن الله قال في المضيّعين للصلاة المتبعين للشهوات: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ}، فدل على أنهم حين إضاعتهم للصلاة واتباع الشهوات غير مؤمنين.

قوله الله عز وجل **:"فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون)** فكلمة "ويل " في القرآن لا تقترن إلا مع الكافر و إن تارك الصلاة و الساهي عنها هو (الكافر)

يقول جل وعلا عن أهل النار: **مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ.. قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ .. وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ .. وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ .. وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ [المدثر:٤٢-٤٦].**

فذكر من موجبات دخولهم النار تركهم الصلاة

قال الله عز وجل (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة و اتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً".

قال ابن عباس:" معنى أضاعوا الصلاة أي أخروها عن وقتها فكان جزائهم غياً و هو واد في جهنم .

قال سعيد بن المسيب :" معنى أضاعوها أي يؤخروها ، فيؤخر صلاة الظهر حتى اقتراب العصر و يؤخر العصر مع اقتراب موعد المغرب و هكذا...". فكيف بتاركها!!؟

قال الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، والصلاة ركنٌ من أركان الإسلام بنصّ الحديث؛ بل بدونها ما قيمة إسلام المرء؟ وقد قال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَ اتَّقُوهُ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الروم: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌرَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٥]، وقال: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ الم *ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [البقرة: ١ - ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال ربُّنا تبارك وتعالى: ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

كما ذكر الله سبحانه وتعالى من صِفات المنافقين الكسَل في الصلاة: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى... ﴾ [النساء: ١٤٢]، فإذا كان ذلك فيمن يؤدُّون الصَّلاة وهم كسالى، فما بالكم بمَن لا يؤديها مطلقًا؟ وبمن يتهاوَن فيها؟ بل لا يكونون لنا إخوة وأولياء - ولاية محبَّة ومودَّة ونصر وتأييد - إلَّا كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥].

واعلم هداك الله

تارك الصلاة يكفر و يخرج من الإسلام ويكون مرتدًا، لا يغسل ولا يصلى عليه إذا مات، ولا يدفن مع المسلمين، ولا يرثه المسلمون من الأقارب؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة، رواه مسلم، وهذا صريح منه ﷺ في تكفيره يقول: بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة رواه مسلم في صحيحه، والكفر والشرك إذا أطلق بالتعريف؛ فهو كفر أكبر وشرك أكبر، وقال عليه الصلاة والسلام: العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر، خرجه الإمام أحمد وأهل السنن بإسناد صحيح

الصلاة لها شأن عظيم، غير شأن الزكاة والصيام والحج، فهي أعظم من الصيام، وأعظم من الزكاة، وأعظم من الحج، وهي تلي الشهادتين، وهي عمود الإسلام، كما قال عليه الصلاة والسلام: رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، فلها شأن عظيم.

ومن ذلك: ما ثبت في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما، في مسند أحمد بإسناد جيد، عن النبي ﷺ: أنه ذكر الصلاة يومًا بين أصحابه وقال: من حافظ عليها؛ كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها؛ لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وحشر يوم القيامة مع فرعون و هامان و قارون و أبي بن خلف. قالوا: وهذا يدل على أن الحشر مع هؤلاء يكون كفرًا بالله، يكون تاركها كافرًا بالله، فإن حشره مع هؤلاء الكفرة -بل رءوس الكفرة- يدل على أنه قد كفر كفرًا أكبر. نسأل الله السلامة والعافية.

وقال أهل العلم: إنه يكون كافراً كفراً أكبر وهو المنقول عن الصحابة عن أصحاب النبي ﷺ فإنه ثبت من حديث عبد الله بن شقيق العقيلي التابعي الجليل قال: لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ يرون شيئاً تركه كفر غير الصلاة ومعلوم أنهم يرون أن الطعن في الأنساب والنياحة على الميت نوع من الكفر، والبراءة من الأنساب نوع من الكفر لكنه كفر أصغر، فعلم أن مراده بذلك أن ترك الصلاة كفر أكبر ليس من جنس ما ورد في النصوص تسميته كفراً وهو كفر أصغر.

وفي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف بريء، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع"، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة". وفيه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"، قيل: يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: "لا، ما أقاموا فيكم الصلاة". ففي هذين الحديثين دليل على منابذة الولاة وقتالهم بالسيف إذا لم يقيموا الصلاة، بسبب كفرهم بترك الصلاة، و هذا يدل على أن تارك الصلاة يكفر كفر أكبر كما جاء ذلك صريحاً فيما رواه بن أبي حاتم في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تشركوا بالله شيئاً ولا تتركوا الصلاة عمداً فمن تركها عمداً متعمداً فقد خرج من الملة".

عن عبدالله بن قرط رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((أوَّل ما يُحاسَب به العبدُ يوم القيامة الصلاة؛ فإن صلحَت صلح سائرُ عملِه، وإن فسدَت فسَد سائرُ عمله)) صحيح الجامع الصغير

إجماع الصحابة على كفر تارك الصلاة

ووجه لاستدلال بهذا الإجماع في مسألتنا: أن تارك أعمال الجوارح بالكلية تارك للصلاة ضمنا، فإذا ثبت إجماعهم على كفر تارك الصلاة وحدها، كان كفر تارك العمل الظاهر كله أحق وأولى بالإجماع.

وقد حكى هذا الإجماع جماعة من الصحابة والأئمة الذين لم يُعرفوا بالتساهل في نقل الإجماع، ومنهم:

١- جابر بن عبدالله رضي الله عنه: وقد سأله مجاهد بن جبر: ما كان يفرق بين الكفر والإيمان عندكم من الأعمال على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: الصلاة. ((الإبانة)) إسناده(صحيح)

٢- عن عبدالله بن شقيق عن أبي هريرة قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفرا غير الصلاة . رواه الحاكم (٤٨/١) وقال: إنه على شرط الشيخين، فإنه ذكر حديث بريدة: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)).

٣- الحسن البصري: قال: بلغني أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون: بين العبد وبين أن يشرك فيكفر أن يدع الصلاة من غير عذر. رواه ابن بطة (٦٧٣/٢)، واللالكائي (٩١٠/٤).

٤- عبدالله بن شقيق: قال: لم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . رواه الترمذي (٢٦٢٢) صحيح.

٥- أيوب السختياني: قال: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه . رواه محمد بن نصر في ((تعظيم قدر الصلاة)) (٩٢٥/٢).

٦- إسحاق بن راهويه: قال الإمام محمد بن نصر: سمعت إسحاق يقول: قد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا أن تارك الصلاة عمدا من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر. ((تعظيم قدر الصلاة)) (٩٢٩/٢).

٧- محمد بن نصر المروزي: قال: (قد ذكرنا في كتابنا هذا ما دل عليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من تعظيم قدر الصلاة وإيجاب الوعد بالثواب لمن قام بها، والتغليظ بالوعيد على من ضيعها، والفرق بينها وبين سائر الأعمال في الفضل، وعظم القدر. ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في إكفار تاركها، وإخراجه إياه من الملة، وإباحة قتال من امتنع من إقامتها، ثم جاءنا عن الصحابة مثل ذلك، ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك) .

٨- ابن تيمية: قال في بيان أدلة تكفير تارك الصلاة، بعد ذكر أدلة من الكتاب والسنة، وبيان أنه القول المنقول عن جمهور السلف: (ولأنّ هذا إجماع الصحابة. قال عمر لما قيل له وقد خرج إلى

الصلاة: نعم ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة وقصته في الصحيح، وفي رواية عنه قال: لا إسلام لمن لم يصل رواه النجاد، مع أن تكفير تارك الصلاة منقول عن ستة عشر صحابيا، كما قال ابن حزم.

٩- ابن القيم: وقد ذكر أن من كفر تارك الصلاة استدل بالكتاب والسنة وبإجماع الصحابة، ثم قال: (وأما إجماع الصحابة، فقال ابن زنجويه: قال عبدالله بن عباس أنه جاء عمر بن الخطاب حين طعن في المسجد، قال: فاحتملته أنا ورهط كانوا معي في المسجد حتى أدخلناه بيته. قال: فأمر عبدالرحمن بن عوف أن يصلي بالناس. قال: فلما دخلنا على عمر بيته غشي عليه من الموت، فلم يزل في غشيته حتى أسفر، ثم أفاق فقال: هل صلى الناس؟ قال: فقلنا: نعم، فقال: لا إسلام لمن ترك الصلاة، وفي سياق آخر:لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة ثم دعا بوضوء فتوضأ وصلى.

١٠- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، قال: (فهذه الأحاديث كما ترى، صريحة في كفر تارك الصلاة، مع ما تقدم من إجماع الصحابة، كما حكاه إسحاق بن راهويه، وابن حزم، وعبد الله بن شقيق، وهو مذهب جمهور العلماء من التابعين ومن بعدهم).

رد شبهة من قال تارك الصلاة كفر الأصغر

ذهب إليه بعض الناس أن من حمل أحاديث كفر تارك الصلاة على الكفر الأصغر، قد ردّه شيخ الإسلام من تسعة أوجه، قال في (شرح العمدة): وأما حمله على كفر دون كفر، فهذا حمل صحيح ومحمل مستقيم في الجملة في مثل هذا الكلام، ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين في كثير من المواضع مفسراً، لكن الكفر الوارد في الصلاة هو الكفر الأعظم لوجوه:

أحدها: أن الكفر المطلق هو الكفر الأعظم المخرج عن الملة فينصرف الإطلاق إليه، وإنما صرف في تلك المواضع إلى غير ذلك لقرائن انضمت إلى الكلام، ومن تأمل سياق كل حديث وجده معه، وليس هنا شيء يوجب صرفه عن ظاهره، بل هنا ما تقرره على الظاهر.

الثاني: أن ذلك الكفر منكر مبهم مثل قوله: ((وقتاله كفر))، ((هما بهم كفر)) وقوله: ((كفر بالله)) وشبه ذلك، وهنا عرف باللام بقوله: ((ليس بين العبد وبين الكفر أو قال الشرك)) والكفر المعرف ينصرف إلى الكفر المعروف وهو المخرج عن الملة.

الثالث: أن في بعض الأحاديث: ((فقد خرج من الملة)) وفي بعضها: ((بينه وبين الإيمان)) وفي بعضها: ((بينه وبين الكفر)) وهذا كله يقتضي أن الصلاة حدٌّ تُدخله إلى الإيمان إن فعله، وتخرجه عنه إن تركه.

الرابع: أن قوله: (ليس بين العبد وبين الكفر إلا ترك الصلاة)، وقوله: (كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة) لا يجوز أن يراد به إلا الكفر الأعظم؛

لأن بينه وبين غير ذلك مما يسمى كفرا أشياء كثيرة، ولا يقال: فقد يخرج من الملة بأشياء غير الصلاة، لأنا نقول: هذا ذكر في سياق ما كان من الأعمال المفروضة، وعلى العموم يوجب تركه الكفر، وما سوى ذلك من الاعتقادات فإنه ليس من الأعمال الظاهرة.

الخامس: أنه خرج هذا الكلام مخرج تخصيص الصلاة وبيان مرتبتها على غيرها في الجملة، ولو كان ذلك الكفر فسقاً لشاركها في ذلك عامة الفرائض.

السادس: أنه بين أنها آخر الدين، فإذا ذهب آخره ذهب كله.

السابع: أنه بين أن الصلاة هي العهد الذي بيننا وبين الكفار، وهم خارجون عن الملة ليسوا داخلين فيها، واقتضى ذلك أن من ترك هذا العهد فقد كفر، كما أن من أتى به فقد دخل في الدين، ولا يكون هذا إلا في الكفر المخرج من الملة.

الثامن: أن قول عمر: (لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة) أصرح شيء في خروجه عن الملة، وكذلك قول ابن مسعود وغيره، مع أنه بيّن أن إخراجها عن الوقت ليس هو الكفر وإنما هو الترك بالكلية، وهذا لا يكون إلا فيما يخرج من الملة.

التاسع: ما تقدم من حديث معاذ ؛ فإن فسطاطا على غير عمود لا يقوم، كذلك الدين لا يقوم إلا بالصلاة.

وفي هذه الوجوه يبطل قول من حملها على من تركها جاحدا.

وأيضا قوله: (كانوا لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر" وقوله: ليس بين العبد وبين الكفر وغير ذلك مما يوجب اختصاص الصلاة بذلك، وترك الجحود لا فرق فيه بين الصلاة وغيرها؛ ولأن الجحود نفسه هو الكفر من غير ترك حتى لو فعلها مع ذلك لم ينفعه، فكيف يعلق الحكم على ما لم يذكر؟! ولأن المذكور هو الترك، وهو عام في من تركها جحودا أو تكاسلا، ولأن هذا عدول عن حقيقة الكلام من غير موجب فلا يلتفت إليه). ((شرح العمدة)) (٢/٨١).

الزكاة:

هي الركن الثالث من أركان الإسلام معنى الزكاة لغة وشرعًا: الزكاة لغة: مصدر "زكا" الشئ إذا نما وزاد فالزكاة هى: البركة والنماء والطهارة والصلاح. والزكاة شرعًا: تطلق على الحصة المقدرة من المال التى فرضها الله للمستحقين. معنى الصدقة: والزكاة الشرعية قد تسمى في لغة القرآن والسنة صدقة حتى قال الماوردى "الصدقة زكاة والزكاة صدقة "يفترق الاسم ويتفق المسمى. {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة: ١٠٣]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصدقة برهان»

شروط زكاة المال هى : الاسلام و الحرية و بلوغ النصاب و تمام الملك و مضي الحول -اي سنة كاملة- الا في الخارج من الارض.

أجمع علماء الإسلام أن من أنكر أو جحد الزكاة فقد كفر ، وأجمعوا على أنه لو تمالئ قوم وتواطئوا واجتمعوا على منع الزكاة ؛ لوجب على إمام المسلمين أن يقاتلهم حتى يعودوا إلى حظيرة الإسلام ؛ كما فعل الصحابى الجليل والخليفة الراشد أبو بكر – رضى الله تعالى عنه – الذى قاتل مانعى الزكاة قائلا : (والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم فيه) وفى رواية : (والله لو منعونى عناقًا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم فيه) وهو كناية عن منعهم أصغر الأشياء .

الأدلَّة على وجوب قتال الطَّائفة الممتنعة:

اذا كان طائفة رفض الانقياد وتمنَّع وتسلَّح واستعدَّ للقتال فهذه المسألة التي يسميها العلماء قتال الطَّائفة الممتنعة، فأجمع العلماء على وجوب قتال الطَّائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظَّاهرة المتواترة.

واستندوا إلى عدة أدلَّة ومن ذلك: قتال الصَّحابة لمانعي الزَّكاة، وأحاديث الأمر بقتال الخوارج، وقول الله عز وجل فيمن لا يتوب من الربا: **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [البقرة: ٢٧٩].**

واستدلوا بآية الحرابة، وأيضاً واستدلوا بقوله تعالى: **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ [الأنفال: ٣٩]**، وبقول الله عزَّ وجلَّ: **فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ [التوبة: ٥].**

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه المسألة قائلاً: "فقد أخبر تعالى أنَّ الطَّائفة الممتنعة إذا لم تنته عن الرِّبا فقد حاربت الله ورسوله، والرِّبا آخر ما حرَّم الله في القرآن، فما حرَّمه قبله أوكد، وقال تعالى: **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ [المائدة: ٣٣].**

فكُلُّ من امتنع من أهل الشَّوكة عن الدُّخول في طاعة الله ورسوله فقد حارب الله ورسوله، ومن عمل في الأرض بغير كتاب الله وسنة رسوله فقد سعى في الأرض فساداً" [مجموع الفتاوى: ٢٨/٤٦٩-٤٧٠]. ولذلك فإنَّ هؤلاء الممتنعين عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظَّاهرة المتواترة كالزَّكاة مثلاً يجب قتالهم، حتى يلتزموا شرائعه، وإن كانوا كما يقول ابن تيمية رحمه الله: "وإن كانوا ناطقين بالشَّهادتين، وملتزمين بعض شرائعه، كما قاتل أبو بكر الصِّديق والصَّحابة مانعي الزَّكاة" [مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٠٢].

فعُلم أن مُجرَّد الاعتصام بالإسلام مع عدم الالتزام بشرائعه ليس بمُسقِطٍ للقتال، فالقتال واجبٌ حتى يكون الدِّين كُلُّه لله، وحتى لا تكون فتنةً، يقول ابن تيمية: "فَأَيُّمَا طائفةٍ امتنعت من بعض

الصَّلوات المفروضة أو الصِّيام أو الحج، أو عن التزام تحريم الدِّماء والأموال والخمر والزِّنا والميسر، أو عن نكاح ذوات المحارم، أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل الكتاب، وغير ذلك من واجبات الدِّين ومُحرَّماته التي لا عذر لأحدٍ في جُحُودِها وتَركها، والتي يكفر الجاحد لوجوبها؛ فإنَّ الطَّائفة الممتنعة تقاتل عليها، وإن كانت مُقرَّة بها، وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وإنما اختلف الفقهاء في الطَّائفة الممتنعة إذا أصرَّت على ترك بعض السُّنن كركعتي الفجر والأذان والإقامة -عند من لا يقول بوجوبها- ونحو ذلك من الشَّعائر. [مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٠٢]. إذاً: هذه خلاصة قضية الطَّائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام أنَّهم يقاتلون.

هل يقاتلون قتال بغاة أو قتال كفار؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مسألة كفر مانعي الزَّكاة: "ثم تنازع الفقهاء في كفر من منعها، وقاتل الإمام عليها مع إقراره بالوجوب" كأن يقول: أنا مُعترِفٌ بالزَّكاة أنها واجبة، لكن لا أُخرج وأقاتل، وشيخ الإسلام رحمه الله تعالى رجَّح تكفير الممتنع عن الشَّرائع الظَّاهرة المتواترة إذا كانوا طائفة وقاتلوا الإمام قال: يكفرون، فإذاً قتالهم يكون قتال كفر، قال في مسألة هل يجوز اتباع مدبرهم وقتل أسيرهم والإجهاز على جريحهم؟ على قولين للعلماء مشهورين الصواب: "أن هؤلاء ليسوا من البُغاة المتأوِّلين؛ فإنَّ هؤلاء ليس لهم تأويلٌ سائغٌ أصلاً، وإنَّما هم من جنس الخوارج المارقين ومانعي الزَّكاة، والخُرمية ممن قُوتِلوا على ما خرجوا عنه من شرائع الإسلام" [مجموع الفتاوى: ٢٨/٥٤٨]. إلى آخر كلامه في هذه المسألة. وهذا كان حكم هؤلاء الممتنعين عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظَّاهرة المتواترة كالزَّكاة فكيف حكم الممتنعين عن التزام الشريعة بالكامل و يتبعون القوانين الوضعية الكفرية؟

اهل الزكاة:

أهل الزكاة هم المستحقون لها، وهم الأصناف الثمانية الذين حصرهم الله عز وجل في قوله: **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ٦٠].**

وإيضاح هذه الأصناف كما يلي:

١- الفقراء: جمع فقير، وهو من ليس لديه ما يسد حاجته، وحاجة من يعول، من طعام وشراب وملبس ومسكن، بألا يجد شيئاً، أو يجد أقلّ من نصف الكفاية، ويعطى من الزكاة ما يكفيه سنة كاملة.

٢- المساكين: جمع مسكين، وهو من يجد نصف كفايته أو أكثر من النصف، كمن معه مائة ويحتاج إلى مائتين، ويعطى من الزكاة ما يكفيه لمدة عام.

٣- العاملون عليها: جمع عامل، وهو من يبعثه الإمام لجباية الصدقات، فيعطيه الإمام ما يكفيه مدة ذهابه وإيابه ولو كان غنياً؛ لأن العامل قد فَرَّغ نفسه لهذا العمل، والعاملون هم كل من يعمل في جبايتها، وكتابتها، وحراستها، وتفريقها على مستحقيها.

٤- المؤلفة قلوبهم: وهم قوم يعْطَوْن الزكاة؛ تأليفاً لقلوبهم على الإسلام إن كانوا كفاراً، وتثبيتاً لإيمانهم، إن كانوا من ضعاف الإيمان المتهاونين في عباداتهم، أو لترغيب ذويهم في الإسلام، أو طلباً لمعونتهم أو كف أذاهم.

٥- في الرقاب: جمع رقبة، والمراد بها العبد المسلم أو الأمة يُشْتَرى من مال الزكاة وَيُعتق، أو يكون مُكَاتَباً فيعطى من الزكاة ما يسدد به نجوم كتابته؛ ليصبح حراً نافذ التصرف، وعضواً نافعاً في المجتمع، ويتمكن من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، وكذا الأسير المسلم يفك من الأعداء من مال الزكاة.

٦- الغارمون: جمع غارم، وهو المدين الذي تَحَملَ ديناً في غير معصية الله، سواء لنفسه في أمر مباح، أو لغيره كإصلاح ذات البين، فهذا يعطى من الزكاة ما يسدد به دينه، والغارم للإصلاح بين الناس يعطى من الزكاة، وإن كان غنياً.

٧- في سبيل الله: المراد به الغزاة و المجاهدون في سبيل الله المتطوعون الذين ليس لهم راتب في بيت المال، فيعطون من الزكاة، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء.

٨- ابن السبيل: وهو المسافر المنقطع عن بلده الذي يحتاج إلى مال؛ ليواصل السفر إلى بلده، إذا لم يجد من يقرضه.

اعلم هداك الله لا خلاف بين العلماء في دفع زكاة المال للمجاهدين في سبيل الله عز وجل وهذا السهم هو ما يعرف بسهم في سبيل الله وهو الجهاد، أما إذا كان الجهاد جهاد فرض العين، دفع الزكاة للمجاهدين اولى لأن الكافرين إذا دخلوا بلاد المسلمين ينشرون فتنة الكفر والفساد، و خطر فتنة الكفر على المسلمين أخطر من الفقر، فلهذا إذا كان الجهاد فرص العين، و اذا كان الكفار هاجموا بلاد المسلمين فيجب على المسلمين أن يدفعون الزكاة و الصدقات للمجاهدين.

الركن الرابع: الصوم ركن من أركان الإسلام، والصوم في الشرع الإسلامي عبادة بمعنى: «الإمساك عن المفطرات على وجه مخصوص، وشروط مخصوصة من طلوع الفجر الثاني، إلى غروب الشمس، بنية». وصوم رمضان فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل مطيقاً للصوم، وقد يكون الصوم مستحباً كصوم النافلة المطلقة كصيام يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع، ويوم عرفة لغير الحاج، وعاشوراء، وقد يكون محرماً كصيام العيدين ويوم الشك، ومنه ما يكون مكروهاً كإفراد يوم الجمعة ويوم السبت بالصيام، وصوم يوم عرفة للحاج، صيام شهر رمضان فرض بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال تعالى: **{يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** إلى قوله: **{شَهْرُرَمَضَانَ الَّذِىَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَفَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْعَلَىٰ سَفَرٍفَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَيُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَوَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَوَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**،

الركن الخامس: الحج: يُعرَّف الحجّ في اللغة بأنّه: القَصْد، أو الزيارة، وقِيل إنّه: القَصْد إلى شيءٍ مُعظَّمٍ، أمّا في الاصطلاح الشرعيّ، فهو يعني: القَصْد إلى بيت الله الحرام، بصفةٍ مخصوصةٍ، وفي وقتٍ مخصوصٍ، وبشروطٍ مخصوصةٍ، ويعدّ الحج ركناً من أركان الإسلام فرضه الله -تعالى- على كلّ مسلم قادر مرةً واحدةً في حياته.

أما إذا كان هذه الأرض كان بيد المشركين و الجهاد فرض العين، فيجب على المسلمين قبل الحج و العمرة أن يدفعون المشركين و يرجعون الأرض للمسلمين، ومع ذلك لا يصح الصلاة خلف رجل المبتدع المشرك ولا تجوز الصلاة خلفه؛ ذلك لأن صلاته غير صحيحة، فإن من لم يكن مسلماً فصلاته غير صحيحة، وإذا كانت صلاة الإمام غير صحيحة فإنه لا يمكن الاقتداء به،

دين جميع الانبياء الاسلام

إنّ الدينَ الإسلامي هو الدّين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين الموحّدين، فهو دينُ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وبعث به كل الرسل ليُبلغوه للناس، ودعا له الرسلُ ونشروه في أرجاء المعمورة، فهو أصلُ رسالتهم الذي اتّحدوا عليه، وانطلقوا منه، فكان هو دينهم جميعاً، قال الله تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ}** [آل عمران: ١٩]. وقال تعالى: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَالإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَفِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ *}** [آل عمران: ٨٥].

فالإسلامُ دين جميع الأنبياء والمرسلين، وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم، فإنّهم متفقون على الأصل الأول، وهو التوحيد والإسلام، فمثلاً:

أخبر الله عن نوح عليه السلام: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ *} [يونس :٧٢].

وأخبر عن إبراهيم عليه السلام: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *} [البقرة :١٣١].

وأخبر عن موسى عليه السلام: {يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ *} [يونس :٨٤].

وأخبر عن حواريي المسيح: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ *} [المائدة :١١١].

وأخبر عن سليمان عليه السلام على لسان ملكة سبأ: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *} [النمل :٤٤].

وأخبر سبحانه وتعالى عن الأنبياء الذين تقدموا: {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا} [المائدة :٤٤].

مراتب الدين:

الدين الإسلامي في الدين الإسلاميّ مراتب يُقصد بها الدرجات التي يصل إليها مُعتنق الإسلام أو المُسلِم، ولا نقصد بهذهِ المراتب أو الدرجات أنّها تقسيماتٌ طبقيّة أو أنّها رتبٌ يتميّز بها المُسلمونَ عن بعضهِم البعض، بل هيَ خُلاصة أعمال العبد ومدى تقرّبهِ إلى مولاهُ عزّ وجلّ. في هذا المقال سنتحدّث عن هذهِ المراتب وهيَ ثلاث. مراتب الدين الإسلام الإسلام: هوَ أوّل هذهِ المراتب وهيَ المرتبة الأساسيّة التي لولاها لما صحَّ أن يُقال عن صاحبها أنّه مُسلِم، ويكونُ الإسلام بأن يشهد المرءُ بأنّهُ لا إله إلا الله وأنّ مُحمّداً رسولُ الله، وهذا هوَ الرُكنُ الأوّل من أركان الإسلام الخمسة وهوَ الشهادتين، و بقيةُ الأركان.

فالإيمان: اعتقاد بالجنان، قولٌ باللسان، وعمل بالجوارح والاركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. هذا التعريف المستخلص من كتاب الله، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي عرَّفه به أهل العلم من السلف الصالح وأتباعهم

الإحسان: عرفه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .المسلم٩

باب الثالث

الإيمان

الإيمان: اعتقاد بالجنان، قولٌ باللسان، وعمل بالجوارح والاركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

هذا التعريف المستخلص من كتاب الله، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي عرَّفه به أهل العلم من السلف الصالح وأتباعهم.

معنى الإيمان لغةً:

يُعرَف الإيمان في اللغةً بأنّه مصدر آمنَ يُؤمنُ إيماناً، فهو مؤمنٌ، وهو من الأمن أي ضدّ الخوف، مُشتقٌّ من الأمن الذي يَعني القرار والطمأنينة، ويرتبط معنى الإيمان في اللغةً بالإيمان بالمعنى الاصطلاحي؛ وذلك بأنّه يحصل إذا استقرّ في القلب بمُطلَق الاعتقاد والانقياد لله سبحانه. كما يُعرَف الإيمان في اللغةً بعدّة تعريفات، منها الاعتقاد والتّصديق، وقيل بأنّ الإيمان هو الطمأنينة، وقيل هو الإقرار، قوله تعالى: **"قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ"**

تعريف الإيمان اصطلاحاً:

اعتقاد بالجنان، قولٌ باللسان، وعمل بالجوارح والاركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

الايمان عند أهل السنة والجماعة هو اعتقاد و قول وعمل, وكل طاعة هى شعبة من الإيمان أو جزء منه ، الإيمان يكمل باستكمال شعبه وينقص بنقصها ، ولكن منها ما يذهب الإيمان كله بذهابه ومنها ما ينقص بذهابه .

فمن شعب الإيمان أصول لا يتحقق إلا بها ، ولا يستحق مدعيه مطلق الاسم بدونها . ومنها واجبات لا يستحق الاسم المطلق بدونها . ومنها كمالات يرتقى صاحبها إلى أعلى درجاته . (وتفصيل هذا كله حسب النصوص)

أركان الايمان:

أركان الإيمان ورد ذكر أركان الإيمان في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه -عليه الصّلاة والسّلام- في مواضع كثيرة، منها: قوله سبحانه: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ)،[البقرة ٢٨٥] وقوله سبحانه: (لَّيْسَ الْبِرَّأَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِوَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)البقرة ١٧٧ فجعل الله سبحانه أركان الإيمان مُقتصرة على الإيمان والاعتقاد الجازم بهذه الأمور، بالإضافة إلى ما جاء في السُّنّة النبويّة بشكل مُستقلّ، وعلى هذا يُسمّى من آمن بهذه الأركان مُؤمناً، من كفر بها أو بشيءٍ منها كافِراً. قال سبحانه عزّ وجلّ: (وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)، النساء ١٣٦وقال -عليه الصّلاة والسّلام- في الحديث النبويّ حين جاء جبريل عليه السّلام وسأله عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وفيه (... قالَ: أخبرني عنِ الإيمانِ. قالَ: الإيمانُ أن تُؤْمِنَ باللَّهِ، وملائِكَتِهِ، وَكُتبِهِ، ورسلِهِ، واليومِ الآخرِ، والقدرِ كلِّهِ؛ خيرِهِ وشرِّهِ. قالَ: صدَقتَ...)،[مسلم ٨] وبيان هذه الأركان مُفصّلاً حسب ورودها في الآيات والاحاديث.

الإيمان بالله:

يقصد بالإيمان بالله: الإيمانُ الجازمَ والاعتقاد الله عز وجل ، والإيمان بربوبيَّته وألوهيَّته، وحاكميته، وأسمائه وصفاته جميعها، وأنَّه سبحانه وحده المتَّصِفُ بكلِّ صفات الكمال، وأنه وحده المُنَزَّهُ عن كلِّ نقصٍ، فيجب توحيد الله بربوبيَّته، وألوهيَّته، وحاكميته وأسمائه، وصفاته. والمقصود بتوحيد الربوبيَّة: الإقرار بأنَّ الله سبحانه واحدٌ في أفعاله لا شريك له فيها؛ فهو الخالق وليس أحد سواه، وهو الرازق وليس غيره مانع، وهو المُحيي وليس سواه أحد مُميت، وأنّ بيده وحدَه سبحانه تدبيرَ الأمور والتصرّف في الكون إلى غير ذلك مِمَّا يتعلَّق بربوبيَّته سبحانه، و أفراد الله عز وجل بأفعاله النازلة على العالمين.

أما توحيد الألوهيَّة فيعني: توحيد الله سبحانه جلّ وعلا بأفعال العباد، مثل الدّعاء، والخوف، والرَّجاء، والتوكُّل، والاستغاثة، والاستعانة، والذَّبح، وغيرها من أنواع العبادة التي يجب إفراده سبحانه بها، فلا يُصرَف منها شيءٌ لغيره ولو كان ملَكاً أو نبيّاً، و أفراد الله عز وجل بأفعال عباده الصاعدة إليه.

وتوحيد الحاكمية: أفراد الله عز وجل بالحكم والقضاء في الدنيا و الآخرة، وهو وحده المشرع الحاكم، والانقياد لأوامر و أحكام الله عز وجل.

اي: توحيد الحاكمية هو إفراد الله عز وجل وحده في الحكم والتشريع كما قال الله عز وجل {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} وقوله {والله

يحكم لا معقب لحكمه} وقوله {إن الله يحكم ما يريد} وقوله {ولا يُشرك في حكمه أحداً} وقوله {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون} {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله} ، وقال تعالى: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}

أمَّا توحيد الأسماء والصّفات فالمقصود به: إثبات كلِّ ما أثبته الله سبحانه لنفسه، أو أثبته له رسوله عليه الصّلاة والسّلام من الأسماء والصّفات على وجهٍ يليق بجلاله سبحانه، وتنزيهه عن كلِّ ما لا يليق به، حيث قال الله عزَّ وجلَّ: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)شورى ١١**

الإيمان بالملائكة: المقصود الإيمان بالملائكة الإيمانَ بأنّهم خلقٌ من خلق الله سبحانه، ليسوا آلهةً، وقد وصفهم الله بأنّهم عباد مُكرَمون، منهم موكَّلون بحمل عرش الرّحمن، ومنهم من أُوكِل بالجنّة والنّار، ومن أُوكل بكتابة أعمال العباد وإحصائها، ومن الإيمان بهم الإيمان بما ورد من أسمائهم عن الله ورسوله عليه الصّلاة والسّلام، مثل جبريل، وميكائيل، ومالك خازن النَّار، وإسرافيل الموكّل بالنّفخ في الصُّور، وغيرهم ممّا جاء فيه نصٌّ صحيح، وأنّ الموت عليهم جائزٌ إنّما أخّرهم الله لأجلٍ هو به عليم. -اصول الإيمان محمد بن عبدالوهاب.

الإيمان بالكتب السماويّة: والمقصود بالكتب السّماويّة: الإيمان الجازم بوجودها جميعها على أصلها الذي نزلت فيه، ولا يكفي التّصديق الجازم بالقرآن الكريم بالذّات؛ بل لا بدّ أيضاً من الأخذ به، والعمل بما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، وذلك لقوله عزّ وجلّ: **(المص*كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَبِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ). الاعراف ١-٣**

الإيمان بالرُّسُل والأنبياء: ويُقصَد بالإيمان بالرُّسُل والأنبياء التّصديقَ الجازمَ بأنّ الله سبحانه عزّ وجلّ قد بعث في كلّ أمةٍ رسولاً؛ ليدعوهم ويهديهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بالكفر بما يعبدون من دون الله من أصنام وأوثان، وأنّ الرُّسل والأنبياء جميعهم صادقون أتقياء أُمناء، قد أيّدهم الله بالبراهين الظّاهرة والآيات المعجزة، وأنّهم عليهم السّلام أدّوا وبَلَّغوا ما أُرسِلوا به من الله عزَّ وجلّ، وأنّهم لم يكتموا منه حرفاً واحداً، ولم يغيّروا فيه شيء، ولم يزيدوا فيه شيئاً من عند أنفسهم، وأنّهم جميعهم كانوا على الحقّ والهُدى، وأنّ الله سبحانه قد اتّخذ نبيه إبراهيم خليلاً، ونبيه ورسوله محمّداً عليه الصّلاة والسّلام خليلاً، وأنّه جلّ وعلا كلّم موسى تكليماً، ورفع نبيّه إدريس مكاناً رفيعاً كما جاء في القرآن الكريم، وأنّ رسوله عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته التي ألقاها إلى مريم، وأنّ الله سبحانه فضّل بعض الأنبياء على بعضٍ، ورفع بعضهم على بعضٍ درجاتٍ.

حافظ الحكمي معارج القبول

الإيمان باليوم الآخر: والمقصود بالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكلّ ما أخبر عنه النبيّ عليه الصّلاة والسّلام، وثبتت صحّته ممّا يكون من حياة بعد الموت؛ من عذاب القبر، إلى البعث والنشور، ثمّ الجنّة والنّار.

الإيمان بالقدر: المقصود بالقدر هو ما قدَّرَه الله سبحانه وقضاه على عباده جميعاً في علم الغيب عنده، ممّا لا يملك عباده ولا يستطيعون صرفَه أو دفعَه عنهم أو عمّن يحبّون، فيتوجب الإيمان بأنّ كلّ ما قضاه الله سبحانه وقدّره كان بحُكمِه، وكلّ ما أصاب العبدَ فإنّما هو بتقديرٍ من الله سبحانه.

الفرق بين الإيمان والإسلام:

قال العلماء إنّ لفظ الإيمان ولفظ الإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، وهذا يعني أن اجتماع اللفظين معًا في سياق واحد يدلّ على اختلافهما في المعنى، واختلاف المقصود بهما، حيث يكون المقصود بالإسلام الأعمال الظاهرة، كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها، ومن ذلك قول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: "الإسلامُ أنْ تشهدَ أن لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللَّهِ ، وتقيمَ الصَّلاةَ ، وتُؤْتيَ الزَّكاةَ ، وتَصومَ رمضانَ ، وتحجَّ البيتَ إنِ استطعتَ إليهِ سبيلًا" . ويكونُ المقصود بالإيمان الاعتقاد و الأعمال الباطنة، وهي أعمال القلوب، ومنه ما سبق ذكره من حديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- في تعريفه للإيمان، أمّا إذا افترقا أي ورد أحدهما دون الآخر فيكون المقصود به حينئذٍ دين الإسلام كلّه، فورود أحدهما وحده يعني شموله لمعنى الآخر، ووروودهما معًا يعني اختلافهما في المعنى، وهكذا فإن اقتران لفظ الإسلام بلفظ الإيمان يدل على أنّ المقصود بلفظ الإسلام حينئذٍ الأعمال الظاهرة، وأنّ المقصود بلفظ الإيمان الأعمال الباطنة، وعدم اقترانهما يدل على أنّ المقصود هو دين الإسلام كلّه الاعتقاد و القول والاعمال -الاعمال الظاهرة والباطنة- وقد ذهب عامة أهل السنة إلى أن الإيمان والاسلام هو اعتقاد وقول وعمل.

هل الاعمال داخلة للإيمان؟

وقد ذهب عامة أهل السنة إلى أن الإيمان الشرعي هو اعتقاد وقول وعمل. قال الإمام محمد بن إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني: (والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب، والعمل بالأركان). وقال الإمام البغوي: (اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان.. وقالوا: إن الإيمان قول وعمل وعقيدة). وقال الحافظ ابن عبد البر: (أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية... إلا ما ذكر عن أبي حنيفة وأصحابه فإنهم ذهبوا إلى أن الطاعات لا تسمى إيماناً...). (قال الإمام الشافعي في (كتاب الأم).. وكان

الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم ممن أدركنا: أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة عن الآخر). وروى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. رواه اللالكائي

والنصوص عن الأئمة كثيرة جداً في قولهم: إن الإيمان قول وعمل، نقل كثيراً منها المصنفون في عقيدة أهل السنة من الأئمة المتقدمين كالإمام اللالكائي وابن بطه وابن أبي عاصم وغيرهم. ولا فرق بين قولهم: إن الإيمان قول وعمل، أو قول وعمل ونية، أو قول وعمل واعتقاد. فكل ذلك من باب اختلاف التنوع، فمن قال من السلف: إن الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح.

ومن زاد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك، فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد (قول القلب)، وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية (عمل القلب)، فزاد ذلك.

خلاصة ما سبق من حقيقة الإيمان الشرعي أنها (مركبة من قول وعمل، والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب: وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح. فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة، فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان، وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب، وهو محبته وانقياده، كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول، بل ويقرون به سراً وجهراً، ويقولون: ليس بكاذب، ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به) نواقص الإيمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف لمحمد بن عبد الله

أدلة أهل السنة على إدخال الأعمال في مسمى الإيمان منها

قول الله عز وجل: **وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ [البقرة: ١٤٣]** ثبت في سبب نزول هذه الآية كما في حديث البراء الطويل وغيره وفي آخره ((أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى: وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكم ووضع البخاري هذا الحديث في مواضع ومنها (باب: الصلاة من الإيمان) ((فتح الباري)) (١/٩٥).

قال الحليمي: أجمع المفسرون على أنه أراد صلاتكم إلى بيت المقدس، فثبت أن الصلاة إيمان، وإذا ثبت ذلك، فكل طاعة إيمان إذ لم أعلم فارقاً في هذه التسمية بين الصلاة وسائر العبادات ((المنهاج في شعب الإيمان))

كذلك قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا [الأنفال: ١-٤] ومثله جميع الآيات المشابهة كقوله عزوجل إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [النور: ٦٢]** ففي هذه الآيات إشارة إلى أن جميع الأعمال المذكورة من واجبات الإيمان فلهذا نفي الإيمان عمن لم يأت بها، فإن حرف إنما يدل على إثبات المذكور ونفي غيره .((مجموع الفتاوى)) لشيخ الإسلام ابن تيمية ومن الأدلة الصريحة في ذلك حديث وفد عبد القيس وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: ((آمركم بالإيمان بالله وحده)) وقال: ((هل تدرون ما الإيمان بالله وحده))؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ((شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا من الغنائم الخمس)) الحديث رواه البخاري (٥٣)،

. ففي هذا الحديث فسر الرسول صلى الله عليه وسلم للوفد الإيمان هنا بقول اللسان، وأعمال الجوارح ،ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيماناً بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لابد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب هو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال ولم يذكر التصديق مع العلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود) ((شرح العقيدة الطحاوية)) (ص٣٨٩).

ومن الأدلة أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)) الحديث رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

وما في معناه من الأحاديث في نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر وترك الواجبات كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا إيمان لمن لا أمانة له) يقول ابن رجب تعليقاً على ذلك: فلولا أن ترك هذه الكبائر من

مسمى الإيمان لما انتفى اسم الإيمان عن مرتكب شيء منها لأن الاسم لا ينتفي إلا بانتفاء بعض أركان المسمى أو واجباته.

ويقول ابن تيمية: ثم إن نفي الإيمان عند عدمها دال على أنها واجبة فالله ورسوله لا ينفيان اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا صلاة إلا بأم القرآن))رواه البخاري (٧٥٦)، ومسلم (٣٩٤).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له)) ومن الأحاديث أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: ((الطهور شطر الإيمان) ومثله: ((حسن العهد من الإيمان)) وغيرها كثير.

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: ((من أعطى لله ومنع لله، وأحب لله وأبغض لله، وأنكح لله فقد استكمل إيمانه))رواه أبو داود (٤٦٨١).

وهذا يدل على أن هذه الأعمال جزء من مسمى الإيمان يكمل بوجودها وينقص بنقصها، ومثل ذلك جميع الآيات والأحاديث الدالة على زيادة الإيمان ونقصانه كما سيأتي (لأن الأعمال إذا كانت إيمانا كان بكمالها تكامل الإيمان، وبتناقصها تناقص الإيمان وكان المؤمنون متفاضلين في إيمانهم كما هم متفاضلون في أعمالهم، وحرم أن يقول قائل (إيماني وإيمان الملائكة والنبيين واحد) لأن الطاعات كلها إذا كانت إيماناً فمن كان أكثر طاعة كان أكثر إيماناً ومن خلط الطاعات بالمعاصي كان أنقص إيماناً ممن أخلص الطاعات) -المنهاج في شعب الإيمان -

دلائل على زيادة و نقصان الايمان

الايمان عند أهل السنة والجماعة يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية.

المرجئة يقولون الايمان لا يزيد ولا ينقص. الايمان لا يتجزأ ولا يتشعب

كشف شبهتهم

الدلائل من القرآن

القول بأن الإيمان يزيد وينقص هو مذهب أهل السنة والجماعة ، وعقيدة الفرقة الناجية ، وعلى ذلك نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

قال الله عز وجل : **(وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ) التوبة /١٢٤-١٢٥** قال ابن كثير رحمه الله :

" وهذه الآية من أكبر الدلائل على أن الإيمان يزيد وينقص ، كما هو مذهب أكثر السلف والخلف من أئمة العلماء ، بل قد حكى الإجماع على ذلك غير واحد "تفسير ابن كثير

قوله تعالى في أول الأنفال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال: ٢].

وقوله سبحانه في أواخر آل عمران: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ [آل عمران: ١٧٣].

فالمؤمنون يزدادون إيماناً بنزول القرآن والمنافقون يزدادون كفراً ورجساً وينقص إيمانهم إن كان بقي منه شيء قبل نزوله!

وفي سورة الأحزاب: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [الأحزاب: ٢٢].

وفي أول الفتح: هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ [الفتح: ٤].

وفي سورة المدثر: لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا [المدثر: ٣١].

وكما يزيد الإيمان ... فإنه يزيد بزيادة أفراده كالخشوع كما في آية السجدة من الإسراء: وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا[ ]الإسراء: ١٠٩ [.]

وزيادة الهدى والهداية كما في قوله في سورة مريم: وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى [مريم: ٧٦].

وفي سورة محمد: وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ [محمد: ١٧].

وقوله عن الفتية أصحاب الكهف: إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى [الكهف: ١٣].

فما زاد شيء إلا نقص، بدليل كونه قبل الزيادة أنقص منه بعدها.

وكما أن الكفر يزيد كما في قوله تعالى في آيتي المائدة: وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا [المائدة: ٦٤]. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [المائدة: ٦٨].

وقوله في الإسراء:وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا [الإسراء: ٦٠].

وفي آل عمران: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضَّآلُّونَ [آل عمران: ٩٠].

وفي النساء: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا [النساء: ١٣٧].

فكذلك الإيمان يزيد حتى يبلغ أعلى درجاته، والكفر يزيد حتى يسفل إلى أدنى دركاته.

أيضاً مما يدل على زيادة الإيمان عند أهله تفاضلهم فيه، بكون بعضهم أفضل من بعض.

كما قال سبحانه عن الأنبياء: وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَ آتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا [الإسراء: ٥٥].

وفاضل بين المجاهدين وغيرهم في سورة النساء: لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا [النساء: ٩٥-٩٦].

ومن ذلك قوله: الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ [التوبة: ٢٠].

وفاضل بين درجات العلماء أهل الإيمان بقوله في سورة المجادلة: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ[المجادلة: ١١].

ومايز سبحانه بين أهل الطاعة والمعصية بقوله في سورة الجاثية: أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ [الجاثية: ٢١]، وفي سورة الواقعة ذكر أصحاب اليمين، ثم أصحاب الشمال، ثم السابقين. وكل هذه المفاضلات للتمايز في زيادة الإيمان.

ومن السنة : منها:

- في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينهب نُهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها بأبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)).

فنفى عنه كمال الإيمان الواجب بفعل هذه الكبائر، مما دل على نقص الإيمان بفعلها.

وهكذا كل ما ورد من نفي كمال الإيمان الواجب أو المستحب تدل على زيادته، ومن ثمَّ نقصانه!

- ومنها ما عقده البخاري في صحيحه من كتاب الإيمان باباً في تفاضل أهل الإيمان بالأعمال وذكر فيه:

حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: ((يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول عز وجل: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان..)).

مما يدل على أنه أنقص المؤمنين إيماناً، ولو كان الإيمان لا يزيد ولا ينقص لاستحق أهله كلهم الجنة، وبدرجات متساوية!

- وحديث أبي سعيد رضي الله عنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((بينا أنا نائم، رأيت الناس يُعرضون عليَّ وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما دون ذلك، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قالوا: فما أوَّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: الدين)).

حديث أبي هريرة وغيره رضي الله عنهم مرفوعاً: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً))

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((من رأى منكم منكراً... إلى قوله وذلك أضعف الإيمان)).

وفي حديث الأمانة: ((.. وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.. الحديث))

- الأحاديث التي فيها نفي الإيمان كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين)) .

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن... الحديث)).

وقوله: ((لا إيمان لمن لا أمانة له.. الخ)) .

قال النووي: (فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان، وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره، كما يقال: لا علم إلا ما نفع، ولا مال إلا الإبل، ولا عيش إلا عيش الآخرة) .

فالذي يترك هذه المعاصي أكمل إيماناً ممن يقترفها.

- قوله صلى الله عليه وسلم: ((أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)).

قال الحليمي رحمه الله: (فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان إيمان، وأن المؤمنين متفاوتون في إيمانهم، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض)...

قال الإمام البغوي: وقالوا (أي أهل السنة): إن الإيمان قول وعمل وعقيدة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة، وجاء الحديث بالنقصان في وصف النساء) .

وقال الحليمي: (فإذا كانت المرأة لنقصان صلاتها عن صلاة الرجال تكون أنقص ديناً منهم، مع أنها غير جانية بترك ما تترك من الصلاة، أفلا يكون الجاني بترك الصلوات أنقص ديناً من المقيم بها المواظب؟)

اما اهل السنة والجماعة يقولون الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية:

التلازم بين الظاهر و الباطن لا شك فيه عند اهل السنة والجماعة، وان الاعمال داخلة للإيمان.

التلازم بين الظاهر والباطن

وهي أصل آخر إليه يرجع الاختلاف في هذه المسألة، أعني مسألة الإيمان. فإن من لم يفرق بين الإيمان المطلق، ومطلق الإيمان لم يتصور اجتماع الثواب والعقاب، والطاعة والمعصية، والحسنة والسيئة، والسنة والبدعة في الشخص الواحد. وفي هذا يقول الشيخ ابن تيمية في (العقيدة الواسطية) عن أهل السنة والجماعة: (ولا يسلبون الفاسق الملّي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: **وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ [النساء: ٩٢]. وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال: ٢]**. وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن)) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرة. فلا يُعطى الاسم المطلق، ولا يُسلب مطلق الاسم) اهـ فإن الإيمان المطلق هو الإيمان الكامل، الذي تناول فعل المأمور واجتناب المحذور والمحظور. أما مطلق الإيمان، فهذا يشمل الإيمان الكامل، والإيمان الناقص الذي صاحَبَه ذنبٌ كَبُرَ أو صَغُر دون الكفر أو الشرك النافي لأصل الإيمان، فهو الحد الأدنى من الإيمان، وهو القدر الذي يخلص به من الكفر.

فمطلق الإيمان، هو ما بقي فيه أصل الإيمان، وثبت لصاحبه اسم الإيمان، وصح نسبة الإيمان إليه ولو لم يكمله. (مسألة الإيمان لعلي بن عبد العزيز)

وإن ظاهر العبد – عند أهل السنة والجماعة – هو الوجه الآخر لقلبه وباطنه، وأنه انعكاس مباشر له لا يتخلف عنه ولا يغايره، وإذا كان الباطن صالحاً كان الظاهر كذلك، وإذا كان الباطن فاسداً كان الظاهر كذلك فاسداً بحسبه؛ لأن الإيمان أصله في القلب، وهو: قول القلب من المعرفة والعلم والتصديق. عمل القلب من الإذعان والانقياد والاستسلام. ولكن من لوازم هذا الإيمان – إذا تحقق في القلب – تحقيقها في الظاهر، فالظاهر لا يتخلف عن الباطن ولا يضاده؛ لأنه ترجمان الباطن، ومرتبط به ارتباطاً وثيقاً. فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيماً إلا باستقامة الباطن، وكذلك العكس. والإيمان المطلوب شرعاً هو الإيمان الظاهر والباطن، وتلازم

عمل القلب بعمل الجوارح؛ لأنه لا يصح إيمان العبد بواحدة دون الأخرى؛ فمن زعم وجود العمل في قلبه دون جوارحه؛ لا يثبت له اسم الإيمان؛ لأن الأعمال والأقوال الظاهرة من لوازم الإيمان التي لا تنفك عنه، قال الله تبارك وتعالى:**لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [المجادلة: ٢٢]. وقال تعالى: وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالله والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ [المائدة: ٨١]. وقال: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال: ٢-٤].** وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه)) رواه أحمد (١٩٨/٣) (١٣٠٧١). من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٢٢٠/١): رواه أحمد وقال صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإن في الجسد مضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب))رواه البخاري (٥٢)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في شرح هذا الحديث: (فبين أن صلاح القلب مستلزم لصلاح الجسد؛ فإذا كان الجسد غير صالح، دل على أن القلب غير صالح، والقلب المؤمن صالح؛ فعلم أن من يتكلم بالإيمان، ولا يعمل به، لا يكون قلبه مؤمناً، حتى أن المكره إذا كان في إظهار الإيمان؛ فلابد أن يتكلم مع نفسه، وفي السر مع من يأمن إليه، ولابد أن يظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه؛ كما قال عثمان. وأما إذا لم يظهر أثر ذلك إلا بقوله، ولا بفعله قط؛ فإنه يدل على أنه ليس في القلب إيمان، وذلك أن الجسد تابع للقلب؛ فلا يستقر شيء في القلب إلا ظهر موجبه ومقتضاه على البدن، ولو بوجه من الوجوه) ((مجموع الفتاوى)) (١٢١/١٤).

وقال الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث أيضاً: (إن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه.

فإن كان قلبه سليماً، ليس فيه إلا محبة الله، ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله، وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسداً، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب

الاستثناء في الإسلام والإيمان

قول الإنسان (أنا مسلم إن شاء الله).

فجمهور أهل السنة والجماعة؛ لا يرون الاستثناء في الإسلام كما يرونه في الإيمان؛ لأن الإسلام غير الإيمان كما علمنا سابقاً.

فالإيمان درجات، والناس فيه طبقات: منهم المحسن، ومنهم المؤمن، ومنهم المسلم؛ فالإسلام هو أقل هذه الدرجات، وليس وراءه إلا الكفر؛ فمن لم يكن مسلماً كان كافراً، وأما من لم يكن مؤمناً فقد يكون مسلماً، لأن من نطق بالشهادتين أصبح مسلماً، وتميز عن غيره من الكفار، فتجري عليه أحكام الإسلام.

فقد دلت النصوص الشرعية على جواز القول: (أنا مسلم) بدون استثناء؛ كما في قول الله تعالى: **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [فصلت: ٣٣].**

وقوله: **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [الحجرات: ١٤].**

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن هذه الآية: (وهذه الآية مما احتج بها أحمد بن حنبل وغيره على أنه يُستثنى في الإيمان دون الإسلام، وأن أصحاب الكبائر يخرجون من الإيمان إلى الإسلام. قال الميموني: سألت أحمد بن حنبل عن رأيه في أنا مؤمن إن شاء الله؟ فقال: أقول: مؤمن إن شاء الله، وأقول: مسلم ولا أستثني. (١)قال: قلت لأحمد: تفرق بين الإسلام والإيمان؟ فقال لي: نعم. فقلت له: بأي شيء تحتج؟ قال لي: **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا [الحجرات: ١٤]**

فمن دخل في هذا الدين ونطق بالشهادتين فهو المسلم له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، فمثل هذا يقال عنه مسلم، وكل أحد يصح أن يعبر عن نفسه بذلك بدون أن يستثني كما أرشد لذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث سعد، وكما أرشد إلى ذلك الأعراب...

وبهذا يعلم أن الصحيح في مسألة حكم الاستثناء في الإسلام أن يقال: مسلم بدون استثناء، وهذا هو المشهور عن سلف الأمة في هذه المسألة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والمشهور عند أهل الحديث أنه لا يستثنى في الإسلام، وهو المشهور عن أحمد رضي الله عنه، وقد روي عنه في الاستثناء) ((الفتاوى)) (٤٣/٧). وإنما كان السلف لا يستثنون في الإسلام لأسباب أهمها أمران:

الأول: ورد ما يرشد إلى ذلك في نصوص الشرع المطهر، كما في آية الحجرات، وحديث سعد وقد تقدما، وكما في قوله تعالى: **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ [فصلت: ٣٣].**

فهذه النصوص فيها إشارة إلى جواز قول: مسلم بدون استثناء، وآية الحجرات واضحة صريحة في الدلالة على ذلك، ولهذا احتج بها على ذلك غير واحد من أهل العلم...

الأمر الثاني: أن كل من نطق بالشهادتين صار بذلك مسلماً له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، ويكون متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الشرع الجارية على المسلمين، وهذا القدر كل أحد يجزم به بلا استثناء في ذلك.

قال شيخ الإسلام: (ولما كان كل من أتى بالشهادتين صار مسلماً متميزاً عن اليهود والنصارى تجري عليه أحكام الإسلام التي تجري على المسلمين، كان هذا مما يجزم به بلا استثناء فيه) لهذا كان المشهور عن السلف الصالح عدم الاستثناء في الإسلام كما ذكر ذلك شيخ الإسلام فيما تقدم، ومما ورد عنهم في ذلك:

ما رواه هشام الأزدي عن الحسن البصري ومحمد بن سيرين: (أنهما كان يقولان: مسلم، ويهابان مؤمن) رواه عبدالله في ((السنة))

وقال أبو بكر المروزي: (قيل لأبي عبدالله: نقول: نحن المؤمنون؟ قال: نقول: نحن المسلمون)

وقال الأثرم: (قلت لأبي عبدالله: فأما إذا قال أنا مسلم فلا يستثني؟ فقال: لا يستثني إذا قال: أنا مسلم) رواه ابن بطة في الإبانة

باب الرابع

أهمية مسألة الإيمان :

اهمية الإيمان عند أهل السنة والجماعة

مسألة الإيمان من مسائل العقيدة الجليلة التي وقع الاختلاف فيها، والافتراق عليها قديماً في المسلمين؛ بل لا يبعد إذا قيل إنها أول مسائل الاختلاف في هذه الأمة التي وقع النزاع فيها بين طوائفها، فخالف فيها المبتدعة الأمة الإسلامية! كالمرجئة والاشعرية و الخوارج و باقي فرق الضالة.

ومسائل الإيمان يعبر عنها العلماء بمسألة (الأسماء والأحكام) بمعنى: اسم العبد في الدنيا هو هل مؤمن أو كافر أو ناقص الإيمان...؟ وحكمه في الآخرة أمن أهل الجنة هو أم من أهل النار، أم ممن يدخل النار ثم يخرج منها ويخلد في الجنة؟

ولأهمية هذه المسائل ضمنها أهل السنة والجماعة في مباحث العقيدة الكبار، وقال الحافظ ابن رجب مبيناً أهمية هذه المسألة: (وهذه المسائل، أعني مسائل الإسلام والإيمان، والكفر والنفاق مسائل عظيمة جداً.

فإن الله عز وجل علّق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار.

والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية، وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار، واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمنزلة بين المنزلتين.

ثم حدث خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان، ثم جاءت مرجئة العصر وهم لايكفرون الكافرين و يسمون الطواغيت بولاة الامور.

وقد صنّف العلماء قديماً وحديثاً في هذه المسائل تصانيف متعددة، وممن صنّف في الإيمان من أئمة السلف: الإمام أحمد، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وأبو بكر بن أبي شيبة-رحمهم الله تعالى- وكثرت فيه التصانيف بعدهم من جميع ا

وهكذا شأن الابتداع في الدين، فما يبتدع أحد بدعة - ولا سيما في أصول الدين وباب السنة - إلا اتسعت اتساعاً كبيراً شبراً فباعاً فميلاً.. وحسبك أن تعلم ما يقابل هذا الاتساع من خفاء السنن واندراسها.

ولا يبتدع مبتدع من أهل الأهواء بدعة في هذا الباب إلا ويأتي عقبه من يبتدع بدعة تضاد بدعته وتقابلها، حتى يكون الحق عند من يجده وسطاً بين البدعتين، وهذا تلاحظه في:

بدعة الخوارج الوعيدية ومن تبعهم في مسائل الإيمان، ومقابلة المرجئة بطوائفها لهم ببدعتهم، والحق وسط بينهما!

وفي باب الصفات ببدعة الممثلة المشبهة، ومقابلة المعطلة لهم.

وفي باب القدر والإرادة بين بدعة القدرية نفاة القدر، وما قابلها من بدعة الجبرية الغلاة في إثباته.

وفي باب الصحابة والإمامة بين بدعة الخوارج النواصب وما قابلهم من بدعة الروافض.

والحق في كل هو اهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة.

الفرق الذين ضلوا في مسائل الايمان:

الخوارج

الخوارج في اللغة جمع خارج، وخارجي اسم مشتق من الخروج، وقد أطلق علماء اللغة كلمة الخوارج في آخر تعريفاتهم اللغوية في مادة (خرج) على هذه الطائفة من الناس؛ معللين ذلك بخروجهم عن الدين أو على الإمام علي، أو لخروجهم على الناس

الخوارج في الاصطلاح

كل من خرج على الإمام الحق الموحد الذي اتفقت الجماعة الموحدين عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان، اوالذين يخرجون على الدولة الاسلامة فهم خوارج، اما القتال و المعاداة الطواغيت والذين يحكمون بغير ما انزل الله، أو الجبابرة العصر فهو جهاد الحق. لأن الفرق الضالة كالصوفية و المرجئة و الاحزاب ما يسمى بالأسلامة سياسة يتهمون الفرقة الناجية المنصورة باالخوارج بسسب جهادهم ضد الكفار والطواغيت.

الخوارج اسم أطلقه مخالفو فرقة قديمة محسوبة على الإسلام كانو يسمون أنفسهم بـ"اهل الأيمان"، ظهرت في السنوات الأخيرة من خلافة الصحابي عثمان بن عفان، واشتهرت بالخروج على علي بن أبي طالب بعد معركة صفين سنة ٣٧هـ؛ لرفضهم التحكيم بعد أن عرضوه عليهم . وقد عرف الخوارج على مدى تاريخهم بالمغالاة في الدين وبالتكفير والتطرف. وأهم عقائدهم: تكفير أصحاب الكبائر، ويقولون بخلودهم في النار، وكفروا عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة، ويقولون ويحرضون بالخروج على الحكام الظالمين والفاسقين، وهم فرق شتى.

الخوارج هم: الذين خرجوا على عليٍّ بعد قبوله التحكيم في موقعة صفّين بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ولهم ألقاب غيرها عُرفوا بها غير الخوارج، ومنها الحروريّة، والشراة، والمارقة، والمحكمة، وهم يرضون بهذه الألقاب جميعها إلا بالمارقة؛ حيث ينكرون أنهم مارقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة، كما وصفهم الحديث الشريف، حيث رُوِي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (يخرجُ في هذه الأمةِ - ولم يقلْ منها - قومٌ تحقِرون صلاتَكم مع صلاتِهم، يقرؤون القرآنَ لا يجاوزُ حلُوقَهم، أو حناجرَهم، يمرُقون من الدِّينِ مُروقَ السهمِ من الرَّميةِ، فينظر الرامي إلى سهمِه، إلى نصلِهِ، إلى رصافهِ، فيتمارى في الفوقةِ، هل علق بها من الدمِ شيءٌ)

عقائد و أفكار الخوارج :

لم يكن للخوارج عند بدء ظهورهم منظومة أفكار تشكل مذهبهم الذي فارقوا به أهل السنة، فقد كانت مفارقتهم للمسلمين متعلقة باعتراضهم على مسألة التحكيم، إلا أن مذهب الخوارج اتسع في بِدَعِه ومخالفاته، نظرا لما استتبع اعتراضهم الأول من التزامات، ولما استجد عليهم من محدثات، فمن آرائهم: تكفير أصحاب الكبائر، وأهم أفكارهم: البراءة من علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وابن عباس رضي الله عنهم جميعاً واعتبارهم كفاراً، التبروء من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما. تكفير الّذين لا يقولون بتكفير عليّ وعثمان ومعاوية والآخرين الّذين ذكرناهم، والقول إنّ الخلافة ليست محصورةً في بني هاشم فقط كما يرى الشيعة، ولا في قريش فقط كما يرى أهل السنة، بل هي حقٌ لعموم المسلمين من الأمة عربها وعجمها، اي: تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي، فكل من ينصبونه ويقيم العدل فهو الإمام، سواء أكان عبدا أم حرا، عجميا أم عربيا. وذهبت طائفة منهم وهم النجدات إلى عدم حاجة الناس إلى إمام، وإنما على الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أن لابد من إمام جاز لهم أن يقيموا لهم إماماً، إسقاط حد الرجم عن الزاني، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال دون من قذف المحصنات من النساء، إنكار بعضهم سورة يوسف، وهو من أقبح أقوالهم وأشنعها، وهذا القول ينسب إلى العجاردة منهم، حيث قالوا لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن !! القول بوجوب قضاء الصلاة على الحائض، فخالفوا النص والإجماع . وحلق شعر الرأس -سفر-

اخطر فتنة على الأمة الاسلامية

المرجئة و الاشعرية

المرجئة هم فرقة ضالة تنتسب إلى الإسلام، خالفوا رأي أهل السنة في مسائل الإيمان وغيرها من الأمور العقدية، وقالوا بأن كل من آمن بوحدانية الله لا يمكن الحكم عليه بالكفر، لأن الحكم عليه موكول إلى الله عز و جل وحده يوم القيامة، مهما كانت الذنوب و النواقض التي اقترفها. وهم يستندون في اعتقادهم إلى قوله تعالى **(وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)الآية ١٠٦ سورة التوبة** والعقيدة الأساسية عندهم عدم تكفير أي إنسان، أيا كان، ما دام قد اعتنق الإسلام ونطق بالشهادتين، مهما ارتكب من المعاصي، تاركين الفصل في أمره إلى الله عز و جل وحده، لذلك كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

المرجئة لغة و اصطلاحا

المرجئة لغة : من الإرجاء: وهو التأخير والإمهال ، قال تعالى: **(قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) الشعراء/ ٣٦.** أي : أمهله .

وفي الاصطلاح : كانت المرجئة في آخر القرن الأول تطلق على فئتين ، قال ابن عيينة رحمه الله :

" الْإِرْجَاءُ عَلَى وَجْهَيْنِ: قَوْمٌ أَرْجَوْا أَمْرَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ ، فَقَدْ مَضَى أُولَئِكَ ، فَأَمَّا الْمُرْجِئَةُ الْيَوْمَ فَهُمْ قَوْمٌ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ ". "تهذيب الآثار" .

وقال الطبري رحمه الله : " وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي الْمَعْنَى الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ سُمِّيَتِ الْمُرْجِئَةُ مُرْجِئَةً أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْإِرْجَاءَ مَعْنَاهُ مَا بَيَّنَّا قَبْلُ مِنْ تَأْخِيرِ الشَّيْءِ ، فَمُؤَخِّرُ أَمْرَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِلَى رَبِّهِمَا، وَتَارِكُ وَلَايَتِهِمَا وَالْبَرَاءَةُ مِنْهُمَا، مُرْجِئًا أَمْرَهُمَا، فَهُوَ مُرْجِئٌ.

وَمُؤَخِّرُ الْعَمَلَ وَالطَّاعَةَ عَنِ الْإِيمَانِ مُرْجِئُهُمَا عَنْهُ ، فَهُوَ مُرْجِئٌ "، غَيْرَ أَنَّ الْأَغْلَبَ مِنَ اسْتِعْمَالِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِمَذَاهِبِ الْمُتَخَلِّفِينَ فِي الدِّيَانَاتِ فِي دَهْرِنَا هَذَا، هَذَا الِاسْمَ فِيمَنْ كَانَ مِنْ قَوْلِهِ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ ، وَفِيمَنْ كَانَ مِنْ مَذْهَبِهِ أَنَّ الشَّرَائِعَ لَيْسَتْ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ إِنَّمَا هُوَ التَّصْدِيقُ بِالْقَوْلِ دُونَ الْعَمَلِ الْمُصَدِّقِ بِوُجُوبِهِ "تهذيب الآثار" .

واستقر المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف على المعنى الثاني ، وهو القول بأن الإيمان قول بلا عمل ، أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان ، وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص .

اي: إنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العمل عن الايمان، فالرجاء معناه التأخير، يقال: أرجيته، وأرجأته، إذا أخرته.

اعتقادات المرجئة :

لهذه الطائفة اعتقادات كثيرة ، خالفوا بها أهل السنة والجماعة ، نذكر منها :

.تعريف الإيمان بأنه التصديق بالقلب ، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط .

.وأن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ، ولا هو جزء منه ، وأن تركه بالكلية لا ينفى الإيمان بالكلية .

.وأن أصحاب المعاصي مؤمنون كاملو الإيمان بكمال تصديقهم .

فالأعمال عندهم من فرائض الإيمان وشرائعه وثمراته ، وليست من حقيقته في شيء.

.وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص؛ لأن التصديق بالشيء والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان عندهم

ولا يتحكمون بشيء من ذلك فيجعلونه من هذا النوع أو ذاك إلا بدليل شرعي ونص من الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم **{سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا}.. [البقرة: ٣٢].**

أصول عقيدة المرجئة

تكاد فرق المرجئة تتفق في أصولها على مسائل هامة كتعريف الإيمان بأنه التصديق أو المعرفة بالقلب أو الإقرار. وأن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان، ولا هو جزء منه، مع أنهم لا يغفلون منزلة العمل من الإيمان تماماً إلا عند الجهم ومن تبعه في غلوه. وأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأن التصديق بالشئ والجزم به لا يدخله زيادة ولا نقصان.وأن أصحاب المعاصى مؤمنون كاملو الإيمان بكمال تصديقهم وأنهم حتماً لا يدخلون النار في الآخرة.

ولهم اعتقادات أخرى: كالقول بأن الإنسان يخلق فعله، وأن الله لا يرى في الآخرة، وقد تأثروا في هذه الآراء بالمعتزلة، وكذا رأيهم في أن الإمامة ليست واجبة، فإن كان ولا بد فمن أي جنس كان ولو كان غير قرشي، وقد تأثروا بهذا الرأى من الخوارج الذين كانوا ينادون به ولم يطبقوه.

اما مرجئة العصر يقولون: الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان.. أو يقولون هو قول وعمل وهو قول أهل السنة في الإيمان..

لكنهم عند تنزيل ذلك على الواقع وفي الناحية العملية خصوصاً مع نواقض الإيمان يظهر لك أن ركن العمل الذي أثبتوه في تعريف الإيمان مهمل عندهم بل يكاد يكون ساقطاً وملغياً..

نعم هم يقولون - أو أكثرهم - أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما قال أهل السنة.. لكن الذنوب جميعها عندهم ناقصة لكمال الإيمان فقط وليس فيها شيء ناقض لأصل الإيمان، اللهم إلا في حالة واحدة فقط أن يرتبط معها الجحد أو الاستحلال أو الاعتقاد ، ويسمون انفسهم باهل السنة و الجماعة او والسلفيون. وهم اهل الضلالة و سنرد شبهاتهم بإذن الله عز و جل ، و

إن شآء الله سنوضح عقيدة اهل السنة والجماعة وهم أهل الحق وأصحاب الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

واعلم أن الايمان عند مرجئة العصر يكون بالقلب واللسان في الحقيقة لانهم خرجوا الاعمال من الايمان فجعلوا زوال شعب الإيمان كلها ناقص للإيمان فقط، ولا شيء منها مزيل أو ناقض لأصله، اللهم إلا ما تعلق منها بجحدٍ أو اعتقاد ، هذا في الحقيقة اما (لغة لا عملا) يقولون الاعمال عندنا داخل ماهية الإيمان (ولكن الاعمال كلها شرط الكمال).

وذلك أن الخوارج والمعتزلة والمرجئة - الجهمية منهم والفقهاء والكرامية - والاشعرية اتفقوا على أصل واحد انطلقوا منه : هو أن الإيمان شئ واحد لا يزيد ولا ينقص، ولا يتشعب.

المقالات المرجئة المعاصر

تأكيداً لما سبق من أن البدع تتطور، وتتخذ أشكالا وألوانا جديدة من الانحراف، ورغبةً في تحذير أهل الإيمان، من مقالات المرجئة الذين تلاعب بهم الشيطان، فقد رأيت أن أسرد من مقالاتهم ما هو موجود في هذه الأزمنة، مما جزم أهل العلم بأنه من كلام المرجئة، الذي خالفت به أهل السنة:

١- الإيمان هو التصديق والإقرار، وهذا مذهب مرجئة الفقهاء، وإليه ذهب جماعة من الماتريدية والأشاعرة، وهو مقرر في كثير من المعاهد والجامعات.

٢- الإيمان هو التصديق فقط، وقول اللسان شرط لإجراء الأحكام في الدنيا، فمن صدق بقلبه، ولم يأت به- من غير إباء- فهو مؤمن ناج عند الله، وهذا معتمد الأشاعرة والماتريدية، وهو أسوأ من قول مرجئة الفقهاء، كما لا يخفى، بل هو مذهب جهم على التحقيق، إلا أن متأخريهم يثبتون عمل القلب من الإذعان والانقياد، ويجعلونه نفس التصديق، كما سبق.

٣- الإيمان تصديق بالقلب، وعمل بالقلب، دون الجوارح، وهو قول عامة المرجئة، إلا جهما ومن وافقه، كما بين شيخ الإسلام.

٤- الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وهو قول المرجئة الأوائل، وبه يقول أكثر الماتريدية اليوم.

٥- الكفر هو التكذيب، والجحود، وليس شيء من الأقوال أو الأعمال كفرا بذاته، لكن من الأقوال والأعمال ما جعله الشرع علامة على الكفر. وهذا مذهب أبي الحسين الصالحي، وابن الراوندي، وبشر المريسي، وهو قول الأشاعرة والماتريدية، كما سبق. وأسوأ منه ما ذهب إليه بعض المعاصرين، من أنه لا يكفر من قال الكفر أو عمله، (لأن أولئك قالوا: بأن الفعل والقول يكون علامة على الكفر، بحيث يحكم عليه بالكفر لفعله أو قوله، في أحكام الدنيا دون أحكام الآخرة، وأما المتأخرون فلم يحكموا عليه بالكفر فيهما، مما يعني إبطال حد الردة. لكن قول هؤلاء

المتأخرين أخف من قول المرجئة المتقدمين من وجه آخر، وهو إدخال العمل في مسمى الإيمان المطلق، فإن المرجئة الأوائل لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان المطلق، وهؤلاء يدخلونه) .

٦- الكفر لا يكون إلا في القلب، لكنه لا ينحصر في التكذيب، بل يدخل فيه ما يناقض عمل القلب، كالاستكبار وعدم الخضوع، والاستخفاف والعداوة والبغض، وهذا قول بعض المرجئة، كأتباع يونس السمري، وأبي معاذ التومني .

٧- الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد، ويريدون بالاعتقاد: التكذيب، أو الاستحلال، فيرجع إلى قول الأشاعرة والماتريدية السابق. وهو من مقولات غلاة المتصوفة-أيضا- وينسجم مع قولهم: إن دعاء الأموات والذبح والنذر لهم لا يكون كفرا، إلا مع اعتقاد النفع والضر فيهم، استقلالا!

٨- الكفر يكون بالقول وبالفعل، لكن لا يكفر المعين إلا إذا اعتقد الكفر، وهذه حيلة ظاهرة على اشتراط الاعتقاد في التكفير، فلا فرق بين هذا وبين قولهم: الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد، وهو مذهب المرجئة، كما سبق؛ لأن اعتقاد الكفر كفرٌ في حد ذاته، ولو كان القول أو الفعل كفرا-عند هذا المخالف- لم يحتج إلى وجود مكفِّر آخر، وإلا كان ذكره عبثا، وهو قد جعله شرطا!

٩- من سب الله تعالى، أو سب نبيه صلى الله عليه وسلم لا يكفر إلا إذا استحل ذلك. وإليه ذهب بعض الفقهاء كالقاضي أبي يعلى، (وإنما أوقع من وقع في هذه المهواة ما تلقوه من كلام طائفة من متأخري المتكلمين، وهم الجهمية الإناث، الذين ذهبوا مذهب الجهمية الأولى، في أن الإيمان هو مجرد التصديق الذي في القلب وإن لم يقترن به قول اللسان، ولم يقتض عملا في القلب ولا في الجوارح) .

١٠- اشتراط الاستحلال للتكفير بالمكفرات القولية والعملية، كسب الله، والسجود للصنم، ودعاء الأموات، والحكم بالقوانين الوضعية، و موالاة الطواغيت و الكافرين.

وحقيقته حصر الكفر في الاعتقاد، وبيان ذلك، أن من قال هذا فقد جعل الأقوال والأعمال الكفرية، بمنزلة المعاصي، كالزنا وشرب الخمر، وجعل وجودها غير مؤثر في التكفير، بل المؤثر هو اعتقاد حلها، فآل الأمر إلى حصر الكفر في الاعتقاد.

١١- لا يكفر أحد إلا أن يقصد الكفر، ويريده، وينشرح صدره به، وهذا قول مخالف للكتاب والسنة والإجماع، كما سبق، ومؤداه حصر الكفر في القلب، وهو مذهب المرجئة.

وقد يقول بعضهم:

١٢- الكفر يكون بالقول وبالفعل، لكن من شروط التكفير: قصد الكفر، فيرجع إلى ما قبله، من غير شك؛ لأنه إن كان القول كفرا، في ذاته، لم يحتج إلى مكفِّر ثان، وهو قصد الكفر، أو إرادته.

١٣- الكفر يكون بالقول أو الفعل، لكن من فعل ذلك لشهوة، أو لعرض من الدنيا: لم يكفر، وهذا كسابقه؛ لأن حقيقته اشتراط اعتقاد الكفر، أو قصده، وجعل ذلك هو الموجب للتكفير، وقد مضى بيان بطلان هذا القول.

١٤- ترك العمل الظاهر بالكلية ليس كفرا، وهذا قول المرجئة- كما صرح سفيان، وإسحاق- وهو مبني على قولهم في نفي التلازم بين الظاهر والباطن وظنهم أن الإيمان يستقر في القلب، من غير أن يظهر أثره على الجوارح...، وقد حذرت اللجنة الدائمة للإفتاء من بعض الكتب التي ذهبت إلى الحكم بإسلام من ترك جميع العمل الظاهر، واعتبرت ذلك إخراجا للعمل من حقيقة الإيمان الشرعي، وأنه مذهب المرجئة. ومثله قولهم:

١٥- عمل الجوارح شرط كمال للإيمان، وليس ركنا أو جزءا أو شرط صحة لإيمان القلب، وهذا مذهب الأشاعرة.

١٦- عمل الجوارح ركن في الإيمان، لكن تاركه بالكلية- من غير عذر- مسلم تحت المشيئة. ولا فرق بين هذا وبين الذي قبله إلا في اللفظ، وقد حذرت اللجنة الدائمة من أحد الكتب التي تبنت ذلك، واعتبرته داعيا إلى مذهب المرجئة المذموم.

١٧- ترك الصلاة ليس كفرا؛ لأن الكفر عمل قلب، وليس عمل بدن، أو لأن الكفر لا يكون إلا بالقلب، وهذا هو قول المرجئة، وأما من لم يكفر تارك الصلاة، اعتمادا على النظر في الأدلة، مع التسليم بأن الكفر يكون بالقول والفعل، فليس بمرجئ. – واعلم ان دلائل كثيرة و واضحة في مسألة كفر تارك الصلاة -

تنبيه:

١٨- قول المرجئة: أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

اشتهر على ألسنة كثير من الناس أن المرجئة هي الفرقة التي تقول: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة،

، إلا أنه لا يُعلم قائل من أهل العلم قد ذهب إليه، ونسبته إلى مقاتل بن سليمان كذب عليه.

قال شيخ الإسلام: (وأما ما يذكر عن غلاة المرجئة أنهم قالوا: لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد، فلا نعرف قائلا مشهورا من المنسوبين إلى العلم يذكر عنه هذا القول) ((مجموع الفتاوى))

وقال: (وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون: لا يدخل النار من أهل التوحيد أحد، لكن ما علمت معيناً أحكي عنه هذا القول، وإنما الناس يحكونه في الكتب ولا يعيّنون قائله، وقد يكون قول من لا خلاق له، فإن كثيرا من الفساق والمنافقين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب أو مع التوحيد، وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا) ((مجموع الفتاوى))

ما سبق من أقوال المرجئة، قد يخفى أمره على بعض الناس، أو يوجد في زلات بعض المنسوبين إلى العلم، فيقلده فيه غيره، مع كراهته للإرجاء، وذمه للمرجئة، فلا يقال: إنَّ كلَّ من دان بشيء من هذا، فهو مرجئ بإطلاق، ولكن يقال: هذا القول قول المرجئة، والقائل به وافق المرجئة في كذا، أو دخلت عليه شبهة الإرجاء، وهو إن كان معذورا باجتهاد أو تأويل فالله يغفر له، وإن كان جاهلا لم تقم عليه الحجة، فلا يبدَّع ولا يفسَّق، بل يدعى إلى الحق، ويبين له الصواب، وهذا من الإنصاف والعدل الذي أمرنا به، ولذلك لم يقل أحد من أهل العلم- فيما بلغنا- إن القاضي أبا يعلى الحنبلي مرجئ، لموافقته المرجئة- في أحد قوليه- في اشتراط الاستحلال في كفر الساب، بل عُد ذلك منه زلة منكرة، وهفوة عظيمة ((الصارم المسلول)) (٣/٩٦٠).

، غفر الله له. ومعلوم أن الفاضل لا تهدر حسناته لأجل خطأ وقع فيه، واعتبر في ذلك بما ذكره الذهبي عن أبي زرعة قال: (كنت عند أحمد بن حنبل، فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً فجلس، وقال: لا ينبغي أن يذكر الصالحون فيتكأ، وقال أحمد: كان مرجئاً شديداً على الجهمية) .(الإيمان عند السلف وعلاقته بالعمل وكشف شبهات المعاصرين)

باب الخامس

اتهام أهل السنة والجماعة. الطائفة الناجية المنصورة بالخوارج

كشف شبهاتهم

كثيرا يتهم اهل السنة والجماعة بما ليس فيهم و يفترى عليهم من أهل الجهل و حتى ممن ينسب نفسه للعلم ، حتى ترسخت بعض هذه المفاهيم لدى شريحة واسعة من الناس ، مصدقين هذا الكذب و التزوير ، فرأيت من الواجب أن أنافح عن هؤلاء الشباب الطيبين الذين نذروا أعمارهم وأنفسهم في سبيل الله تاركين ملذات الحياة و زهرتها ، شباب حري بنا أن نقبل رؤسهم بدل أن نلمزهم و نصفهم بأشنع الأوصاف ، و لكن هي غربة الزمان التي حدثنا عنه خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، و سيكون الأسلوب ميسرا ما استطعت آملا أن تنال القبول من الله وراجيا بها عفوه ومغفرته من زلاتي و هفواتي إنه غفور رحيم .

ولقد قامت هذه الحملة الظالمة على عدة أسس، منها وصف المجاهدين بـ "التكفيريين" و "الخوارج"و "الغلاة" وهم الذين أقامهم الله لرفع رؤوس أهل الإسلام في هذا الوقت الذي كاد نجم الدين فيه أن يأفل وعراه أن تنفصم - وهي أوصاف تشوه سمعتهم، فعالمهم جاهل، ومجاهدهم خارجي، ومتبعهم تكفيري ضال! وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فإنهم يعلمون يقيناً أن منهج الخوارج يقوم على ثلاثة أسس أصلية، وهي:

١) التكفير بالذنوب غير المكفِّرة، مثل السرقة والزنا وشرب الخمر والكذب، والخوارج أول من كفَّر أهل القبلة بالذنوب بل بما يرونه هم من الذنوب، فقالوا؛ إن من فعل شيئاً من هذه المعاصي فهو كافر خارج عن ملة الإسلام، وهو مخلد في النار مع الكفار الأصليين، ولا يُصَلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولو أقر بالتوحيد وفعل الواجبات الشرعية كلها، واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك.
فكانوا كما نعتهم النبي صلى الله عليه وسلم: (يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان!).

٢) أن معسكرهم ودارهم هي دار الإسلام، ودار غيرهم دار كفر يجب الهجرة منها، وكفَّروا على بن أبي طالب وعثمان بن عفَّان رضي الله عنهما ومن والاهم، وقتلوا على بن أبي طالب رضي الله عنه مستحلين لقتله، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي منهم.

٣) وينبني على الثاني؛ أن من لم يهاجر إليهم ولم يخرج معهم ويحارب المسلمين الموحدين فهو كافر، ولو اعتقد معتقدهم.

وقد خالفوا أهل السنة والجماعة في عدة مسائل، أهمها؛ أنهم أبطلوا رجم المحصن، وقطعوا يد السارق من الإبط، وأوجبوا الصلاة على الحائض في حيضها، وكفَّروا من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن كان قادراً على ذلك.

فهذا مختصر لعقيدة ومنهج الخوارج.
فهل سمع أحد أو قرأ أن المجاهدين أو علماءهم يكفِّرون بارتكاب جريمة الزنا أو شرب الخمر أو الربا أو القتل أو نحو ذلك من الكبائر حتى يوصفوا بأنهم خوارج؟! وهل سمعنا أن جماعات المجاهدين يحكمون على معسكرات غيرهم من أهل التوحيد بأنها دار كفر، وأن من لم يكن معهم من أهل التوحيد والإسلام كفارٌ؟!
سبحانك هذا بهتان عظيم!

وهل قام المجاهدون بما قاموا به من جهاد وعاداهم عليه الشرق والغرب إلا دفاعاً عن هؤلاء المسلمين الموحدين؟ وهل الذين نذروا أنفسهم لجهاد اليهود والنصارى والطواغيت الحاكمين لبلاد المسلمين ومن يستهين بشريعة الله تعالى ودينه خارجي؟!

وهل هناك أعظم من أن يُدْعي هؤلاء الحكام إلى الحكم بشريعة الله، فيقولوا؛ نحن ملزمون بأحكام القانون الوضعي الذي وضعه البشر ولا محيد لنا عنه؟! وهل هناك استهزاء بالدين أعظم من أن تُجْعل أحكام الشريعة الإسلامية مصدراً ثانوياً من مصادر التشريع يحكم بها القضاة بعد القانون الوضعي الكفري

ونحن نذكِّر هنا بقول أحد علماء المسلمين الذين عرفوا خطر هؤلاء الحكام على الإسلام وأهله وحذروا منهم.

وهو الشيخ العلامة المحدث الفقيه أحمد شاكر رحمه الله حيث قال: (وقد وقع المسلمون في هذه العصور الأخيرة فيما نهاهم الله عنه من طاعة الذين كفروا، فأسلموا إلى الكفار عقولهم وألبابهم، وأسلموا إليهم في بعض الأحيان بلادهم، وصاروا في كثير من الأقطار رعية للكافرين من الحاكمين، وأتباعاً لدول هي ألد أعداء الإسلام والمسلمين، ووضعوا في أعناقهم ربقة الطاعة لهم، بما هو من حق الدولة من طاعة المحكوم للحاكم، بل قاتل ناس ينتسبون للإسلام من رعايا الدول العدوة للإسلام إخوانهم المسلمين في دول كانت إسلامية إذ ذاك، ثم عمَّ البلاء فظهر حكام في كثير من البلاد الإسلامية يدينون بالطاعة للكفار عقلاً وروحاً وعقيدةً، واستذلوا الرعية من المسلمين وبثوا فيهم عداوة الإسلام بالتدريج، حتى كادوا يردوهم على أعقابهم خاسرين، وما أولئك بالمسلمين، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)

وقال رحمه الله في بيان حقيقة هؤلاء الحكام وأحكامهم، والذين يحرِّم هؤلاء المنتقدون للمجاهدين الخروج عليهم ويعتبرونه خروجاً عن الإسلام وذلك في تعليقه على تفسير قوله تعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}، حيث قال رحمه الله: (فانظروا أيها المسلمون! في جميع البلاد الإسلامية أو البلاد التي تنتسب إلى الإسلام في أقطار الأرض إلى ما صنع بكم أعداؤكم المبشرون والمستعمرون، إذ ضربوا على المسلمين قوانين ضالة مدمرة للأخلاق والآداب والأديان، قوانين افرنجية وثنية، لم تُبْن على شريعة ولا دين، بل بنيت على قواعد وضعها رجل كافر وثني أبي أن يؤمن برسول عصره عيسى عليه السلام وأصر على وثنيته، إلى ما كان من فسقه وفجوره وتهتكه! هذا هو "جوستنيان" أبو القوانين وواضع أسسها - فيما يزعمون - والذي لم يستح رجل من كبار رجالات القانون المنتسبين ظلماً وزوراً إلى الإسلام، أن يترجم قواعد ذاك الرجل الفاسق الوثني، ويسميها مدونة جوستنيان سخرية وهزءاً بمدونة مالك رحمه الله إحدى موسوعات الفقه الإسلامي

المبني على الكتاب والسنة والمنسوبة إلى إمام دار الهجرة، فانظروا إلى مبلغ الرجل من السخف، بل من الوقاحة والاستهتار!

و قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: (وصار هذا الدين الجديد هو القواعد الأساسية التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام ويحكمون بها، سواء منها ما وافق في بعض أحكامه شيئاً من أحكام الشريعة وما خالفها، وكله باطل وخروج، لأن ما وافق الشريعة إنما وافقها مصادفة لا اتباعاً لها، ولا طاعة لأمر الله وأمر رسوله، فالموافق والمخالف كلاهما مرتكس في حمأة الضلالة، يقود صاحبه إلى النار لا يجوز لمسلم أن يخضع له أو يرضى به)

فيجب علينا ان نعرف الخوارج و صفاتهم لكي نتميز بين المرجفون من جهة و الخوارج من جهة و اهل السنة والجماعة من جهة.

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الزَّاهِدُ، ثنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ بَحْرٍ الْبُرِّيُّ، ثنا أَبِي، ثنا هِشَامُ بْنُ يُوسُفَ الصَّنْعَانِيُّ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، وَسَيَجِيءُ قَوْمٌ يُعْجِبُونَكُمْ، وَتُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، وَيَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ، وَلَيْسُوا مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْعَتْهُمْ لَنَا. قَالَ: «آيَتُهُمُ الْحَلْقُ وَالتَّسْبِيتُ» يَعْنِي اسْتِئْصَالَ التَّقْصِيرِ. قَالَ: وَالتَّسْبِيتُ اسْتِئْصَالُ الشَّعْرِ، «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «وَهُوَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»

فالقاعدة الشرعية إذا :

يجب صحة تصور الوصف و تحققه وثبوته في الموصوف به ليكون الإطلاق صحيحا ، و فساد الأول وهو التصور يعني فساد الثاني وهو تنزيل الوصف على المعين .

من هذه المقدمة يتبين لنا بطلان ما يطلقه المرجفون و المنافقون و أهل الفتن و البدع على أهل الجهاد و التوحيد من أنهم (خوارج) .

فإن هذه الأوصاف أوصاف شرعية لها معان شرعية , و إذا أعملنا عليها القواعد السابقة يتبين لنا جهل هؤلاء البطالين .

فأولا إطلاقهم لهذا الحكم و الاسم يحتاج لتصوره تصورا صحيحا , فلابد من معرفة معنى (الخوارج) حتى يصح وصفهم إن ثبت , و حتى نكون عادلين في التعامل معهم , لنفترض أن بعضهم يعرف معنى الخوارج و وما هي عقيدتهم ، لا أنهم يقلدون غيرهم من علماء السوء و أبواق الإعلام ، ككثير من عامة الناس الذين يهذون بما لا يعلمون ، و هم عن طريق الحق ناكبون و الله المستعان

عقيدة الخوارج باختصارهي :

١ . تكفير أصحاب الكبائر، و تكفير من لم يكفر أصحاب الكبائر

٢ . تكفير عثمان و علي رضي الله عنهما، وأهم أفكارهم: البراءة من علي، وعثمان، وطلحة، والزبير، وعائشة، وابن عباس رضي الله عنهم جميعاً واعتبارهم كفاراً

٣ . يعتقدون أن الأصل في الناس الكفر .

٤. بعضهم يقول بخلق القرآن .

٥ . بعضهم ينكر عذاب القبر و فتنته .

٦ . بعضهم ينكر رؤية الله في الآخرة .

٧ . يعتقدون بوجوب الخروج على الأئمة المسلمين -الموحدين-

٨ . يعتقدون إذا كفر الحاكم كفرت الرعية كلها .

٩ . يرى بعضهم كفر من خالفهم و أن دارهم دار كفر و أن من لم يهاجر إليهم فهو كافر .

لما تتبعنا معتقد المجاهدين لم نجد ما يصف به هؤلاء الأفاكون ، بل وجدناه معتقدا صافيا لا غبش غبش فيه ولا خلط ولله الحمد ، و ها هو أمامكم ملخصا ليعلم الجميع أن صفات الخوارج السابقة ليست فيهم ولا هم يعلمون بها بل هم أشد من ينكرونها :

١ . اعتقادهم أن الأصل في من يعيش بين المسلمين الإسلام و لا ينتقل عن هذا الأصل إلا بارتكاب نواقض الإسلام .

٢ . يرون أن التكفير حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وسلم لا بالهوى و الآراء .

٣ . لا يكفرون أحدا إلا إذا تلبّس بناقض من نواقض الإيمان , فعند ذلك يتنزل عليه الحكم و الوصف عند توفر الشروط المعتبرة و انتفاء الموانع المعتبرة .

٤ .يعتقدون معتقد أهل السنة و الجماعة في مسائل (عدم القول بخلق القرآن , ثبوت عذاب القبر , ثبوت صفة كلام الله , ثبوت رؤية الله تعالى في الآخرة) .

٥ . يرون أن من يقول بكفر أصحاب الكبائر أنهم من الخوارج .

٦ . لا يقولون بالخروج على الحاكم المسلم و هو من (حكم بالشرع و أقام الكتاب و السنة في حكمه , ولم يوال الكفار و يظاهرهم على المسلمين) .

٨ . و يعتقدون أن كفر الحاكم لا يستلزم كفر الرعية .

فبعد تبيُّن معتقد المجاهدين تبيَّن لنا تزوير و كذب الذين يقولون عنهم خوارج , فإنهم أطلقوا عليهم اسما لا ينطبق عليهم و لا علاقة لهم به .

باب السادس

لا اله الا الله

لا إله إلا الله هي كلمة التوحيد الخالص، وهي أعظم فريضة فرضها الله على عباده،

التوحيد هو أفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، (فلا إله) هذا ترك عبادة ما سواء الله، (إلا الله) هذا أفراد الله جل وعلا بالعبادة، فهي اشتملت على نفي وإثبات، نفي الشرك واثبات التوحيد لله عز وجل، ولذلك تسمى كلمة (الإخلاص)، تسمى العروة الوثقى، (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى)، وهذا معنى (لا إله إلا الله)، (يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) هذا معنى:(لا إله)، ويؤمن بالله وهذا معنى: (إلا الله)، (فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى): (لا إله إلا الله)، وهي كلمة التقوى، وألزمهم كلمة التقوى، كانوا أحق بها وأهلها، وهي كلمة عظيمة، لما تشتمل عليهِ من توحيد لله وعبادته، ونفي عبادتهِ ما سواه ، وإبطال عبادة ما سواء الله سبحانه وتعالى، وبذلك تجتمع أنواع التوحيد الاربعة: توحيد الربوبية، توحيد الإلوهية، توحيد الحاكمية و توحيد الأسماء وصفات.

لا إله إلا الله نافية مثبتة، نافية للأنداد والأضداد والشركاء والدخلاء والطواغيت والأوثان، مثبتة الألوهية للخالق الحق، الحي القيوم، مثبتة له العبودية والعظمة والتفرد والكمال والملك والحكم والجلال، أن فرق الضالة كالمرجئة والصوفية والأحزاب ما يسمى بالاسلامية السياسية يستدلون بأحاديث تفيد أن من قال: (لا إله إلا الله)، دخل الجنة،

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم ما اقتصر على هذه الأحاديث، فالرسول صلى الله عليه وسلم له أحاديث أخرى تقيد هذه الأحاديث، ولابد من أن تجمع بين كلام الرسول صلى الله عليه وسلم بعضه إلى بعض لا أن تأخذ منه طرفا وتترك طرفا لأن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر بعضه بعضا، أما الذي يأخذ طرفاً ويترك، طرفاً فإنه من أهل الزيغ الذين يتبعون: مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ[آل عمران: ٧]. الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من قال: ((لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله)) (مسلم٢٣) . وهذا حديث صحيح، فلماذا غفلتم عنه، وقال صلى الله عليه وسلم: ((فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله)) (مسلم٣٣) ، أما الذي يقول (لا إله إلا الله)، ولا يكفر بما يعبد من دون الله، ولا يكفر الطواغيت بل يوالّيهم، فإن هذا لا تنفعه (لا إله إلا الله)؛ لأن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر بعضه بعضاً، ويقيد بعضه بعضاً فلا تأخذ بعضه وتترك بعضه، والله سبحانه وتعالى يقول: **هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ [آل عمران: ٧]** يأخذون الذي يصلح لهم، ويتركون الذي لا يصلح لهم،

ويقولون: استدللنا بالقرآن. نقول: ما استدللتم بالقرآن، فالقرآن إذا قال كذا فقد قال كذا، فلماذا تأخذون بعضه وتتركون بعضاً؟ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا [آل عمران: ٧]، المحكم والمتشابه، فيردون المتشابه إلى المحكم، ويفسرونه به ويقيدونه به، ويفضلونه، أما إنهم يأخذون المتشابه ويتركون المحكم فهذه طريقة أهل الزيغ. فالذين يأخذون بحديث أن من قال: ((لا إله إلا الله دخل الجنة))، ويقتصرون على هذا، ولا يوردون الأحاديث الواضحة التي فيها القيود، وفيها التفصيل، فهؤلاء أهل زيغ. فيجب على طالب العلم أن يعرف هذه القاعدة العظيمة؛ لأنها هي جماع الدين وأساس الملة. ليس المقصود أنك تأخذ آية أو حديثاً وتترك غيره، بل المقصود أنك تأخذ القرآن كله، وتأخذ السنة كلها، وكذلك كلام أهل العلم. العالم إذا قال كلاماً لا تأخذه وحده حتى ترده إلى كلامه الكامل، وتتبع كلامه في مؤلفاته؛ لأنه يقيد بعضه بعضاً؛ لأنهم على سنن كتاب الله وسنة رسوله، فترد المطلق إلى المقيد من كلامهم، فطالب العلم يجب عليه أن يأخذ هذه القاعدة معه دائماً، ويحذر من طريقة أهل الزيغ الذين يأخذون الذي يصلح لهم من الكتاب، ومن السنة، ومن كلام أهل العلم، ويبترون النقول، ويتركون باقي الكلام، أو يتركون الكلام الثاني الذي يوضحه، ويأخذون الكلام المشتبه ويتركون الكلام البين، كثير من الذين يدعون العلم غفلوا عن هذا الشيء، إما عن قصد التضليل، وإما عن جهل، فيجب معرفة هذه الأمور، وأن تكون أصولاً وقواعد عند طالب العلم). اهـ

ليس المقصود قول: (لا إله إلا الله) باللسان فقط من غير فهم لمعناها، لابد أن تتعلم ما معنى (لا إله إلا الله)، أما إذا قلت وأنت لا تعرف معناها، فإنك لا تعتقد ما دلت عليه، فكيف تعتقد شيئاً تجهله، فلابد أن تعرف معناها حتى تعتقده، تعتقد بقلبك ما يلفظ به بلسانك، فلازم أن تتعلم معنى (لا إله إلا الله). أما مجرد نطق اللسان من غير فهم لمعناها فهذا لا يفيد شيئاً. أيضاً لا يكفي الاعتقاد بالقلب ونطق اللسان، بل لابد من العمل بمقتضاها، وذلك بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة من سواه سبحانه وتعالى، فـ (لا إله إلا الله) كلمة نطق وعلم وعمل، ليست كلمة لفظ فقط.

أما المرجئة والأحزاب ما يسمى بالإسلامية السياسية فهم يقولون: يكفي التلفظ بـ (لا إله إلا الله)، أو يكفي التلفظ بها مع اعتقاد معناها، والعمل ليس بلازم، من قالها ولو لم يعمل شيئاً من لوازمها من أهل الجنة، ولو لم يصل، ولم يزك، ولم يحج، ولم يصم، ولو فعل الفواحش والكبائر والزنا والسرقة وشرب الخمر، وفعل ما يريد من المعاصي، وترك الطاعات كلها؛ لأنه تكفيه (لا إله إلا الله) عندهم، هذا مذهب المرجئة والصوفية والأحزاب ما يسمى بالاسلامية السياسية، الذين يخرجون العمل من حقيقة الإيمان ويعتبرون العمل إذا جاء فبها ونعمت، وإن لم يجئ فإنها تكفي (لا إله إلا الله) عندهم.

أما الجمع بين الاحاديث:

من طريق الزهري عن عطاء بن يزيد الليثي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، ((أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة... فذكر الحديث))، وفيه: ((حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله، فيعرفونهم في النار بأثر السجود، تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة، فينبتون تحته كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل....)) الحديث.

في حديث البخاري يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده، وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج، ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم، فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء يقال له: ماء الحياة....) البخاري٦٥٧٣

ولما وفرغ الله من حساب الناس وأدخل من بقي من أمتي النار مع أهل النار. فيقول أهل النار: ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله عز وجل لا تشركون به شيئاً. فيقول الجبار عز وجل: فبعزتي لأعتقنهم من النار. فيرسل إليهم فيخرجون وقد امتحشوا فيدخلون في نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت الحبة في غثاء السيل، ويكتب بين أعينهم: هؤلاء عتقاء الله عز وجل، فيذهب بهم فيدخلون الجنة، فيقول لهم أهل الجنة: هؤلاء الجهنميون. فيقول الجبار: بل هؤلاء عتقاء الجبار عز وجل))

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (ووقع في رواية عمرو بن أبي عمرو عن أنس عند النسائي ذكر سبب آخر لإخراج الموحدين من النار ولفظه: ((وفرغ من حساب الناس وأدخل من بقي من أمتي النار مع أهل النار، فيقول أهل النار: ما أغنى عنكم أنكم كنتم تعبدون الله لا تشركون به شيئاً. فيقول الجبار: فبعزتي لأعتقنهم من النار فيرسل إليهم فيخرجون)). وفي حديث أبي موسى عند ابن أبي عاصم والبزار رفعه: ((وإذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة يقول لهم الكفار: ألم تكونوا مسلمين؟ قالوا بلى. قالوا: فما أغنى عنكم إسلامكم وقد صرتم معنا في النار؟ فقالوا: كانت لنا ذنوب فأخذنا بها. فيأمر الله من كان من أهل القبلة فأخرجوا. فقال الكفار: يا ليتنا كنا مسلمين))

فهؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن: يعبدون الله، وهم من أهل القبلة، فكيف يظن أنهم لم يعملوا شيئاً من أعمال الجوارح؟

شروط لا اله الا الله

غير أنه ليس المقصود من دعوة الرسل مجرد التلفظ بالكلمة فحسب، بل لا بد من توفر شروطها حتى تكون نافعة عند الله سبحانه وتعالى.

اعلم هداك الله : أن « لا إله إلا الله » لا تُقبل من قائلها ولا ينتفع بها إلا إذا أدى حقها وفرضها واستوفى شروطها الواردة في الكتاب والسنة وهي شروط عشرة مهمة يجب على كل مسلم تعلمها والعمل بها

١- العلم بمعناها: وذلك بأن يعلم الناطق بها معنى هذه الكلمة وما تضمنته من نفي الألوهية عن غير الله وإثباتها له سبحانه، قال تعالى: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ} [محمد:١٩].**

٢- اليقين: بمعنى ألا يقع في قلب قائلها شك فيها أو فيما تضمنته، لقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحجرات:١٥] وقال صلى الله عليه وسلم: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة» (رواه مسلم) .

٣- القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه وجوارحه: والمراد بالقبول هنا هو المعنى المضاد للرد والاستكبار، ذلك أن الله أخبرنا عن أقوام رفضوا قول لا إله إلا الله، فكان ذلك سبب عذابهم، قال تعالى: **{إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ.إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ} [الصافات:٣٤-٣٥]**

٤- الانقياد لما دلت عليه: بمعنى أن يكون العبد عاملاً بما أمره الله به، منتهياً عما نهاه الله عنه، قال تعالى: {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ} [لقمان:٢٢]، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " العروة الوثقى هي لا إله إلا الله

٥- الصدق: ومعناه أن يقولها صادقاً من قلبه، يوافق قلبه لسانه قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ.يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ} [البقرة:٨-٩].**

٦- الإخلاص: وهو إرادة وجه الله تعالى بهذه الكلمة، قال تعالى: **{وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ} [البينة:٥].**

٧- المحبة لهذه الكلمة ولأهلها العاملين بها الملتزمين بشروطها، وبُغض ما ناقضها، قال تعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ} [البقرة:١٦٥].** فهذا هو معنى هذه الكلمة، وهذه هي شروطها التي بها تكون سبب النجاة عند الله سبحانه. وقد قيل للحسن إن أناساً يقولون: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: من قال: لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة. فلا إله إلا الله لا تنفع قائلها إلا أن يكون عاملاً بها، آتيا

بشروطها، أما من تلفظ بها مع تركه العمل بما دلت عليه، فلا ينفعه تلفظه حتى يقرن بالقول العمل، نسأل الله العلي العظيم أن يجعلنا من أهل لا إله إلا الله العاملين بها ولأجلها.

٨- الكفر بالطاغوت: معناه البراءة منه واعتقاد بطلانه، قال الله سبحانه: **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى [البقرة:٢٥٦]** فمن لم يؤمن بهذا فليس بمسلم ولو كان يزعم أنه مسلم.

٩- العيش معها: أي قالها عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها، ولا ينقض دينه بأحد من نواقض الإسلام. قال الله عز وجل: **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ**

١٠- الموت عليها: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»

يتلخص فضل قول لا إله إلا الله فيما يأتي:

أ- براءة من الشرك، وهي كلمة التقوى والإخلاص والتوحيد، إذ إنَّ الله تعالى خلق الخلق، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لأجلها، ولها أيضًا أعدّ الله دار الثواب ودار العقاب، وأمر الرسل لأجلها بالجهاد.

ب- مفتاح الجنة، ودعوة الرسل، ومن فضلها أنَّه من كانت آخر كلامه في الدنيا دخل الجنة، فوجبت بها المغفرة، كما ينجو بها المسلم من النار. سبب في دخول الجنّة والعتق من النار، إذا استوفت شروطها، وانتفت موانعها.

ت- نعمة أنعمها الله على عبادة أن عرّفهم بها، كما يُعصم بها دم قائلها وماله، أمّا من أباها فإن ماله ودمه مهدور.

ث- أفضل الكلام، وأحبّه إلى الله تعالى، وهي أوّل ما دعا إليه الرسل الكرام عليهم السلام، وأوّل ما دعا إليه خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم.

نو اقض لا إله إلا الله

تعتبر النواقض هي كل ما يفسد ويبطل معن كلمة التوحيد، فلا عبرة لمن قال كلمة التوحيد واعتقدها إذا كان عنده ناقض من نواقض الإسلام، ومن نواقض الإسلام وكلمة الشهادة الشرك بالله تعالى، ومن مظاهر الشرك بالله العبادة لغير الله ومنها الدعاء أو السجود أو الذبح لغير الله، ومن النواقض عدم الكفر بالطاغوت، أو الحكم بغير ما أنزل الله، أو من لم يكفر الكافرين أو شك في كفرهم، أو بغض شيء من شرائع الله أو الاستهزاء بها، أو معاونة المشاركين وموالاتهم على المسلمين...

باب السابع

العبادة

قال الله عزوجل : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون

العبادة لغة: هي الطاعة مع الخضوع والتذلّل بقصد التعظيم، وهو غير جائزٍ إلّا لله عز وجل، و العبودية تطلق على إظهار التذلّل والخضوع، أمّا العبادة فهي أبلغ منها، فالعبادة هي الغاية في التذلّل. و اصل العبودية: الخضوع والتذلل.

العبادة في الاصطلاح: العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة.

وتعرّف العبادة الشرعية بأنّها الانقياد والخضوع لله تعالى، مع التقرّب إليه وما شُرِع من محبته، وعرّف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- العبادة بأنّها اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبه الله -تعالى- ويرضاه من الأقوال والأفعال، سواءً كان القول أو الفعل ظاهراً أم باطناً، ومثال العبادة الظاهرة: الصلاة، والزكاة، والحجّ، والدعاء، والذكر، إضافة إلى بِرّ الوالدين، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإحسان إلى الخَلق، وغير ذلك من الأعمال والأقوال، ومثال العبادة الباطنة: حُبّ الله ورسوله، والخوف من عذابه ، والرجاء لرحمته، والتوكُّل عليه، وشكره، والصبر على أحكامه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها

إذا عرفنا العبادة هي الخضوع الانقياد و الطاعة لله عز وجل فيجب علينا أن نعرف: الانقياد يكون بالطاعة فيما أمر الله به وأمر به رسوله صلى الله عليه وسلم، والتحاكم بأحكامه ، فمن الناس من يدعون الاسلام و يخرجون الاعمال من الايمان، فهم ما يعبدون الله في الحقيقة. والانقياد لابد أن يكون بالطاعة، فإذا لم يكن بطاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، كالذين ينقادون للطواغيت و يطيعون قوانين الوضعية فليسوا من المسلمين ولو كانوا يدعون ذلك؛ حتى ولو تعب المتعبد واجتهد حتى ولو حصل عليه ما حصل في هذا السبيل الذي ليس بطاعة لرسول الله فليس من الإسلام،، سواء بذل مالاً أو وقتًا؛ لأنه مردود على فاعله حتة يرجع لعبادة الله عز وجل بالتوحيد.

أما كون الإنسان يتعبّد ويعبد مع الله غيره، كما يفعله طوائف ممن ينتسب إلى الإسلام، يعبدون الله ولكنهم يذبحون للجن وللشياطين، ويدعون الأموات، ويفعلون بعض الشركيات، فهؤلاء ما يعبدون الله وحده، هذا شيء محسوس عند كثير ممن ينتسب إلى الإسلام، وكذلك من يكون فيه

تصوف فهو يتعبد لكن بغير الاتباع؛ أي على غير متابعة للرسول صلى الله عليه وسلم ، يتعبد بطرق غير مشروعة، يتعبد ويجتهد ويظن أن تعبده من الإسلام وليس من الإسلام، إذا العبادة تكون بشرطين الإخلاص بالتوحيد – والإتباع.

و واجب علينا أن نعبد الله وحده مخلصا له الدين ،

كما قال تعالى: **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} الذاريات آية: ٥٦.**

فإذا عرفت أن الله عز و جل خلقك لعبادته، فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، والعبادة تنطلق بالشرك و الكفر كما الطهارة تبطل بالحدث أو أحد نواقض الطهارة، وإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كالحدث إذا دخل في الطهارة.

اذاً الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين في النار.

قال الله عز و جل: {إِنَّ اللَّه لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} سورة النساء

ومن أنواع العبادة

قال الله عز وجل **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ [الذاريات:٥٦]** وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: **اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ [الأعراف:٥٩]** وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ [النحل:٣٦]** وقال تعالى: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء:٢٥]** وقال تعالى: **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ [الأنبياء:٩٢]** كما قال في الآية الأخرى: **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ [المؤمنون:٥١]** وجعل ذلك لازما لرسوله إلى الموت قال: **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر:٩٩]** وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: **وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ [الأنبياء:١٩]** وقال تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ [الأعراف:٢٠٦]** وذم المستكبرين عنها بقوله: **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [غافر:٦٠]** ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى: **عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا [الإنسان:٦]** وقال: **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا [الفرقان:٦٣]** الآيات ولما قال الشيطان: **قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ [الأعراف:١٦]** قال الله تعالى: **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ**

سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ [الحجر:٤٢] وقال في وصف الملائكة بذلك: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ [الأنبياء:٢٦] إلى قوله: وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ [الأنبياء:٢٨] وقال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا [مريم:٨٨] وقال تعالى عن المسيح الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة: إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ [الزخرف:٥٩]

وأوّل واجبات هذا العبد أن يعرفَ ربّه، فيُقرّ له بأنّه خالقه، ورازقه، وأنّه المُستحِقّ وحده للعبادة، قال -تعالى-: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) وعليه فإنّ الهدف الأصيل من اختيار الله للإنسان خليفة له في الأرض أن يعبدَ الله كما يحبّ، ويرضى، كما أنّ إرادة الله اقتضت أن يكون الإنسان سيّدَ المخلوقات الأخرى جميعها في الأرض، بل إنّ أجراماً أكبر من الأرض، كالشمس، والنجوم، سخّرها الله؛ لتسهيل حياة الإنسان، وصلاحها على الأرض؛ حتى يؤدّي واجب الخلافة، فلا ينبغي بعد ذلك أن يقع الإنسان في الضلال؛ فيعبدَ المخلوقات التي سخرّها الله لخدمته.

العبادة وبيان مُستَحِقّها

واجب الإنسان أن يوجّه العبادة إلى الله؛ خالقه، ومُستخلِفه في الأرض، وقد بيّن الله المنهج والطريق الذي يجب أن يسلكه الإنسان، فأرسل إليه الرُّسُل المُؤيَّدين بالمعجزات، وأرسل معهم الكُتب التي فيها البيان الشافي، وقد كشف القرآن الكريم أنّ جوهر رسالة الأنبياء جميعهم هي الدعوة إلى عبادة الله وحده، قال -تعالى-: (وَلَقَد بَعَثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطّاغوتَ)، وقد استفتح كلّ نبيّ كلامَه مع قومه بهذه الدعوة، قال -تعالى- على ألسنة الرُّسُل: (اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ)؛ ففطرة الإنسان السويّة تُقرّ بأنّ الله وحده هو المُستحِقّ للعبادة، وهو عهدٌ غرسه الله في فطرة الإنسان منذ خَلقه، ولا يُستثنى من ذلك الرُّسُل أنفسهم؛ فهم أعبدُ الناس لله.

الذي يستحق العبادة هو الله جل وعلا وحده دون غيره، فإن العبادة لا تكون إلا للخالق المنعم كما قال الله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: ٥] وهذا أسلوب يفيد الحصر والاختصاص ، ومعنى هذه الآية مركب من أمرين: نفي وإثبات، فالنفي: خلع جميع المعبودات بغير حق في جميع أنواع العبادات. والإثبات: إفراد الله تعالى وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع، فقوله: إِيَّاكَ يفيد الحصر: أي لا أحداً سواك، وهذا هو النفي، أما الإثبات ففي قوله: نعبد أي وحدك، وهذا المعنى يستفاد من آيات كثيرة في القرآن، منها قوله تعالى: وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً

أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ [النحل: ٣٦] وقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ [البقرة: ٢١] فهذا إثبات، ثم ذكر النفي في آخر الآية التالية: فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢٢] ومنها قوله: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ [البقرة: ٢٥٦]. فالنفي في قوله: (فمن يكفر) والإثبات في قوله: (ويؤمن بالله).

ومن الآيات الدالة على استحقاق الله للعبادة وحده دون ما سواه قول الله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ [الزخرف: ٨٧] والمعنى كما قال ابن جرير: (فأي وجه يصرفون عن عبادة الذي خلقهم ويحرمون إصابة الحق في عبادته!) ((تفسير الطبري))

وبالجملة فإن العبادة: (لا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى) وأما سببها الذي تستحق به فهو الاتصاف بصفات الكمال والتنزه عن النقص فالله هو الخالق لجميع الخلق والمسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة، وكلهم مفتقرون إليه ويرغبون نعمته وفضله، فالحاجة والرغبة في نعمته وفضله يبعثان على الانقياد لله والخضوع له، وبه يعلم أن العبادة: (لا تستحق إلا لله عز و جل) وقال ابن كثير (إنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره، ولهذا قال: فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ [البقرة: ٢٢].

فلما كان هو المالك المتصرف في الأمور كيف شاء، كان له سبحانه أن يأمر بما يشاء وينهى، وإنه سبحانه قد أمر بعبادته وحده لا شريك له ونهى عن عبادة غيره.

ويدل على صحة ما ذكرته من السبب الذي تستحق به العبادة ما يذكره الله تعالى من أدلة دالة على استحقاقه وحده العبادة دون غيره، ومن ذلك: بيان أنه الخالق الرازق المنعم، وبيان أن غيره عاجز ضعيف لا يملك شيئاً، وبيان أن الأمر كله له شرعاً وجزاءً ...وبهذا يتضح سبب وقوع بعض الناس في الشرك بالله تعالى، وذلك لظنهم أن غير الله تعالى يكون منعماً بشيء استقلالاً أو له تأثير في التصرف ونحو ذلك فيقع في تعظيمه والخوف منه ورهبته ورجائه، وتلك هي عبادته.

والأدلة الدالة على استحقاق الله تعالى العبادة والسبب الذي استحق به العبادة كثيرة.

و مع ذلك إنَّ أكثر الناس يقرّون بربوبيَّة الله سبحانه وتعالى، وإنَّما كان سبب شركهم وكفرهم عدم إقرارهم بتوحيد الألوهيَّة، فقال تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُوْلُنَّ اللّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُوْنَ (٨٧) الزخرف؛ فكيف إذًا يصرفون عن الإيمان بألوهيته بعد اعترافهم بربوبيته. بل هناك بعض المنتسبين إلى الإسلام قد يصرفون العبادة لشخص ميّت بالتوسّل إليه، أو النذر له، أو غير هذا من الأمور، ويظنون أنَّ ذلك وسيلة تقربهم إلى الله، وهذا هو عين الشرك الذي كان يقع فيه المشركون في الجاهلية.

ومنهم من يطيعون للطواغيت و القوانين الوضعية وهذا هو الشرك الذي وقع كثير من الناس في عصرنا.

ولقد توافرت الأدلة الشرعية والمنطقية على ألوهيَّة الله سبحانه و تعالى. ومنها:

١: أفراد الله عز وجل بالتوحيد الربوبية والألوهية والحاكمية والأسماء والصفات وهو الله لا إله إلا هو.

٢: فإن الرسل جميعهم قد جاءوا بإخلاص الدين كله لله واتفقوا على ذلك، وهذه حجة برهانية في أن الله هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له وأنه لا منازع له في ذلك، ولذلك يطالب المشركين بأن يذكروا ما عندهم من براهين توجب العبادة لغير الله سواء كانت سمعية أو عقلية، فلم يستطيعوا إثبات ذلك ... أما الآيات في هذه المسألة فمنها قول الله تعالى: **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ [النحل: ٣٦] وقال: وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ [الزخرف: ٤٥**

٣: الفطرة: إن الخلق مفطورون على الإقرار بالخالق سبحانه وتعالى بلا ريب، كما أنهم مجبولون على حب الخير وكراهية الشر، بل إن الإقرار بوجود الخالق من أشد الأمور رسوخًا وثباتًا في الفطرة بما لا يحتاج معه ثمة دليل أو برهان. لقد فطر الله سبحانه وتعالى عباده على أنَّه ربُّهم، وأنَّه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فقال تعالى: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُوْرِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُوْلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِيْنَ (١٧٢)أَوْ تَقُوْلُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُوْنَ (١٧٣) الأعراف.**

٤: إنَّ انتظام هذا الكون أكبر برهان على أنَّ خالقه ومدبِّره واحد، وأنَّ كلَّ ما سواه مربوب محدث كائن بعد أن لم يكن، وكما يمتنع وجود خالقين لهذا الكون، فكذلك يمتنع وجود إلهين، فقال تعالى: **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُوْنَ (٢١)لَوْكَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُوْنَ (٢٢) الأنبياء.**

٥: الانفراد بالإنعام و الرزق، إنَّ الله سبحانه وتعالى ينبِّه البشرية ويرشدهم إلى نعمه الجمَّة التي تفضَّل بها عليهم؛ حيث جعل السماوات والأرض معملًا عظيمًا يوفِّر الإنتاج الكامل للإنسان، فقال تعالى: **أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَلَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِيْ اللَّهِ بِغَيْرِعِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيْرٍ (٢٠) لقمان،** فعلى الرَّغم من إسباغه عليهم النعم، وتسخير الكائنات في الأرض والسماء لهم، فهناك من يجادل في ربوبية الله وألوهيته بغير علمٍ ولا هدى.

٦: عجز المعبودات الباطلة، إنَّ مما يدلُّ على ألوهية الله سبحانه وتعالى عجز وضعف جميع الآلهة المزعومة من دونه، لذلك تحدَّى القرآن الكريم الناس عامة والمشركين به خاصة منبِّهًا على حقارة وضعف ما يعبدون من دون الله عزّ وجلّ، ومبيِّنًا سخافة عقول من يعبدون غيره، بقوله: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوْا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوْهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوْبُ (٧٣) مَا قَدَرُوْا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ (٧٤) الحج،**

فإذا كان الذباب الذي هو في غاية الضعف يستحيل علينا خلقه، فإنَّ هناك مسألة أخرى أهون من الخلق، وهي أنَّه لو استولى هذا الذباب على شيءٍ يملكه أقوى الناس فينا، فلن يستطيع –

ومن اتخذهم الناس آلهة من دون الله- إعادته منه.

وقال تعالى: قُلِ ادْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِيْ السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيْهِمَا مِنْ شِـرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيْرٍ (٢٢) سـبأ، وقال تعالى: قُلْ مَنْ رَبُّ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَـاتَّخَـذْتُمْ مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَـاءَ لَا يَمْلِكُوْنَ لِأَنْفُسِـهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَـرًّا قُلْ هَلْ يَسْـتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِـيْرُ أَمْ هَلْ تَسْـتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّوْرُ أَمْ جَعَلُوْا لِلَّهِ شُـرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (١٦) الرعد، ففي هاتين الآيتين قطعٌ لأصول الشرك وهدمٌ له من أساسه؛ لأنَّ المشرك يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع، والنفع لا يكون إلا في من فيه خصلة من هذه الخصال الثلاثة: إمَّا مالك لما يريد عابده منه، أو شريك للمالك، أو معين وظهير في تصريف شؤون المالك، وهذه المعبودات الباطلة ليست واحدًا من هؤلاء، ولذلك فهي عاجزة وضعيفة لا تقدر على نفعها نفسها، ولا تملك أنْ تعطي من يسألها شيئًا من ذلك، فيكون من الجهل البيّن أنْ تتخذ هذه المعبودات آلهة مع ما تتصف به من العجز والضعف.

شروط العبادة:

- **الإخلاص – الصدق –**
- **الاتباع – المتابعة _**

الشرط الاول: الإخلاص.

الإخلاص لغةً: من خَلَصَ يخلص خلوصاً، بمعنى الصفاء والنقاء وإزالة الشوائب، وترد بمعنى النجاة، وخلص إلى أمر؛ أي بلغه وانتهى إليه، والإخلاص في الطاعة يُقصد به انعدام الرياء فيها، وإرادة وقصد التقرّب من الله

الإخلاص اصطلاحا هو: أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالى ، قال تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) سورة الليل/١٩وقال الله -تعالى- : **(وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ** ويُعَدّ الإخلاص جوهر العبادة، وروحها، ومعناه: التوجُّه إلى الله -تبارك وتعالى- بالعبادة، وابتغاء وجهه الكريم بها، والإخلاص كالنيّة؛ مَحلّهما القلب؛ إذ يُشترَط مع أيّ عبادة أن يقصد بها صاحبها وجهَ الله، لا أن يبتغي بها مدح الناس، أو الخوف من ذمّهم، أو ابتغاء التقرُّب منهم والحصول على حبّهم؛ أي أن لا يؤدّي العبادة بهدف الرياء، يقول -تعالى-: **(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا)** فالقصد يكون لله، أمّا إذا كان رياءً، فإنّ العمل يكون هباءً منثوراً. **وقال تعالى : (إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً) الإنسان/٩**

وقال تعالى : (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) سورة الشورى/٢٠

وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَ إِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " رواه البخاري(بدء الوحي/١) وجاء عند مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : " أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ " رواه مسلم(الزهد والرقائق/٥٣٠٠)

وعدم الإخلاص لله يكون الشرك، و إن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فكيف والطواغيت و الرؤساء القوميين، و أعلم أن عين الإخلاص هو الطاعة والانقياد، والذين يطيعون الطواغيت والقوانين الوضعية ليسوا مسلمين ولو كان يزعمون ذلك، كما فسّر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية:

الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن جرير من طرق ، عن عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه لما بلغته دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فر إلى الشام ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، فأسرت أخته وجماعة من قومه ، ثم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أخته وأعطاها ، فرجعت إلى أخيها ، ورغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقدم عدي المدينة ، وكان رئيسا في قومه طيئ ، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم ، فتحدث الناس بقدومه ، فدخل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنق عدي صليب من فضة ، فقرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذه الآية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال : فقلت : إنهم لم يعبدوهم . فقال : بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال ، وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم .

الشرط الثاني: الاتباع – المتابعة

لا تُقبل أعمال العبد إلّا بإخلاص النية والقصد لله تعالى، فقد أمر الله -تعالى- نبيّه محمداً -صلى الله عليه وسلم- بالإخلاص أكثر من مرّةٍ، و ورد ذلك في مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ)، فالأعمال لا تُقبل إلّا بالإخلاص فيها والمتابعة، ويقول الله سبحانه: (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ)، فورد أنّ أحسن الأعمال الواردة في الآية السابقة يُقصد بها الخالص منها والأصوب، فلا بدّ أن يكون العمل خالصاً وصائباً، فلا يُقبل العمل الخالص إن لم يكن صائباً، وكذلك لا يُقبل العمل الصائب إن لم يكن خالصاً أيضاً، ويُقصد بالعمل الخالص العمل لله تعالى، أمّا العمل الصائب فهو العمل الموافق للسنة النبوية الواردة عن محمدٍ عليه الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول الصحابي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (لا ينفع قول وعمل إلّا بنيةٍ ولا ينفع قولٌ وعملٌ ونيةٌ إلّا باتباع السنة).

فاعلم: لا حلال إلا ما أحلَّ اللهُ ورسولُهُ، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله. وعلى ذلك فلا يجوز لأي فرد منا أن يزيد شيئاً من دين الله أو أن ينقص منه شيئاً. لأن المسلم إذا فعل ذلك فهذا اتهام لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير في أداء رسالته. والله جل

وعلا حذرنا من الابتداع والاختراع في الدين، وأمرنا باتباع الحبيب صلى الله عليه وسلم والتزام سنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده. و قال الله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا {الحشر: ٧} الأدلة من القرآن فكثيرة منها: قوله تعالى: **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنسَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *}** [الانعام :١٥٣] وقال تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}** [النساء :١٢٥]. أما الأدلة بين السنة النبوية فكثيرة منها: وقوله صلى الله عليه وسلم: «تركتُ فيكم أمرينِ لن تضلّوا ما تمسّكتُم بهما، كتابَ الله وسنّةَ رسولِهِ». وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ مِنْهُ فهو رَدٌّ». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد تركتُكم على مِثْلِ البيضاءِ، ليلِها كنهارِها، لا يزيغُ عنها إلاّ هالكٌ». وعن مطرّف بن عبد الله يقول: سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ إذا ذُكِرَ عنده الزائغين في الدين يقول: قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: سَنَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وولاةُ الأمر بعدَه سُنناً، الأخذُ بها اتّباعٌ لكتابِ اللهِ عزّ وجلّ، واستكمالٌ لطاعةِ اللهِ عزّ وجلّ، وقوةٌ على دينِ الله تبارك وتعالى، ليسَ لأحدٍ مِنَ الخَلْقِ تغييرُها ولا تبديلُها، ولا النظرُ في شيءٍ خلافها، مَنِ اهتدى بها فهو مهتدٍ، ومن استنصرَ بها فهو منصورٌ، ومن تركَها واتّبعَ غيرَ سبيلِ المؤمنين ولاّه اللهُ تعالى ما تولّى، وأصلاه جهنّم، وساءت مصيراً.

ومما روي عن الفُضيل بن عياض أنّه تلا قوله تعالى: **{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}** [الملك :٢] فقال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إذا كان العملُ خالصاً ولم يكن صواباً، لم يُقْبَلْ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقْبَلْ، حتى يكونَ خالصاً صواباً، والخالصُ إذا كان لله عزّ وجلّ، والصوابُ إذا كان على السنّة.

ضوابط الاتباع

يشترط لصحة الاتباع شرطان هما:

١- أن تكون العبادة مشروعة: أي يأتي الدليل بجوازها° إذ أن الأصل في العبادات التوقف، أي يجب على المسلم أن يتوقف عن فعل العبادة حتى يأتي الدليل على جوازها، وذلك لقوله - تعالى -: أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله {الشورى: ٢١}، فلابد من إذن الله بالتشريع للناس، فما لم يأذن به فلا يتعبد به، وهذه الآية دليل على بطلان المؤسسات تشريعية الكفرية مثل برلمان و مجلس النواب.

٢- أن تكون كيفية أدائها مشروعة: أي فَعَلها النبي - صلى الله عليه وسلم - أو أحد خلفائه الراشدين، فلا يكفى أن تكون العبادة مشروعة في أصلها ولكن أيضًا يجب أن تكون مشروعة في كيفيتها.

اركان العبادة:

- **المحبة**
- **الرجاء**
- **الخوف**

قال الله عز وجل: أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا.

وهذه الآية تضمنت أركان العبودية، فهم يحبونه ويبتغون إليه الوسيلة أيهم أقرب، وهذا هو الحب.

ويرجون رحمته، وهذا هو الرجاء.

ويخافون عذابه، وهذا هو الخوف.

فهذه هي أركان العبادة الثلاثة: الحب والخوف والرجاء.

ولا بد في العبادة من اجتماع الأمور الثلاثة: الحب والخوف والرجاء، فنعبد الله حباً له لما فطرنا عليه من الميل إليه والأنس به، ونعبد الله رجاءً في رحمته وجنته العظيمة، ونعبد الله ونحن نخاف من إحباط أعمالنا أو الوقوع في معصية فننال عقاب الله! فمن عبد الله بأحد هذه الأمور دون بعضها تزندق..

(من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق كالصوفية، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو خارجي، ومن عبده بالخوف و الحب و الرجاء فهو مؤمن موحد)

الركن الأول- المحبَّة:

قال الله عز وجل: **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ .البقرة١٦٥**

قال الله عز وجل: قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ. التوبة٢٤

والمراد بها أن يكون العبد مُحبًا لله تعالى، ومحبته له منتهى الحب، لذا يفعل العبادات بدافع محبته لله وخوفه ورجائه له، طلبًا في إرضاء محبوبه، فالذي دفعه لفعل العبادة هو محبته له - عزَّ وجلَّ – وهو أعظم ركن في العبودية، فمن لا يحب الله لم يكن عابدًا، وليس في الوجود من هو أجدر من الله – تعالى – بأن يُحَب، فهو صاحب الفضل والإحسان، الذي خلق الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا، وخلق له ما في الأرض جميعًا، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة وخلقه في أحسن تقويم،

وصوَّره فأحسن صورته وكرَّمه وفضَّله على كثيرٍ ممَّن خلقه، ورزقه من الطيبات وعلَّمه البيان واستخلفه في الأرض، ونفخ فيه من رُوحه، وأَسجَدَ له ملائكته، فمن أولى من الله بأن يُحب؟!

قال ابن القيم – رحمه الله – في شأن محبة الله: "وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمَّر السابقون، وعليها تفانى المحبُّون، وبرُوح نسيمها تروّح العابدون؛ فهي قُوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرَّة العيون، وهي الحياة التي مَن حُرمها فهو من جملة الأموات.

والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات. والشفاء الذي من عدمه حلَّت بقلبه جميع الأسقام، واللذَّة التي من لم يظفر بها فعيشه كلُّه هموم وآلام. وهي رُوح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال. التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا رُوح فيه. تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلاَّ بشقِّ الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدًا واصليها، وتبوّؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مراهم على ظهورها دائمًا إلى الحبيب. وطريقهم الأقوم الذي يُبلِّغهم إلى منازلهم الأولى من قريب..

الركن الثاني- الرجاء:

والرجاء من الأمل نقيض اليأس. قال ابن القيم رحمه الله: " الرجاء: حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيِّب لها السير. وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الربِّ تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. وقيل هو الثقة بجود الربِّ تعالى" مدارك السالكين.

والرجاء ركنٌ في العبادة، والمراد به هو أن يفعل العبد العبادة بدافع – أيضًا – الرجاء في ثواب الله ورحمته ورجاء مرضاته، لأنه هو النافع فهو المرجو جلَّ وعلا وحده دون ما سواه.

والرجاء من الأسباب التي ينال بها العبد ما يرجوه من ربه، ودليل كونه مقربًا إلى الله قوله تعالى في وصف بعض أنبيائه وذكر عبادتهم والدافع لها، فقال: **{إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين} الانبياء٩٠**

كما وصف المؤمنين أنهم يرجون الله طمعًا في ثوابه والقرب منه فقال تعالى: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} السجدة١٨**

وقال تعالى: {أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} الزمر٩

وأخبر عن الصحابة المهاجرين الذين فرُّوا بدِينهم وتركوا أموالهم وأولادهم وأوطانهم وما عملوه في الإسلام والدافع لذلك، فقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} البقرة٢١٨**

الركن الثالث- الخوف:

فكما أنَّ المسلم يعبد ربَّه تبارك وتعالى حبًّا له ورجاءً لثوابه وطمعًا في جنته، فإنه كذلك يعبده خوفًا من عقابه وحذرًا من ناره..

والخوف: هو توقع العقوبة على مجاري الأنفاس. وقيل: الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكُّر المخوف. وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره..

والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة، والخشية أخصُّ من الخوف؛ فإنَّ الخشية للعلماء بالله، قال تعالى **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** فهو خوف مقرون بمعرفة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله...»

فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون" لذا يجب على العابد أن يعبد الله بدافع ما مضى من الأركان وبدافع الخوف من الله عزَّ وجل.

ومن أدلَّة وجوب الخوف قوله تعالى: {... وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} وقال تعالى: **{فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** وقال تعالى: **{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}** وقال تعالى: **{فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ...}** كما مدح الخائفين والخاشعين لله فقال في معرض ذكر صفات المؤمنين **{وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ}** كما وصف بعض أنبيائه فقال تعالى: **{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ}** وأخبر عن ملائكته والدافع لعبادتهم فقال تعالى: **{يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}** وقال في وصفهم أيضًا: **{... أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورًا}** وقال تعالى في وصف المؤمنين: **{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}** كما وعد من خافه أن يُدخله الجنة، فقال تعالى: **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**

مُبطلات العبادة

لما عرفنا أنَّ العبادة لا تصحُّ إلا بشرطين الإخلاص و والإتباع و حتى تجتمع فيها اركان الثلاث – الحب و والخوف والرجاء، والأدلَّة على كلّ واحد من هذه الشروط والاركان، فالعبادة لا تنفع صاحبها حتى تتمَّ هذه الشروط والاركان، فإنَّ العبادات التي يفعلها العبد في هذه الدار إنما ينال جزاءها يوم الحساب، يوم تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت.

لكن لهذه العبادة مُفسدات ومُبطلات، إذا وُجدت فإنه لا قيمة لهذه العبادات، بل يكون نصيب صاحبها العنت والتعب في هذه الحياة وفوات أجرها في الآخرة .. ولكلّ عبادة مفسداتها الخاصة بها، إما فوات الشرط أو وجود المانع من الصحة بارتكاب مفسد. والمبطلات العامة للعبادات

١- الإشراك في العبادة

وهو أن يريد العبد بعبادته غير الله أو مع الله، فهذا مستحق للعذاب العظيم وباطل عمله، قال الله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...} الآية النساء ٤٨**

وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} هود١٥و١٦

كما أوحى الله تعالى إلى جميع أنبيائه أنَّ الشرك مُحبِط للعمل، فقال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الزمر٦٥

وقال سبحانه في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» رواه مسلم.

لذا أبطل الله جميع قربات المشركين، وإن كانوا قاصدين بها وجه الله لأنهم مشركون. **قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا.**

قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} الفرقان ٢٣

٢- الردَّة:

وهي أن يترك المسلم دينه، أو وقع في أحد نواقض الاسلام او يعتنق أي ملة من ملل الكفر والعياذ بالله؛ فإنَّ الردَّة محبطة للعمل والعبادة السابقة إذا مات المرتد على ردته على أرجح قولي العلماء كما قال تعالى: **{وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} البقرة ٢١٧**

وذلك لأنَّ الردَّة كفر، والكافر لا يُقبل منه أي عبادة وذلك لأنَّ عقيدته ليست صحيحة، فاختلَّ شرط من شروط صحة العبادة.

٣- الرياء:

وهو أن يكون قصده وجه الله لكن يُحسِّن هيئة العبادة لِما يرى من الناس، فالقول الصحيح إنَّ عبادته التي راءى فيها باطلة إذا كانت مما لا يتجزَّأ كالصلاة، وإن كانت مما يتجزَّأ كالصدقة، كمن تصدق بمائة أراد خمسين منها وجه الله، ثم زاد خمسين أخرى رياء، فإنها تُقبل الخمسون التي لله تعالى، وتُردُّ الخمسون الأخرى التي زادها لأجل نظر الناس إليه، لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ...} البقرة ٢٦٤**

فدلَّ على أنَّ العبادة تبطل بالرياء، وإن كان قصد فاعلها وجه الله، ثم لابسها الرياء في أثنائها، وفي الحديث القدسي يقول الله تبارك وتعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» مسلم ٢٢٨٩

قال الإمام النووي رحمه الله: "ومعناه: أنا أغنى عن المشاركة وغيرها، فمن عمل شيئًا لي ولغيري لم أقبله، بل أتركه لذلك الغير. والمراد: أنَّ عمل المرائي باطل لا ثواب فيه ويأثم به" شرح النووي على مسلم

وكفارة الرياء: قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال: أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل، فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلم. رواه أحمد

٤- المنَّ في العبادة:

فالمن بالعبادة يبطلها سواء مَنَّ الفاعل بها على الله أو مَنَّ بها على خَلقه .. قال تعالى: **{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسلامكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} الحجرات ١٧**

فالمنة لله على خلقه في كلِّ شيءٍ من شئونهم، ومن ذلك أفضلها وهي هداية العبد للإيمان، فإذا منَّ العبد بطاعته على الله فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين، لا ينفعه طاعة المطيع ولا تضرُّه معصية العاصي.

كما تبطل عبادة المرء إذا مَنَّ بها على عباد الله، سواء كانت مالية أو غيرها، فالمنُّ بالصدقة يُبطلها، وكذا المنُّ في تعليم الجاهل وإرشاد السائل، والعطية والهدية والشفاعة ونحو ذلك.

فالله هو المنَّان، وهو صاحب الفضل والإحسان جل وعلا، والدليل على بطلان ذلك قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى...} البقرة ٦٤**

قال القرطبي رحمه الله:

"المنُّ: ذكر النعمة على معنى التعديد لها والتقريع بها، مثل أن يقول: قد أحسنتُ إليك، ونعشتك وشبهه".

وقال بعضهم:

المنّ: التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعطَى فيؤذيه، والمَنُّ من الكبائر.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» وخلاصة القول أنَّ الله لا يقبل العبادة من المشرك والكافر والمرائي والمانِّ بها، وهم مع ذلك مستحقون لوعيد الله في الآخرة حسب ما جاء في القرآن والسنة.

أسأل الله أن يوفقنا للعلم النافع والعمل الصالح، كما أسأله أن يوفِّقنا للإعانة على شكره وذِكره وحُسن عبادته، إنه ولي ذلك والقادر عليه...

باب الثامن

التوحيد

قوله تعالى : (قل هو الله أحد . الله الصمد) الإخلاص

وقوله تعالى : (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) البقرة/١٦٣

التوحيد في اللغة مأخوذ من وحَد الشيء أي جعله واحداً، غير قابل للتعدد، وفي ذلك تميز له عن بقية الأشياء، وفي التشديد نوع من المبالغة والتوكيد، اي: الإيمان بالله وحده لاشريك له.

التوحيد في الاصطلاح هو: إفراد الله عز و جل بما يختص به من الربوبية و الألوهية و الحاكمية والأسماء والصفات،

التوحيد هو خلاف الشرك، وهو الإيمان التام بأنَّ الله تبارك وتعالى واحد أحد، فرد صمد، ليس له شريك في الملك أو الخلق أو تدبير شؤون العالمين، وبالتالي فهو الوحيد المستحق للعبادة، والتوحيد هو أساس دخول الإسلام، وهو لا إله إلا الله، فمن قالها عالما بمعناها عاملا بمقتضاها صار مسلما. قال الله عز وجل: **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ. الانبياء ٢٥**

ويُعرِّف الإمام ابن القيم -رحمه الله- التوحيد بقوله: (ليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه: لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عبَّاد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن محبة الله، والخضوع له، والتذلل على بابه، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع والعطاء، والحب والبغض، مما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها)، فتوحيد القلب يتضمَّن المعرفة الحقيقية لمعنى التوحيد بما فيه من النفي والإثبات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله)

كلمة التوحيد هي أصل الدين وأساسه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وهي دعوة جميع الأنبياء والرسل، من لدن نوح عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم. وقد تظاهرت النصوص من الكتاب والسنة لبيان معنى التوحيد قال تعالى: **إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ** . فلم يقروا بهذه الكلمة، وذلك لأنهم يعلمون معناها، إذ لو كان مجرد قول لا يلزم منه نبذ جميع المعبودات سوى الله لقالوها، ولذا أخبر الله تعالى واصفاً حال المشركين بقولهم:

والتوحيد هو الباب الذي يدخل الإنسان منه إلى الإسلام ويفارق على أعتابه طريق الكفر. وكلمة «لا إله إلا الله» هي في حد ذاتها تتضمن الكفر بالطاغوت لكل من أتى بكلمة التوحيد فإنه يعلن في الوقت ذاته الكفر بالطاغوت، والبراءة من كل ما يعبد من دون الله تعالى. وكلمة الشهادة: "لا إله

إلا الله" تنفي الألوهية عن غير الله، لأن معناها: لا معبود بحق إلا الله، فهى تنفى الألوهية وهى العبادة عن غير الله، وتثبت العبادة لله وحده، دون ما سواه من سائر المخلوقات، والأدلة على هذا من كتاب الله وسنة رسوله كثيرة جداً، منها قوله عز وجل: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ. اي يوحدون. وقوله تعالى: **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ..** أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ.. فعلموا ما يراد من هذه الكلمة، فلم ينطقوا بها. وجميع الأنبياء إنما دعوا لعبادة الله وحده بالتوحيد. كما قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ.. و لمعنى التوحيد بما فيه من النفي والإثبات، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله) صحيح مسلم

أهمية التوحيد

لم يبعث الله سبحانه وتعالى من نبيّ ولا رسول إلاّ دعا قومه إلى توحيد الله تعالى وترك الإشراك به، وأمر الله -تعالى- عباده بالتوحيد في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية، واستمرَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بدعوة قومه إلى توحيد الله على مدى ثلاث وعشرين سنة، فالتوحيد من حقوق الله -تعالى- على عباده، وعلى جميع الناس تأدية هذا الحق بالتوجه إلى الله -تعالى- وحده بالدعاء، والانقياد والطاعة والخوف، والرجاء، والاستغاثة، وسائر العبادات، وأن يحذروا كل الحذر من مناجاة أصحاب القبور أو الأولياء والأنبياء، اوالذين يطيعون الطواغيت يتحكمون بغير ما أنزل الله. فهم يشركون بالله ويزعمون ويحسبون انهم مهتدون .

أنّ القرآن الكريم والسنة النبوية ورد فيهما ما يدلّ على أهمية التوحيد، فثمّة الكثير من الفوائد والثمار المترتّبة عليه، وممّا يدلّ على أهمية التوحيد: ومنها

أنّ الله -تعالى- خلق الخلق من أجل التوحيد؛ إذ إنّ الله -تعالى- خلق الإنس والجنّ ليعبوده وحده لا شريك له، حيث قال: **(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)،[الذاريات]** ولم يخلقهم لحاجته إليهم، بل هم الضعفاء والفقراء والمحتاجون لرحمته، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه عذّبه في النار.

أنّ الله -تعالى- أنزل الكتب من أجل التوحيد؛ حيث دلّت الكثير من الآيات على أنّ الحكمة من إنزال الكتب تكمُن في دعوة الناس للتوحيد. أنّ أشدّ منكرٍ على الإطلاق ترك التوحيد؛ وممّا يدلّ على أهمية التوحيد أن تركه أعظم ذنبٍ على الإطلاق، فقد سُئل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: أي الذنب أعظم؟ فقال: (أن تَجعَلَ للهِ نِدّاً وهو خلَقَك).[صحيح بخاري]

أنّ التوحيد هو أول ما يُسأل عنه العبد في قبره؛ حيث قال الله تعالى: **(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذينَ آمَنوا بِالقَولِ الثّابِتِ فِي الحَياةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظّالِمينَ وَيَفعَلُ اللَّهُ ما يَشاءُ)،[ابراهيم٢٧]** والقول الثابت هو التوحيد. ومع ذلك التوحيد شرطٌ في قبول العمل عند الله؛ فالله لا يقبل عمل

إنسانٍ إلّا إذا كان خالصاً له، ليس فيه نصيبٌ للبشر. وأن الموحدين لهم الأمن وهم مهتدون؛ كما قال تعالى: **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ [الأنعام: ٨٢].**

يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: ((يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)) رواه الترمذي (٣٤٥٠)

والتوحيد أصل الاساسي للدين، والتوحيد شرط لدخول و بقاء المسلم داخل دائرة الاسلام، فلا يصح الايمان بدون التوحيد، وبالتوحيد يُقسّم الناس من خلاله إلى مؤمن وكافر، وهو شرط في دخول الجنة والنجاة من عذاب النار، ويدخل الله به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) رواه البخاري (٣٤٣٥). وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: ((من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة)) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨)، التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم: ((... فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)) رواه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).

التوحيد هو من غايات فرض الجهاد، كما جُعل شرطاً للنصر والتمكين في الأرض، فأمر الله المؤمنين بالجهاد حتى لا يكون هناك شركٌ، وصدٌّ عن سبيل الله، ومن أجل أن ينصرهم الله أمرهم بالتوحيد وعدم الإشراك به. وتكفَّل الله لأهل التوحيد بالفتح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهداية، والتيسير لليسرى، وإصلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

- الله عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بالحياة الطيبة، والطمأنينة إليه، والأُنس بذكره.

ومن فضال التوحيد يُعتبر التوحيد أساس الدين، ورأس الأمر، وهو أفضل الحسنات والأعمال التي يُتقرّب بها إلى الله، وهو مفتاح دخول الجنة، وهو عند الله -تعالى- في الميزان أثقل من السماوات والأرض، وبه يصل العبد إلى رضا الله –تعالى

حكم تعلم علم التوحيد

وإن أعظم ما أمر الله به هو التوحيد، قال تعالى:﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[محمد: ١٩] وقال سبحانه: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وفي حديث معاذ رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً)) وفي حديث معاذ الآخر قال صلى الله عليه وسلم: ((فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)) .

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله: (اعلم أن التوحيد هو أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل... ولهذا كان الصحيح أن أول واجب يجب على المكلف شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر ، ولا القصد إلى النظر ، ولا الشك ، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب) .

ومما يدل على أنه آخر واجب، حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)) وفي الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه: ((من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله، دخل الجنة)) .

فتعلم فرض العين من علم التوحيد هو أول الواجبات وأولاها وأفرضها على المكلفين أجمعين.

وفرض العين منه، هو: ما تصح به عقيدة المسلم في ربه، من حيث ما يجوز ويجب ويمتنع في حق الله تعالى، ذاتا وأسماء وأفعالاً وصفات، على وجه الإجمال، وهذا ما يسميه بعض العلماء بالإيمان المجمل أو الإجمالي.

وهو ما يسأل عنه جميع الخلق؛ لما روي عن أنس بن مالك وابن عمر ومجاهد في قوله عز وجل: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ﴾ [الحجر: ٩٢] قالوا: (عن لا إله إلا الله) .

وأما فرض الكفاية من علم التوحيد، فما زاد على ذلك من التفصيل والتدليل والتعليل، وتحصيل القدرة على رد الشبهات وقوادح الأدلة، وإلزام المعاندين وإفحام المخالفين، وهذا ما يسمى بالإيمان التفصيلي، وهو المقدور على إثباته بالأدلة وحل ودفع الشبه الواردة عليه، وهو من أجل فروض الكفايات في علوم الإسلام؛ لأنه ينفي تأويل المبطلين وانتحال الغالين، فلا يجوز أن يخلو الزمان ممن يقوم بهذا الفرض الكفائي المهم، إذ لا شك أن حفظ عقائد الناس أكثر أهمية من حفظ أبدانهم وأموالهم وأعراضهم.

واختصاراً فإن حكم الشارع في تعلم علم التوحيد أنه فرض عين على كل مكلف، من ذكر وأنثى وذلك بالأدلة الإجمالية وأما بالأدلة التفصيلية ففرض على الكفاية.

أقسام التوحيد:

- **توحيد الربوبية : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: ٦٢]**
- **توحيد الألوهية : وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر: ٦٠]**
- **توحيد الحاكمية : {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}**
- **توحيد الأسماء والصفات: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**

الاول: توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية: الربوبية مشتقة من الرب، وتعني إفراد الله عز و جل بأفعاله النازلة على العالمين، أي: أفراد الله بالخلق والملك والتدبير، حيث قال في كتابه العزيز: (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) [الزمر: ٦٢]، كما أنه مالك كل شيء، ومدبر الأمور جميعها، فلا خالق في الوجود إلا الله تعالى، ولا مالك للعالمين سواه، ولا مُصرِّف لشؤون الخلق سواه، فهو مقسّم الأرزاق، وهو المحيي والمميت، ومن الجدير بالذكر أنَّ الكفار أقرّوا بهذا النوع من التوحيد، قال تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[٤] فالكافر مُقرّ بأنَّ الله - تعالى- هو الخالق والمالك للعالمين، ولكن هذا الإقرار لا يُعدّ من أسباب النجاة من النار، ولا يجعله مسلماً إذا ما اقترن هذا الإقرار وعمل بمقاضاة كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ولا معبود بحقٍ إلا الله.

توحيد الربوبية هو الاعتقاد الجازم بأن الله وحده رب كل شيء ومليكه، لا شريك له، وهو الخالق وحده وهو مدبر العالم والمتصرف فيه، وأنه خالق العباد ورازقهم ومحييهم ومميتهم، والإيمان بقضاء الله وقدره وبوحدانيته في ذاته، وخلاصته هو: توحيد الله تعالى بأفعاله. وقد قامت الأدلة الشرعية على وجوب الإيمان بربوبيته سبحانه وتعالى، كما في قوله:**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [الفاتحة: ١].**

وقوله:أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ [الأعراف: ٥٤].

وقوله: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ [الذاريات: ٥٨].

وهذا النوع من التوحيد لم يخالف فيه الكفار والمشركين، وأكثر أصحاب الملل والديانات؛ فكلهم يعتقدون أن خالق العالم هو الله وحده، قال الله تبارك وتعالى عنهم:**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ [لقمان: ٢٥].**

الثاني : توحيد الألوهية:

توحيد الأُلوهية: والألوهية مشتقة من الإله، وهو إفراد الله عز وجل بأفعال عباده الصاعدة إليه. ويسمى توحيد العبادة، ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله - سبحانه وتعالى - هو: الإله الحق ولا إله غيره، وكل معبود سواه باطل، وإفراده تعالى بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأن لا يشرك به أحد كائناً من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره؛ كالصلاة، والصيام، والزكاة، والحج، والدعاء، والاستعانة، والنذر، والذبح، والتوكل، والخوف والرجاء، والحب، وغيرها من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، وأن يعبد الله بالحب والخوف والرجاء جميعا، وعبادته ببعضها دون بعض ضلال.

قال الله تعالى:**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: ٥]**

وقال: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [المؤمنون: ١١٧].

وهو التوحيد الذي دعا إليه كافة الرسل، ودليل ذلك قول الله عز وجل: **(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ** ، وعليه قام الخلاف مع الكفّار قديماً وحديثاً، وإنكاره هو الذي أورد الأمم السابقة موارد الهلاك.

وهو أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وسلت سيوف الجهاد، وفرق بين المؤمنين والكافرين، وبين أهل الجنة وأهل النار. وهو معنى قوله تعالى:**لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.**

قال تعالى:وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء: ٢٥] .

الثالث: توحيد الحاكمية:

إفراد الله عز و جل وحده في الحكم والتشريع، (أي: التحاكم إلى الكتاب والسنة) قال الله عز وجل {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون} وقوله {والله يحكم لا معقب لحكمه} وقوله {إن الله يحكم ما يريد} وقوله {ولا يُشرك في حكمه أحداً} وقوله {أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون} {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله} ، وقال تعالى: {وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}. فالله هو الحكم العدل له الحكم والأمر لا شريك له في حكمه وتشريعه. فكما أن الله لا شريك له في الملك وفي تدبير شؤون الخلق كذلك لا شريك له في الحكم والتشريع، ﴿وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ سورة الكهف ٢٦. وفي الحديث فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله هو الحَكَمُ، وإليه الحكمُ).

واعلم هداك الله أن من أصول الإيمان التحاكم إلى الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والتسليم لحكمهما ، والرضا به ، قال الله تعالى : **(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ**

كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء/٥٩ .

وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء/٦٥ .

وقال تعالى : (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) المائدة/٥٠ .

فكل حكم خالف حكم الله فهو حكم جاهلية ، وقال الله تعالى : (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) التين/٨.

وقال تعالى : (إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) يوسف/٤٠ .

وبهذا يظهر أن رفض التحاكم إلى الله جل شأنه وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو رفض حكمهما ، أو اعتقاد أن حكم غيرهما أحسن من حكمهما ، كفر وخروج من الإسلام .

قال تعالى بكل وضوح لا يقبل التأويل أو الغموض: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا *وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا *فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٣].

فقد سمَّى الله تعالى مَن اختار التحاكم إلى غير الله ورسوله تحاكمًا إلى الشيطان (الطاغوت)، فكان المنافقون يؤثرون حكم الكهنة، ويؤثرون حكم الطاغوت (وهو كل باطل) على حكم الله تعالى، وانظر وتأمل في هذه الآيات، كيف أمر الله رسوله بالإعراض عن هؤلاءِ المنافقين، لأنه لا يحترم التحاكم إلى الله ورسوله إلا المؤمن الثابت صحيح الإيمان نقيّ العقيدة مما يشوبها.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ *وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ *أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠].

انظر كيف وصفهم بمرض القلب (النِّفاق) ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ، ثم بالشكِّ ﴿ ارْتَابُوا ﴾، ثم بضعف العقيدة والظن السيئ ارْتَابُوا ﴿ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴾ ، والله سبحانه هو أحكم الحاكمين، الحكم العدل، ثم ختم ببيان حكمه ووصفه لهم بالظلم ﴿ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾.

فمن أعطى حق التشريع أو الحكم فيما شجر بين الخلق لغير الخالق أو أقر بذلك أو دعا إليه أو انتصر له أو سلّم به دونما إكراهٍ فقد أشرك بالله شركاً أكبر يخرجه من ملة الإسلام ، و العياذ بالله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله [في منهاج السنّة النبويّة : ٥ / ١٣٠] : (و لا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتّباع لما أنزل الله فهو كافر فإنه ما من أمة إلا و هي تأمر بالحكم بالعدل ، و قد يكون العدل في دينها ما يراه أكابرهم ... فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله منهم كفار) .

و قال العلاّمة الشنقيطي رحمه الله [في أضواء البيان : ٧ / ١٦٢] : (الإشراك بالله في حكمه و الإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد لا فرق بينهما ألبتة ، فالذي يتبع نظاماً غير نظام الله ، و تشريعاً غير تشريع الله ، و من كان يعبد الصنم ، و يسجد للوثن لا فرق بينهم ألبتة ؛ فهما واحد ، و كلاهما مشرك بالله) .

و قال رحمه الله أيضاً [في أضواء البيان : ٧ / ١٦٩] : (لما كان التشريع و جميع الأحكام ؛ شرعية كانت أو كونية قدرية ، من خصائص الربوبية ، كما دلت عليه الآيات المذكورة ، كان كل من اتبع تشريعاً غير تشريع الله قد اتخذ ذلك المشرّع رباً ، و أشركه مع الله) .

و خلاصة ما بينه رحمه الله تعقيباً على الآيات البينات التي سقناها آنفاً يوجزه قوله : (إن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله مشركون بالله) .

الرابع: توحيد الأسماء والصفات

معناه الاعتقاد الجازم بأن الله عز وجل له الأسماء الحسنى والصفات العلى، وهو متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات.

وأهل السنة والجماعة: يعرفون ربهم بصفاته الواردة في القرآن والسنة، ويصفون ربهم بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسمائه وآياته، ويثبتون لله ما أثبته لنفسه من غير تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف، وقاعدتهم في كل ذلك قول الله تبارك وتعالى: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ [الشورى: ١١].**

وقوله:وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأعراف: ١٨٠].

وأهل السنة والجماعة: لا يحددون كيفية صفات الله جل وعلا لأنه تبارك وتعالى لم يخبر عن الكيفية، ولأنه لا أحد أعلم من الله سبحانه بنفسه، قال تعالى:**قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ [البقرة: ١٤٠]**

وقال تعالى:فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل: ٧٤]

ولا أحد أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي قال الله تبارك وتعالى في حقه: **وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى [النجم: ٣-٤]**

الرحمن المتضمّن لصفة الرحمة، والعزيز الذي يتضمّن صفة العزّة، والقدير المتضمّن لصفة القدرة،

واسم الله الكريم الذي يتضمن صفة الكرم، قال تعالى: (فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ۛ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).[٦]

فوائد

التوحيد هو أفراد الله عز وجل بالربوبية و الألوهية الحاكمية والأسماء والصفات، و مناقض التوحيد هو الشرك و الكفر، وكل ما ناقض التوحيد أو قدح فيه، مما ورد في الكتاب والسنة تسميته شركا أو كفرا

الشرك يعني الشراكة، وهو أن تجعل لله نداً وهو خلقك.

اما الكفر يعني الستر و التغطية، والكفر يعني جحود حق عبادة الله عز وجل.

ومختصرا: من جعل لله شريكا في توحيد الربوبية او الالوهية او الحاكمية او الاسماء والصفات فهو مشرك.

ومن جحد حق الله عز في توحيد الربوبية او الالوهية او الحاكمية او الاسماء والصفات

الفرق بين الشرك و الكفر

الشرك الشرك فهو التسوية بين الخالق والمخلوق في شيء من صفات أو أسماء أو أفعال الله، وهو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته أو ألوهيته حاكميته أو فيهما معاً، وهو صرف بعض العبادة لغير الله، كمن يعبد الأصنام أو النجوم، أويستغيث بالأموات أو الجن، أو ينذر لهم ويذبح قرابيناً ويسألهم الشفاعة. يحكم بما انزل الله في بعض احكام كالنكاح والطلاق والميراث، ويحكم بفدغير ما انزل الله في المعاملات والقصاص. كما قال الله سبحانه وتعالى: **(إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) [المائدة:٧٢]، وقال عز وجل: (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ*إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) [فاطر:١٣\١٤] ، وقال تعالى في سورة الأنعام: (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) [الأنعام:٢١].**

اما الكفر هو جحد الحق وإنكاره؛ كالذي يجحد الرب، أو صفاته، أو أفعاله، أو أسماءه، أو رسالته، أو أصل من أصول الإيمان أو وجوب بر الوالدين، أو تحريم الزنا، أو تحريم شرب المسكر، أو تحريم عقوق الوالدين أو نحو ذلك، وللكفر أشكال عدة فقد يتمثل بالتكذيب أوالشك أو النفاق أو الاستكبار الاعراض و الاعتراض. وغيرها.قال تعالى: **(وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء:١٣٥]، وقال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) [الكهف:١٠٥]**

العلاقة بين الكفر و الشرك

هناك علاقة بين الكفر والشرك وهي علاقة عموم وخصوص، فكلّ مشرك كافر وليس كلّ كافر مشرك، والكفر أعمّ من الشرك، والشرك بمعناه يتداخل معه.

هناك علاقة بين الكفر والشرك وهي علاقة عموم وخصوص، فكلّ مشرك كافر وليس كلّ كافر مشرك، والكفر أعمّ من الشرك، والشرك بمعناه يتداخل معه. المشرك كافر؛ لأنّه أنكر شيئاً من خصائص الله وعبادته وصرفها لغيره، ومن أشرك بالله لا ينفعه عمل دنياه، وأمّا الكافر فقد يكون مشركاً وقد لا يكون كذلك. قال الله سبحانه: **(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ*هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) [التوبة:٣٢\٣٣]**

الشرك والكفر من المصطلحات التي إن اقترنت في اللفظ افترقت في المعنى، وإن افترقت في اللفظ اقترنت اجتمعت في المعنى كالإسلام والإيمان، ويُطلق كلّ منهما على الآخر من جانب، قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا) [البينة:٦]**، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) [أخرجه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما].

باب التاسع: الحكم بغير ما أنزل الله

احتجاجهم بأن حكم بغير ما انزل الله هو (كفر دون كفر)

إذا فهمت ما تقدم كله وعلمت أن الكفر قد يكون قولاً أو عملاً يخرج صاحبه من ملة الإسلام.. فاعلم أن القوم - أعني مرجئة العصر - إنما موّهوا في هذا الباطل كله، وخلطوا ولبسوا.. ليرقعوا لطغاة العصر من الحكام المشرعين مع الله ما لم يأذن به الله.. وليهونوا من جريمتهم النكراء هذه فيجعلونها من باب الذنوب والأعمال التي لا تناقض الإيمان ولا تهدمه، فيحكمون لهم بالإسلام وكلم ما يترتب على ذلك من موالاة وولاية وتولٍ، وما يتفرع عن ذلك من تحريم لأموالهم ودمائهم وأعراضهم ونصرة وتأييد ومظاهرة.. وبالتالي تسمية من كفرهم ودعى لمنازعتهم ومنابذتهم والبراءة منهم ومن جندهم وأنصارهم وأشياعهم.. بالخوارج، ويستشهدون لهم بما ينسب لابن عباس في رده على الخوارج: (إنه ليس الكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} [المائدة: ٤٤] كفر دون كفر). ولا مانع ما دمنا في صدد إبطال شبهاتهم أن أسوق ها هنا خلاصة القول في هذا الأثر من الناحية الحديثية ثم أتبع ذلك بخلاصة القول فيه من الناحية الفقهية بياناً للحق وكشفاً للتلبيس.

بيان حال هذه اللفظة عن ابن عباس من جهة الإسناد

"هذا الأثر يُروى من طريق سفيان بن عيينة عن هشام بن حجير عن طاووس عن ابن عباس أنه قال: (إنه ليس الكفر الذي تذهبون إليه، إنه ليس كفراً ينقل عن الملة: {**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**} [المائدة: ٤٤] كفر دون كفر) - رواه الحاكم وغيره من طريق هشام بن حجير المكي.

* وهشام بن حجير ضعفه الأئمة الثقاة ولم يتابعه على هذه الرواية أحد.

قال أحمد بن حنبل في (هشام): (ليس بالقوي)، وقال: (مكي ضعيف الحديث) وهذا طعن من جهة الرواية.

وضعفه يحيى بن سعيد القطان وضرب على حديثه، وضعفه علي بن المديني وذكره العقيلي في الضعفاء، وكذا ابن عدي.

* وهشام صالح في دينه، لذا قال ابن شبرمة: (ليس بمكة مثله).

وقال ابن معين: (صالح)[1].. فهذا في الدين أو العبادة، بدليل أن ابن معين نفسه قد قال فيه: (ضعيف جداً).

وقال الحافظ ابن حجر: (صدوق له أوهام).

قلت: فلعل هذا من أوهامه. لأن مثل هذا القول مرويّ ثابت عن ابن طاووس فلعله وَهَمَ فنسبه إلى ابن عباس.

وقال علي بن المديني: (زعم سفيان قال كان هشام ابن حجير كتب كتبه على غير ما يكتب الناس أي اقتداراً عليه، فاضطربت عليه) ا.هـ من معرفة الرجال (٢/٢٠٣).

* وهشام من أهل مكة وسفيان كان عالماً عارفاً بأهل مكة، (روى العقيلي بإسناده عن ابن عيينة أنه قال: (لم نأخذ منه إلا ما لم نجده عند غيره) اهـ

فصح أن هذا الأثر مما تفرد به هشام لأنه من رواية ابن عيينة عنه.

وقال أبو حاتم: (يُكتب حديثه) وهذه أيضاً من صيغ التمريض والتضعيف، لأن هذا يعني أن حديثه لا يُقبل استقلالاً وإنما يؤخذ به في المتابعات فقط.

* ولذلك لم يرو له البخاري ومسلم إلا متابعة أو مقروناً مع غيره وكانت أحاديثه من الأحاديث المنتقدة على الصحيحين.

أما البخاري فلم يرو له إلا حديثاً واحداً هو حديث (سليمان بن داود عليهما السلام): (لأطوفن الليلة على تسعين امرأة... الحديث). أورده في كفارة الأيمان من طريق هشام وتابعه في كتاب النكاح برواية عبد الله بن طاووس. ومن المعلوم أن الحافظ ابن حجر من عادته في مقدمة فتح الباري أن

---

(١) قد يكون مقصود ابن معين، صلاح الدين وقد تكون هذه صيغة من صيغ التضعيف والتمريض فإنه والإمام أحمد يفعلان ذلك. قال ابن حبان في ترجمة عبد الرحمن بن سليمان بن عبد الله بن حنظلة الأنصاري: (كان يخطىء ويهم كثيراً، مرَّض القول فيه أحمد ويحيى وقالا: صالح) ا.هـ انظر مقدمة الفتح لابن حجر، وانظر المجروحين لابن حبان.

يذب عمن تكلم فيهم بغير حق ويدافع بكل ما أوتي من علم، أما من ظهر له ضعفهم وأن البخاري لم يعتمد عليهم وحدهم وإنما أوردهم في المتابعات أو مقرونين.. فمثل هؤلاء لا يكلف نفسه عناء الرد عنهم بل يذكر المتابعات الواردة لهم في الصحيح وكفى.. وكذلك فعل مع هشام بن حجير (راجع المقدمة).

أما مسلم فكذلك ليس له عنده إلا حديثان ولم يرو له إلا مقروناً.. وراجع في هذا ما قاله الشيخ الهروي في كتابه: (خلاصة القول المفهم على تراجم رجال الإمام مسلم).

والخلاصة أنه عرف مما سبق أنه لا حجة لمن حاول تقوية هشام بالاحتجاج برواية البخاري ومسلم له.. لأنهما لم يرويا له استقلالاً ولكن متابعة.. وهذا من الأدلة على تضعيفه إذا انفرد.

* ومن أجل هذا كله لم يوثق هشام بن حجير إلا المتساهلون كابن حبان فإنه مشهور بالتساهل في التوثيق. ومثله العجلي، قال المعلم اليماني: (توثيق العجلي وجدته بالاستقراء كتوثيق ابن حبان تماماً أو أوسع). الأنوار الكاشفة ص: (٦٨).

وقال الألباني: (فالعجلي معروف بالتساهل في التوثيق كابن حبان تماماً فتوثيقه مردود إذا خالف أقوال الأئمة الموثوق بنقدهم وجرحهم). انظر السلسلة الصحيحة ص(٧/٦٣٣).

وكذا توثيق ابن سعد فإن أغلب مادته من الواقدي المتروك كما ذكر ابن حجر في مقدمة الفتح عند ترجمة عبد الرحمن بن شريح.

فإذا كان هذا حال من وثقوه فإن رواياته لا تقوم بها حجة بتوثيقهم هذا.

فكيف وقد عارضهم وقال بتضعيفه الأئمة الجبال الرواسي كأحمد وابن معين ويحيى بن سعيد القطان وعلي بن المديني وغيرهم.

فخلاصة القول: أن هشام بن حجير ضعيف لا تقوم به حجة استقلالاً وحده. نعم هو يصلح في المتابعات كما عرفت، والمحتجون به لم يوردوا له على رواية ابن عباس هذه متابع، فيترجح ضعفها وعدم صحّة الجزم بنسبتها إلى ابن عباس.

بل قد روى ابن جرير الطبري عن ابن عباس بإسناد صحيح في تفسير هذه الآية غير ذلك فقال: ثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى: {**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**} [المائدة: ٤٤]. قال: هي به كفر.

بيان مناط تلك المقولة وأمثالها

هذا من جهة الرواية، أما من جهة الدراية، فنقول: أن قول ابن عباس هذا إن صح - إذ قد صح قريب من معناه عن غيره - فهو رد على الخوارج الذين أرادوا تكفير الحكمين، وعلي ومعاوية ومن معهما من المسلمين لأجل الخصومة والحكومة التي جرت بينهم في شأن الخلافة والصلح وما جرى بين الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري.. إذ تلك الحادثة كانت أول مخرجهم - كما هو

معلوم - فقالوا: (حكّمتم الرجال): {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} [المائدة: ٤٤] [٢] ولا شك أنهم مخطئون في ذلك ضالون.. إذ ذلك الذي وقع بين الصحابة ولو جار بعضهم فيه على بعض ليس بالكفر الذي ينقل عن الملة بحال، وقد بعث علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس إلى الخوارج يناظرهم في ذلك، فخرج إليهم فأقبلوا يكلمونه، فقال: نقمتم من الحكمين وقد قال الله عز وجل: {فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها} [النساء: ٣٥] الآية. فكيف بأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

قالوا له: ما جعل الله حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم وما حكم فأمضى فليس للعباد أن ينظروا في هذا.

فقال ابن عباس: فإن الله تعالى يقول: {يحكم به ذوا عدل منكم} [المائدة: ٩٥].

قالوا: تجعل الحكم في الصيد والحرث، وبين المرأة وزوجها كالحكم في دماء المسلمين؟ وقالوا له: أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا؟ فإن كان عدلاً، فلسنا بعدول، وقد حكّمتم في أمر الله الرجال).

والشاهد.. أنه بعد هذه المناظرة رجع منهم إلى الحق خلق.. وأصر آخرون على ضلالهم وانشقوا عن جيش علي بعد حادثة الحكمين هذه، وهم أصل الخوارج.

فعمد مرجئة العصر إلى تلك المقولة المنسوبة لابن عباس وما شابهها من أقوال أخرى لبعض التابعين.. كطاووس وابنه وأبي مجلز والتي كانت كلها في شأن الخوارج.. وطاروا بها كل مطير، لينزلوها زوراً وبهتاناً في محل غير محلها وواقع غير واقعها ومقام غير مقامها. بدليل أن هذه اللفظة التي يحتج بها هؤلاء، فيها قول ابن عباس مخاطباً أناساً بعينهم، عن واقعة بعينها: (إنه ليس الكفر الذي تذهبون إليه)، فلفظة (الذي تذهبون) خطاب للخوارج ومن تبعهم في زمانه، في واقعة معلومة معروفة.. فقوله إذاً ليس في تفسير الآية، وإنما في المناط الخطأ الذي علّقها الخوارج خطأ فيه، بدليل أن الآية أصلاً تتكلم عن الكفار المبدّلين لشرع الله يهوداً كانوا أو غيرهم وسيأتي تفصيل هذا.. فهل يُعقل أن يقول ابن عباس أو غيره من أهل الإسلام في تبديل اليهود أو غيرهم لحكم أو حد من حدود الله - كالدية أو حد الزنا - انه كفر دون كفر؟؟ فمقولته هذه إذن - على تقدير صحتها - هي في المناط الباطل الذي أراد الخوارج إنزالها فيه وليست في بيان الآية وتفسيرها نفسها.. فتنبه، ولا تنخدع بتلبيسات الضالين..

يقول العلامة السلفي أحمد محمد شاكر في تعليقاته على (عمدة التفسير) عن هذه الآثار: (وهذه الآثار - عن ابن عباس وغيره - مما يلعب به المضللون في عصرنا هذا، من المنتسبين للعلم، ومن

---

(٢) لما قرىء كتاب التحكيم على الناس وسمعه عروة بن حدير أخو أبي بلال قال: (أتحكّمون في دين الله الرجال (لا حكم إلا لله) وشد بسيفه، فضرب دابة من قرأ الكتاب، وكان ذلك أول ما ظهر الخوارج. انظر الفرق بين الفرق في (ذكر المحكمة الأولى) والبداية والنهاية (٢٧٨/٧) وغيرها..

غيرهم من الجرءاء على الدين: يجعلونها عذراً أو إباحة للقوانين الوثنية الموضوعة، التي ضربت على بلاد الإسلام) اهـ (١٥٦/٤).

وان هذه الاية (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون).واضحه لا مجال للتحريف. (ومن)هواسم موصول تفيد العموم. يعنى ومن لم يحكم بما انزل الله او غير حكم الله او من اختلط حكم الله بالقوانين الوضعية في موضوع واحد او فى كل المواضيع فأولئك هم الكافرون المخرجون من الملة الاسلام. ومع ذلك (الكافرون) مع (ال) للاستغلاق وهذا يدل على كفر الاكبر.

و ان هذه الاية مسنودة ببعض الآيات التى تدل على كفر الكبر .قال تعالى((ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد امروا ان يكفروبه).النساء ٦٠

قال عزوجل(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجره بينهم ثم لا يجدون فى انفسهم حرجأمما قضيت ويسلمو تسلما).النساء ٦٥.

كما قلنا ان علماء اهل الحديث قالو ان اثر ابن عباس (كفردون كفر) ضعيف ومع ذلك ماقال الحكم بغير ما انزل الله حلال.ولا قال يجوز بل قال (كفر دون كفر). وهو من اكبر الكبائر.وان رسول الله صلى عليه وسلم قال:(لا طاعة فى معصية الخالق).

واعلم (ابن عباس) هو بشر غير معصوم يصيب ويخطئ، أراد بذلك القول المنسوب إليه واقعتنا هذه - وهو محال كما عرفت إذ لم يكن لها مثيلٌ ساعتئذ - فهل نصادم بقول ابن عباس قول الله وقول الرسول وفي مسألة من مسائل التوحيد الذي بعثت بها الرسل كافة وهي الكفر بالطاغوت، شطر كلمة التوحيد؟؟

لا شك أن الإجابة على هذا يفهمها صغار الطلبة فضلاً عمن ينتسب إلى العلم والدعوة والدعاة، إذ لا حجة بشيء في ديننا إلا بقول الله وبقول الرسول صلى الله عليه وسلم.

هل {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} كفر الاكبر ام كفر الاصغر؟

أن الله تعالى قال : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ فحكم الله بالكفر المطلق على من لم يحكم بما أنزل الله ، والكفر المطلق لا يكون إلا في الكفر الأكبر . ويدل على ذلك أن الله تعالى أكد هذا الحكم بعدة مؤكدات :

أحدها : إتيانه بلفظ الاسم الدال على ثبوت الكفر .

الثاني : تصدير الاسم بالألف واللام المؤدية لحصول كمال المسمى لهم ، فإنك إذا قلت : زيد العالم الصالح ، أفاد ذلك إثبات كمال ذلك له ، بخلاف قولك : عالم صالح .

الثالث : إتيانه سبحانه بالمبتدأ والخبر معرفتين ، وذلك من علامات انحصار الخبر في المبتدأ كما في قوله تعالى : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (البقرة: من الآية٥) ، وقوله تعالى : ﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية٢٥٤) ، وقوله : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً ﴾ (الأنفال: من الآية٤) ، ونظائره .

الرابع : إدخال ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر ، وهو يفيد مع الفصل فائدتين أخريين : قوة الإسناد ، واختصاص المسند إليه بالمسند كقوله : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (الحج: من الآية٦٤) ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (المائدة: من الآية٧٦) ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشورى: من الآية٥) ، ونظائر ذلك . [ذكر هذه المؤكدات ابن القيم عند تعليقه على قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون:٩) وأنها تدل على كفر تارك الصلاة لأن الخسران المطلق لا يكون إلا للكفار . انظر كتاب الصلاة له ص٤٢-٤٣ . مع التنبيه أن كلامه هنا جاء تعليقاً على آية خوطب بها المؤمنون ؛ فكيف بآية المائدة التي نزلت في اليهود ؟!.]

والحاصل أن الكفر إذا أطلق ، وعرف باللام فهو الكفر الأكبر المخرج من الملة ، إلا إذا قيّد ، أو جاءت قرينة تصرفه عن ذلك .

ويضاف إلى ذلك أن لفظ "الكافرون" جاء بصيغة اسم الفاعل ، وقد ذكر بعض أهل العلم أنه إذا أطلق لفظ "الكفر" جاز دخول جميع أنواع الكفر فيه ، وإذا أطلق اسم الفاعل "الكافر" لم يكن إلا للكفر الناقل عن الملة ؛ لأن اسم الفاعل لا يشتق إلا من الفعل الكامل.

شبهة الاول

أن عمر (لم يحكم بما أنزل الله) بتعطيله

لحد السرقة عن بعض المضطرين في عام الرمادة

كشف شبهاتهم:

هذا وقد رأيت لبعض من ختم الله على سمعه وبصره وجعله أضل من الأنعام بإعراضه وانشغاله عن تعلم أصل دينه وتوحيده بالحياة الدنيا وزخرفها، فرية وكلاماً أتنزه عن الإطالة فيه، مفاده أن "الفاروق رضي الله عنه لم يحكم بما أنزل الله يوم عطل العمل بحد السرقة في عام الرمادة".

فأقول كما قال بعض أهل العلم: إن وقوف المؤمن العارف بدين الله على هذه الضلالات والجهالات المركبة، فيه تنبيه له على نعمة الله عليه، وحث على شكر نعمة التوحيد والإسلام والفهم في دين الله، قال تعالى: {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً} [البقرة: ٢٦٩]، قال بعض السلف: من أعطي القرآن ورأى أن أحداً فوقه فما عرف نعمة الله عليه.

ثم أقول بإيجاز: قد فصلنا لك فيما تقدم أن الحكم بغير ما انزل الله يطلق على معنيين: أحدهما تشريعي استبدالي كفري، والآخر من الجور في الحكم والقضاء للهوى أو الشهوة دونما استحلال.

وبيان أن فعل عمر الفاروق لا يمت إلى كلا النوعين بصلة، والخوض في ذلك وتفصيله هو في الحقيقة مضيعة للوقت، بل هو استخفاف بالقارئ واستصغار لعقله بمخاطبته بما هو من قبيل تبيين البيّن وتوضيح الواضح فهذا لا يكون إلا مع السفهاء..

أما فعله رضي الله عنه في عام الرمادة فهو اجتهاد محض مصيب فيه يؤجر عليه أجرين إن شاء الله.. وهو قطعاً وبلا شك من الحكم بما أنزل الله وليس بخارج عنه بحال، إذ هو إعمال لمقاصد الشريعة التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها وأنزل الكتاب ووضعت حدود الشريعة من أجل تحقيقها وهي حفظ مصالح الناس الأساسية الشرعية وتحصيل أعظمها ودرء المفاسد عنها..

وهذه المصالح الشرعية مضبوطة معلومة باستقراء نصوص الشريعة وليست هي تبع للأهواء والاستحسانات كما يتوهمه كثير من الرويبضة السفهاء..

فمنها ما هو ضروري ومنها ما هو حاجي وآخر تحسيني تكميلي.. اما الضروريات فهي ست: "الدين والنفس والعقل والنسب والعرض والمال" وهي أهم المصالح على الإطلاق، وأعلاها وأجلها هو الدين (التوحيد) فإذا ما تعارضت هذه الضروريات أو أحدها مع مصلحة حاجية أو تكميلية قدمت الضرورية بلا خلاف..

أما إذا تعارضت مصلحتان ضروريتان فإن التقديم يكون للأهم والأعظم منهما، من باب تحصيل أعظم المصلحتين المتعارضتين بتفويت أدناهما.. أو درء أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما..

وهذا باب عظيم من أبواب الفقه، وهو من أعظم مقاصد شريعة الله وحكمها وقواعدها، ومن وفق إلى فهمه ومعرفته فقد هدي إلى معرفة كثير من أسرار الشريعة وحكمها..

وفهم هذا الباب وتطبيقه في الواقع، هو دون شك من أصول الشريعة ومن الحكم بما أنزل الله.. ولم يكن اجتهاد عمر رضوان الله تعالى عليه في عام الرمادة إلا من هذا.. فقد قدم مصلحة النفوس وحفظها على مصلحة المال وحفظها عندما تعارضتا، فقد كان الناس في مخمصة عظيمة والضرورات تبيح المحظورات.. فكان أكل المال المسروق كأكل الميتة في تلك الظروف.. يباح، بل يجب على قول طائفة من أهل العلم إذا تحقق الهلاك، وتاركه في مثل ذلك عاص لله قاتل لنفسه كما يقول ابن حزم، واحتج بقوله تعالى: {ولا تقتلوا أنفسكم} [النساء: ٢٩]، قال: (وهو عموم لكل ما اقتضاه لفظه) اهـ(المحلي في حد السرقة).

فدفع رضي الله عنه قدر ما استطاع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.. وحافظ على أعظم المصلحتين (أرواح الناس ونفوسهم) بتفويت أدناهما (أموالهم) لتعارضهما في تلك الظروف الخاصة.. وهذا من فقهه رضي الله عنه في دين الله وهو تحكيم لمقاصد الشريعة ومحافظة على

مصالحها وضرورياتها التي ما وضعت الحدود كلها أصلاً إلا لحفظها وتحصيلها ودرء المفاسد عنها.
ولذا قال ابن القيم فيه: (وهذا مقتضى قواعد الشرع)(اعلام الوقعين).
فهو إذن حكم بما أنزل الله.. وليس كما يلبس أعداء الله.. وهذا واضح بيّن.. وشتان شتان بينه وبين الحكم بغير ما أنزل الله بأقل أنواعه شراً.. فكيف بأطمها..؟؟
ولا يَنسب الفاروق إلى غير هذا أو يتهمه بالحكم بغير ما أنزل الله إلا كافر زنديق.. أو رافضي خبيث غاظه عدلُ الفاروق ودينه. (امتاع النظر في كشف شبهات مرجئة العصر)

شبهة الثاني::

ولهم شبهة أخرى في الترقيع للطواغيت المشرّعين المعبودين من دون الله، وهي قولهم أن قوله تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} [المائدة: ٤٤] نزلت في اليهود، وهي خاصة بهم.
يقول الشيخ عبد المجيد الشاذلي في (حد الإسلام) في هذه الآية ص(٤١٢): (اللفظ على إطلاقه، وليس منكر في الإثبات كقوله صلى الله عليه وسلم: (إثنان في الناس هما بهم كفر، الطعن بالنسب.. الخ) بل هو من المعرّف باللام، ليس من المنّكر. ولا هو من المقيّد كما في قوله تعالى: {من ماء دافق} سمي المني ماء تسمية مقيدة، ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال: {فلم تجدوا ماء فتيمموا} [النساء: ٤٣]) اهـ
فالأصل إذن أن يحمل الكفر في هذه الآية على إطلاقه وعلى حقيقته الشرعية الأصلية، ولا ينقل عن ذلك فيصار به إلى المجاز أو يقيد إلا بدليل...
فإن من قال أنها نزلت في اليهود لم يمنع، أنها عامة تتناول كل من وقع فيما وقعوا فيه.. إذ العبرة في النصوص الشرعية العامة عموم اللفظ لا خصوص السبب. و(مَنْ) سواء كانت موصولة أو شرطية أو استفهامية فإنها من صيغ العموم - كما هو معلوم عند أهل الأصول - وقد وقعت في هذه الآية في معرض الشرط.. فتعم وتتناول كل من يشمله اللفظ إطلاقاً وإن كان أول نزولها في قوم معنيين..
والأصل في اللفظ العام تناوله لجميع أفراده ولا يُصار إلى الخصوص إلا بدليل..
يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على التتار: (فإن نصوص الكتاب والسنة الذين هما دعوة محمد صلى الله عليه وسلم يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي أو بالعموم المعنوي، وعهود الله تعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تتناول آخر هذه الأمة كما تناولت أولها)
ويقول ابنه الشيخ عبد اللطيف في (مصباح الظلام): (إن من منع تنزيل القرآن وما دل عليه من الأحكام على الأشخاص والحوادث التي تدخل تحت العموم اللفظي، فهو من أضل الخلق وأجهلهم بما عليه أهل الإسلام وعلماؤهم، قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، ومن أعظم الناس تعطيلاً للقرآن

وهجراً له، وعزلاً عن الاستدلال به في موارد النزاع. وقد قال تعالى: {فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول} [النساء: ٥٩] الآية، والرد إلى الله: هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول الرد إلى سنته.. وقال تعالى: {لأنذركم به ومن بلغ} [الأنعام: ١٩] فنصوصه وأحكامه عامة، لا خاصة بخصوص السبب.

وما المانع من تكفير من فعل ما فعلت اليهود في الصد عن سبيل الله والكفر به مع معرفته؟)

شبهة الثالثة:

الأحزاب ما يسمى بالإسلامية السياسية يحكمون بغير ما أنزل الله، و يستغلون بقصة يوسف عليه السلام..

الرد على شبهة : هل شارك سيدنا يوسف عليه السلام في حكم بغير ما أنزل الله؟!

كشف شبهتهم:

إن هؤلاء الذين دخلوا في برلمانات التشريع وأقسموا على دساتير تخالف الدين الإسلامي ما يفتؤون عن التدليس ليصححوا عملهم الشركي.

فقالوا إن يُوسُف عليه السلام دخل في حكم ملك كافر حتى يخفف الظلم و ينفع المؤمنين من خلال ذلك المنصب ونحن نفعل كفعله. وهذا إفك عظيم...

فهل يعقل أن يدخل نبي الله يُوسُف عليه السلام في حكمِ ملكٍ كافر، وهو النبي المعصوم العالم بأن الحكم لله وحده.

قال الله تعالى على لسان يوسف ((إن الحكم إلا لله، أمر ألا تعبدوا إلا إياه))..

فنقول لهم إن كنتم تقولن أنكم مستضعفين في الأرض و رضيتم في دخول برلمان كفري. فاعلموا ان نبي الله يوسف لم يرضى بهذا و لم يكن مستضعفا.

بل كان متمكناً في الأرض مطبقا لشرع الله . قال تعالى ((كذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء))... قال تعالى ((ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما، وكذلك نجزي المحسنين)).. فان يوسف كان متمكنا في الأرض حاكماً بشرع الله .

اعلم هداك الله ان ملك مصر قد أسلم،

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) فلما تحقق للناس والملك براءة يوسف عليه السلام، فقال الملك ائتوني به اجعله مقرباً لي.

(فَلَمَّا كَلَّمَهُ) فلما جاء يوسف عليه السلام و بلغه الأمانة والرسالة، وهذا واجب الأنبياء يبلغون الامانة كما فعل يوسف من قبل في السجن، وقد كان داعياً إلى الله على أرفع طراز . فقد ذكر القرآن

أنه قال لصاحبيه في السجن عندما سألاه عن تأويل رؤيا كلٍ منهما : ﴿ أأرباب متفرقون خير أم اللهُ الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلاّ أسماءً سميتموها أنتم وآباؤُكُم ما أنزل الله بها من سلطان، إنِ الحكمُ إلاّ لله، أمر ألاّ تعبدوا إلاّ إياه، ذلك الدين القيّم ولكن أكثر الناس لا يعملون) هكذا عند الملك كلمه و بلغه الامانة، ثم الله عز وجل هدا الملك و صار مسلماً و آمن بنبوة يوسف عليه السلام ثم قال: (قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ): أي انك متمكن، انك صاحب التمكين و القوة والقرار. و (أَمِينٌ): انك صاحب الامانة و النبوة. و الدليل على أن(الامانة) يعني الرسالة هو: قال الله عز وجل (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) الأحزاب / ٧٢... وتفسير الأمانة بالتكاليف الشرعية هو قول ابن عباس والحسن البصري ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم وابن زيد وأكثر المفسرين.. وقال قتادة : الأمانة : الدين.

والدليل على ذلك أن يوسف عليه السلام امر على الملك بصيغة الأمر لا بصيغة الطلب إذ قال (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ)

ومع ذلك لو كان الملك الكافر كان من شريعته التي يحكم بها أن السارق يضاعف عليه الغرام. ولكن كان الحكم عند الأنبياء ، يعقوب وبنيه ، أن يؤخذ السارق بسرقته عبدا يسترق.. فلذلك لما وضع يوسف عليه السلام البضاعة في متاع أخيه ليأخذه.. وليس ليضاعف عليه الغرام كما في شريعة الكفار في ذلك الزمان.

فقد قال سبحانه و تعالى ((كذلك كدنا ليوسف، ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله)) أي انه لولا الشريعة. لما أخذ اخاه. وهذا دليل على ان الملك صار مسلما و كانوا يحكمون بما أنزل الله.

و هذا قصة يوسف عليه السلام حجة عليهم لا لهم. واعلم أن الغاية لا تبرر الوسيلة، فكما ينبغي أن تكون الغاية مشروعة، كذلك ينبغي أن الوسيلة مشروعة

باب العاشر

الشرك

قال الله عز وجل : {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا}

الشرك في اللغة هو: "اتخاذ الشريك يعني أن يُجعل واحداً شريكاً لآخر، يقال: أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين.

الشرك في الشرع فهو : اتخاذ الشريك أو الند مع الله جل وعلا في العبادة أو في الربوبية او في الحاكمية أو في الأسماء والصفات . والند هو : النظير والمثيل. ولذا نهى الله تعالى عن اتخاذ الأنداد وذم الذين يتخذونها من دون الله في آيات كثيرة من القرآن

الشرك في الربوبية: [فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] البقرة ٢٢

الشرك في العبادة: [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] الكهف ١١٠

الشرك في الحاكمية: [وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا] الكهف ٢٦

الشرك في الأسماءوالصفات: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.. الاعراف ١٨٠

ان الشرك بالله عز وجل أعظم ذنب عصي الله به، كما قال جل وعلا: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[لقمان ١٣].

ولما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (عن أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك) رواه البخاري ومسلم. لَمَّا كان الشِّركُ هو الذَّنبَ الَّذي لا يُغفرُ كان أكبرَ الذُّنوبِ وأعظَمها؛ ولذلك هو صلَّى الله عليه وسلَّم اجاب به في هذا الحديثِ على السَّائِلِ الَّذي قال له: أيُّ الذَّنبِ عند اللهِ أكبرُ؟ فقال: «أنْ تجعلَ للهِ ندًّا وهو خلقَكَ»، والنِّدُّ هو المثيلُ والنَّظيرُ.

ولذا فإن الشرك وحده لا يغفره الله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ))[النساء ٤٨]، ومن ثم فهو محبط للأعمال الصالحة ((ولَو أَشرَكُوا لَحَبِطَ عَنهُم مَّا كَانُوا يَعمَلُونَ))[الأنعام ٨٨].

اقسام الشرك

الشرك ينقسم الى قسمين:

الاول: الشرك الأكبر؛ وهو أن يصرف لغير اللهِ ما هو محض حق الله من ربوبيته وألوهيته وحاكميته وأسمائه وصفاته .

الثاني: الشرك الأصغر؛ وهو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، أو ورد في النصوص أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

فالأول: الشرك الاكبر مخرج من ملة الاسلام قال الله عز وجل {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} وهو أن يصرف لغير اللهِ ما هو محض حق الله من ربوبيته وألوهيته وحاكميته وأسمائه وصفاته . وهذا الشرك الأكبر تارة يكون ظاهرًا: كشرك عبَّاد طرق الصوفية وعبَّاد القبور والأموات والغائبين والاصنام والاشجار . وتارة يكون خفياً: كشرك وكفر المنافقين لأنهم؛ يظهرون الإسلام ويخفون الكفر والشرك، فهم مشركون في الباطن دون الظاهر. وأن هذا الشرك تارة يكون في الاعتقادات: كإعتقاد أنَّ هناك من يطاع طاعة مطلقة مع الله ، فيطيعونه في تحليل ما شاء وتحريم ما شاء ولو كان ذلك مخالفا لدين الرسل اي: شرك الشريع والتحاكم الى القوانين الموضعية وقال الله عز وجل: [وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا] الكهف ٢٦ ، أو الشرك بالله في المحبة والتعظيم ، بأن يُحب مخلوقا او راية او حزبا كما يحب الله ، فهذا من الشرك الذي لا يغفره الله ، وهو الشرك الذي قال الله فيه : { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ} أو إعتقاد أن هناك من يرزق أو يملك أو يتصرف أو يحي أو يميت في هذا الكون مع الله تعالى، أو اعتقاد أن هناك من يعلم الغيب مع الله. وتارة يكون الأكبر في الأقوال: كمن إستغاث أو استعان أو دعا أو استعاذ بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل؛ سواء كان هذا الغير وليا أو مَلَكا أو نبيا أو جِنّياً، أو غير ذلك من المخلوقات، فإن هذا من الشرك الأكبر المخرج من الملة . ويدخل في الشرك الأكبر الإستهزاء بالدين، أو بشيء منه، أو أثبت مع الله خالقاً أورازقاً أو مدبراً، فهذا كلَّه من الشرك الأكبر والذنب العظيم الذي لا يغفره الله تعالى أن مات عليه صاحبه من دون توبة إلى الله. وتارة يكون في الأفعال: كمن يصلي أو يسجد لغير الله أو يذبح، ونحو ذلك من الأفعال التي تنافي أصل الإيمان ، وتخرج فاعلها من ملة الإسلام، قال تعالى: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّار}. نسأل الله عفوه وعافيته .

اما الثاني: شرك الاصغر غير مخرج من ملة الاسلام، هو ما أتى في النصوص أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر. وهو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر،

خطر الشرك:

قال الله عز وجل : **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ [لقمان: ١٣]**. فإن الذي يعبد هو الذي بيده الخلق والأمر والمتفضل بالنعم فصرف شيء من حق الله عز وجل من العبودية إلى غيره ظلم عظيم.

فظهر مما تقدم أن قبح الشرك يتمثل في أنه تنقص للرب تعالى وظلم وضلال مبين.

وأما خطره فيتمثل في أنه يحبط الأعمال كما قال الله تعالى: **وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر: ٦٥]. ويتمثل خطره كذلك في أن صاحبه إن مات عليه فإنه لا يغفر له كما قال الله تعالى: إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء [النساء: ٤] ويتمثل خطره كذلك في أن صاحبه الذي مات عليه مخلد في نار جهنم، كما قال الله تعالى: إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ [المائدة:** ٧٢]، ومع ذلك عاقبة الشرك ندتمة و حسرة

كما قال الله تعالى عن المشركين يوم القيامة عند خصومتهم مع معبوديهم: **تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [الشعراء: ٩٧-٩٨]**

وقال الله تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣١)} [الحج/٣١].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار) [رواه البخاري]. ولمسلم عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار).

اصلول الشرك

أن أصل شرك العالم هو عبادة الأشخاص او عبادة الاشياء. وهذا هو الشرك الذي أرسلت الرسل لإنكاره، وليس الشرك محصوراً في اعتقاد وجود رب آخر لهذا العالم مساو لله تعالى، بل هذا النوع لم يكن معروفاً في بني آدم كما سيأتي تحقيقه إن شاء الله وبهذا يتضح جهل كثير من الناس في هذه الأزمان بحقيقة الشرك، ولزيادة المسألة إيضاحاً، يفرع على هذا بيان سبب الشرك، فلوقوع الشرك ثلاث اسباب:

السبب الأول: الغلو في المخلوق: ويكون بتنزيل المخلوق منزلة فوق منزلته فيصرف له شيء من حقوق الله، وهذا الأمر جلي وواضح يبينه أصل الشرك الذي حدث لقوم نوح وإبراهيم عليهما و باقي الانبياء عليهم السلام، وفي قومنا هكذا، سواء كان يعبدون الاشخاص و يطلبونهم النفع والمدد كالصوفية والدراويش، او يجعلونهم المشرعين يعيعونهم لتحليل الحرام و تحريم الحلال كالمورجئة و الاحزاب ما يسمى بالأسلامة سياسة وقعوا في هذا النوع من الشرك الاكبر.

وأما السبب الثاني: فهو إساءة الظن برب العالمين:

وهذا السبب مترتب على السبب السابق، فإنه بعد غلو الشخص في المخلوق وحصول الجهل بالدين يتخذه وسيطاً يقربه إلى الله فيعطفه عليه في قضاء حاجاته، فيكون قد أساء الظن بإفضال ربه وإنعامه وإحسانه إليه. او أساء الظن بأحكام الله عز وجل، وهذا يحدث وإن اعتقد أن الله يسمع ويرى ويملك كل شيء.

قال الله عز وجل: اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ.. عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب, فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك ! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في " سورة براءة ", فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله)، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس يحرّمون ما أحلَّ الله فتحرّمونه, ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم! وقال الله عز وجل: أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أي : هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، من التحليل والتحريم ،

وقال الله تعالى: **وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا [الفتح: ٦] وكان ظن المشركين والمنافقين أن الله لن يحقق وعده بنصر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما قال الله تعالى: بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا [الفتح: ١٢]** وهذا الوصف وصف لله بالنقص، فكذلك من يعتقد أن الله لا يستجيب له إلا بوساطة يكون قد وصف الله بالنقص.

وأساس الشرك وقاعدته التي بني عليها هو التعلق بغير الله، ومن تعلق بغير الله وكله الله إلى ما تعلق به، وعذبه به، وخذله من جهة ما تعلق به، وصار مذموماً لا حامد له، مخذولاً لا ناصر له كما قال سبحانه: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)} [الإسراء /٢٢

والسبب الثالث هو الجهل: العلم بالتوحيد شرط لصحته؛ لأن جاهل التوحيد كفاقده، وفاقد التوحيد لا يعتقده، ومن لا يعتقد التوحيد لا يكون مؤمناً ولا مسلماً، وهو كافر بلا خلاف.

و لا يعذر بالجهل في مسائل التوحيد التوحيد والشرك، ومقام التوحيد لا يعذر فيه بالجهل ما دام بين المسلمين، ليس في فترة من الزمان، ولا في محل بعيد عن أهل الإسلام، بل بين المسلمين، لا يعذر في التوحيد، بل متى وقع الشرك منه أخذ به، كما يقع الآن بين كثير من الناس، عند قبر عبدالقادري جيلاني و البدوي وغيره، او الذين يحكمون بغير ماانزل الله، و نحو ذلك من الشركيات، فالواجب على المسلمين أن ينبهوا الناس وأن يحذروهم من هذا الشرك، وعلى الإنسان

أن يطلب العلم ويسأل ولا يرضى بأن يكون إمعة لغيره بل يسأل، والله يقول سبحانه: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ [النحل:٤٣].

فلا يجوز للإنسان أن يبقى على الكفر والشرك؛ لأنه رأى الناس على ذلك ولا يسأل ولا يتبصر، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: إن أبي وأباك في النار لمن سأله عن أبيه، قال: إن أباك في النار فلما رأى تغير وجهه قال: إن أبي وأباك في النار - وأبوه مات في الجاهلية- رواه مسلم في الصحيح؛ لأنهم كانوا على شريعة تلقوها عن خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهي التوحيد.

وأمه عليه الصلاة والسلام ماتت في الجاهلية، واستأذن ربه أن يستغفر لها فلم يؤذن له، واستأذن أن يزورها فأذن له، فدل ذلك على أن من مات على كفر لا يستغفر له ولا يدعى له من كان في الجاهلية، فكيف إذا كان بين مسلمين، وبين أهل التوحيد، وبين من يقرءون القرآن، ويسمع أحاديث رسول الله ﷺ، هو أولى بأن يقال في حقه: إنه كافر وله حكم الكفار.

وكثير منهم لو سمع من يدعوه إلى توحيد الله وينذره من الشرك لأنف واستكبر، وخاصم أو ضارب على دينه الباطل، وعلى تقليده لأسلافه وآبائه ولا حول ولا قوة إلا بالله، فالواجب على كل إنسان مكلف أن يسأل ويتحرى الحق، ويتفقه في دينه ولا يرضى بمشاركة العامة والتأسي بهم في كفرهم وضلالهم وأعمالهم القبيحة.

طريق الشرك

الإشراك بالله في أسمائه وصفاته.. والإشراك بالله في حكمه.. والإشراك بالله في عبادته.. كل هذه الأقسام شرك بالله.

فالأول شرك في الربوبية، والثاني شرك في الطاعة (الحاكمية)، والثالث شرك في العبادة.

والله عز وجل هو الرب العلي الكبير، وهو الخالق لكل شيء وحده.

فله وحده حق التشريع، وله وحده حق العبادة.

والشرك بالله في حكمه كالشرك بالله في عبادته، كلاهما شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام؛ لأن العبادة حق لله وحده لاشريك له كما قال سبحانه:

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)} [الكهف/١١٠].

والحكم حق لله وحده لا شريك له كما قال سبحانه: {لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)} [الكهف / ٢٦].

وكل من اتبع تشريعاً سوى ما أنزل الله فهو مشرك كافر بالله، وربه ذلك التشريع الذي وضعه إبليس على ألسنة أوليائه من الكفرة كما قال سبحانه: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)} [التوبة / ٣١].

وعبادة الشيطان هي اتباع نظامه وشرعه، الذي يجرُّ به الخلق إلى الشرك.

وقد حذرنا الله من هذا العدو بقوله سبحانه: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. [يس / ٦٠- ٦١].

انواع شرك الاكبر و شرك الاصغر

الاول: انواع شرك الاكبر:

اتخاذ الشريك أو الند مع الله جل وعلا في العبادة أو في الربوبية او في الحاكمية أو في الأسماء والصفات . والند هو : النظير والمثيل. ولذا نهى الله تعالى عن اتخاذ الأنداد وذم الذين يتخذونها من دون الله في آيات كثيرة من القرآن

الشرك في الربوبية: [فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] البقرة ٢٢

الشرك في العبادة: [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] الكهف ١١٠

الشرك في الحاكمية: [وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا] الكهف ٢٦

الشرك في الأسماءوالصفات: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.. الاعراف ١٨٠

و انواع شرك الاكبر:

١: الشرك في النية والارادة والقصد:

شرك النية والإرادة: أن ينوي الإنسان بعمله غير التقرب لله وطلب الجزاء منه، أو أن يأتي بالعبادة رياء، أو لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها.

قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [هود:١٥، ١٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (من عمل صالحاً التماس الدنيا، صوماً أو صلاة أو تهجداً بالليل لا يعمله إلا لالتماس الدنيا، يقول الله: أوفّيه الذي التمَسَ في الدنيا من المثابة، وحبط عمله الذي كان يعمل التمَاسَ الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين).

والرياء ينقسم الى قسمين: الرياء الاكبر (الاعتقادي) مخرج من ملة الاسلام كالمنافقين الذين يظهرون الاسلام و يسرون الكفر. اما الرياء الاصغر (العملي) غير مخرج من ملة الاسلام. و كفارته قول : أن تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.

وقال ابن القيم: "أما الشرك في الإرادات والنيّات فذلك البحر الذي لا ساحل له وقلّ من ينجو منه، من أراد بعمله غير وجه الله ونوى شيئاً غير التقريب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته". وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن معنى قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَواةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ} فأجاب بما ملخصه: "ذكر عن السلف من أهل العلم فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه، فمن ذلك العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم ونحو ذلك مما يفعله الإنسان، أو يتركه خالصاً لله لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همّة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

النوع الثاني وهو أكبر من الأول وأخوف: وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد به مالاً، مثل أن يحج لمالٍ يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم؛ لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء، لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفّره كفراً يخرجه عن الإسلام، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم، وهذا يشمل كثير من طوائف الضالة ومنهم من ينسبون انفسهم الى الإسلام و يحسبون انهم مهتدون. قال الله عز وجل: فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ. الاعراف ٣٠

وقال الله عز وجل قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. الكهف ١٠٤

٢: شرك الدعاء:

وهو أن يدعو غير الله؛ ملكًا مقربًا كما تقول العامة يا جبريل؛ أو نبيًا صالحًا كما يقول بعض الناس يا محمد، أو رجلا صالحا، أو الشفاعة يا رسول الله؛ هذا شرك الدعاء ويُسمى شرك الدعوة، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]

وقال تعالى: إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر:١٤]. وعلمنا في سورة الفاتحة أن نقول: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة:٥]. كما أمرنا النبي، صلى الله عليه وسلم، ألا نسأل إلا الله ولا نستعين إلا به بقوله صلى الله عليه وسلم: ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله))

"الاستعانة بالحي الحاضر القادر فيما يقدر عليه جائزة، كمن استعان بشخص فطلب منه أن يقرضه نقوداً أو استعان به في يده،

والاستعانة بالميت شرك وكذلك الاستعانة بالحي الغائب شرك؛ لأنهم لا يقدرون على تحقيق ما طلب منهم لعموم قوله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن:١٨] وقوله سبحانه: وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ [يونس:١٠٦] وقوله عز وجل: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر:١٣-١٤]. والآيات في هذا المعنى كثيرة والله المستعان.

ومن أمثلة الشرك في دعاء المسألة ما يلي:

أ- أن يطلب من المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق، سواء أكان هذا المخلوق حياً أم ميتاً، نبياً أم ولياً, أو ملكاً أم جنياً أم غيرهم، كأن يطلب منه شفاء مريضه, أو نصره على الأعداء، أو كشف كربة، أو أن يغيثه، أو أن يعيذه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله، فهذا كله شرك أكبر، مخرج من الملة بإجماع المسلمين ؛ لأنه دعا غير الله، واستغاث به، واستعاذ به، وهذا كله عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله بإجماع المسلمين، وصرفها لغيره شرك، ولأنه اعتقد في هذا المخلوق ما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى .

ب- دعاء الميت.

ج- دعاء الغائب.

فمن دعا غائباً أو دعا ميتاً وهو بعيد عن قبره، وهو يعتقد أن هذا المدعو يسمع كلامه, أو يعلم بحاله فقد وقع في الشرك الأكبر، سواء أكان هذا المدعو نبياً أو ولياً، أم عبداً صالحاً أم غيرهم،

وسواء طلب من هذا المدعو ما لا يقدر عليه إلا الله أم طلب منه أن يدعو الله تعالى له، ويشفع له عنده ، فهذا كله شرك بالله تعالى مخرج من الملة؛ لما فيه من دعاء غير الله، ولما فيه من اعتقاد أن المخلوق يعلم الغيب، ولما فيه من اعتقاد إحاطة سمعه بالأصوات، وهذا كله من صفات الله تعالى التي اختص بها، فاعتقاد وجودها في غيره شرك مخرج من الملة.

د- أن يجعل بينه وبين الله تعالى واسطة في الدعاء، ويعتقد أن الله تعالى لا يجيب دعاء من دعاه مباشرة، بل لابد من واسطة بين الخلق وبين الله في الدعاء، فهذه شفاعة شركية مخرجة من الملة.

واتخاذ الوسائط والشفعاء هو أصل شرك العرب ، فهم كانوا يزعمون أن الأصنام تماثيل لقوم صالحين، فيتقربون إليهم طالبين منهم الشفاعة، كما قال تعالى: أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر: ٣].

الأمر الثاني: الشرك في دعاء العبادة

دعاء العبادة هو: عبادة الله تعالى بأنواع العبادات القلبية، والقولية، والفعلية كالمحبة، والخوف، والرجاء والصلاة، والصيام، والذبح، وقراءة القرآن، وذكر الله تعالى وغيرها.

وسمي هذا النوع (دعاء) باعتبار أن العابد لله بهذه العبادات طالب وسائل لله في المعنى، لأنه إنما فعل هذه العبادات رجاء لثوابه وخوفاً من عقابه، وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب ، فهو داع لله تعالى بلسان حاله، لا بلسان مقاله.

٣: الشرك في الخوف: وهو أن يخاف غير الله من وثن أو صنم أو طاغوت أو ميت أو غائب من جن أو إنس أن يضره أو يصيبه بما يكره.

وهذا الخوف من أعظم مقامات الدين وأجلّها، فمن صرفه لغير الله فقد أشرك بالله الشرك الأكبر، قال الله تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥)} [آل عمران/١٧٥].

الشرك في الخوف:

الخوف في أصله ينقسم إلى أربعة أقسام:

١- الخوف من الله تعالى: ويسمى (خوف السر)، وهو الخوف المقترن بالمحبة, والتعظيم, والتذلل لله تعالى، وهو خوف واجب، وأصل من أصول العبادة.

٢- الخوف الجبلي: كالخوف من عدو، والخوف من السباع المفترسة ونحو ذلك. وهذا خوف مباح؛ إذا وجدت أسبابه، قال الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام: فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ [القصص: ٢١].

٣- الخوف الشركي: وهو أن يخاف من مخلوق خوفاً مقترناً بالتعظيم والخضوع والمحبة. ومن ذلك الخوف من صنم أو من ميت خوفاً مقروناً بتعظيم ومحبة، فيخاف أن يصيبه بمكروه بمشيئته وقدرته، كأن يخاف أن يصيبه بمرض, أو بآفة في ماله، أو يخاف أن يغضب عليه؛ فيسلبه نعمه فهذا من الشرك الأكبر، لأنه صرف عبادة الخوف والتعظيم لغير الله، ولما في ذلك من اعتقاد النفع والضر في غير الله تعالى، قال الله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ [التوبة: ١٨] قال ابن عطية المالكي الأندلسي المولود سنة ٤٨١هـ في تفسيره : (يريد خشية التعظيم, والعبادة, والطاعة).

٤- الخوف الذي يحمل على ترك واجب أو فعل محرم، وهو خوف محرم ، كمن يخاف من إنسان حي أن يضره في ماله أو في بدنه، وهذا الخوف وهمي لا حقيقة له، وقد يكون هناك خوف فعلاً ولكنه يسير لا يجوز معه ترك الواجب أو فعل المحرم. قال الله تعالى: إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ [آل عمران: ١٧٥]. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذا رآه أو علمه))

٤: الشرك في المحبة:

محبة الله هي المحبة التي تستلزم كمال الذل وكمال الطاعة للهِ، وهذه المحبة خالصة للهِ، لا يجوز أن يشرك معه فيها أحد، فمن أحب من دون الله شيئاً كما يحب الله تعالى فقد اتخذ من دون الله أنداداً في الحب والتعظيم وهذا شرك.

قال الله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة/١٦٥].

٤: الشرك في المحبة:

المحبة في أصلها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ: محبة واجبة: وهي محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبة ما يحبه الله تعالى من العبادات وغيرها .

ب: محبة طبيعية مباحة: كمحبة الوالد لولده، والإنسان لصديقه، ولماله ونحو ذلك.

ويشترط في هذه المحبة أن لا يصحبها ذل, ولا خضوع, ولا تعظيم، فإن صحبها ذلك فهي من القسم الثالث، ويشترط أيضاً أن لا تصل إلى درجة محبته لله ومحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن ساوتها أو زادت عليها فهي محبة محرمة، لقوله تعالى: قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ

وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة: ٢٤].

ت:- محبة شركية، وهي أن يحب مخلوقاً محبة مقترنة بالخضوع والتعظيم، وهذه هي محبة العبودية، التي لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغيره فقد وقع في الشرك الأكبر ، قال الله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ [البقرة: ١٦٥].

٥: الشرك في الحكم الطاعة:

من الشرك في الطاعة: طاعة العلماء والأمراء والرؤساء والحكام في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله، فمن أطاعهم في ذلك فقد اتخذهم شركاء للهِ في التشريع، والتحليل، والتحريم وهذا من الشرك الأكبر كما قال سبحانه: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)} [التوبة /٣١].

الشرك في الحكم والطاعة

ومن صور الشرك في هذا النوع:

١- أن يعتقد أحد أن حكم غير الله أفضل من حكم الله أو مثله، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة، لأنه مكذب للقرآن، فهو مكذب لقوله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا [المائدة: ٥٠]، ولقوله تعالى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ [التين:٨] وهذا استفهام تقريري، أي أن الله تعالى أحكم الحاكمين، فليس حكم أحد غيره أحسن من حكمه ولا مثله.

٢- أن يعتقد أحد جواز الحكم بغير ما أنزل الله، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقد خلاف ما دلت عليه النصوص القطعية من الكتاب والسنة، وخلاف ما دل عليه الإجماع القطعي من المسلمين من تحريم الحكم بغير ما أنزل الله.

٣- أن يضع تشريعاً أو قانوناً مخالفاً لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحكم به، معتقداً جواز الحكم بهذا القانون، أو معتقداً أن هذا القانون خير من حكم الله أو مثله، ومثله من يحكم بعادات آبائه وأجداده أو عادات قبيلته – وهي ما تسمى عند بعضهم بـ: السلوم – وهو يعلم أنها مخالفة لحكم الله، معتقداً أنها أفضل من حكم الله, أو مثله, أو أنه يجوز الحكم بها، فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة.

٤- أن يطيع من يحكم بغير شرع الله عن رضى، مقدماً لقولهم على شرع الله، ساخطاً لحكم الله، أو معتقداً جواز الحكم بغيره، أو معتقداً أن هذا الحكم أو القانون أفضل من حكم الله أو مثله.

ومثل هؤلاء من يتبع أو يتحاكم إلى الأعراف القبلية – التي تسمى: السلوم – المخالفة لحكم الله تعالى، مع علمه بمخالفتها للشرع، معتقداً جواز الحكم بها، أو أنها أفضل من الشرع أو مثله، فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة .

والدليل على أن هذا كله شرك قوله تعالى: وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ [التوبة: ٣١]، وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ: اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فقلت: إنا لسنا نعبدهم؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((أليس يحرمون ما أحل الله، فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله، فتحلونه؟ قال: قلت: بلى. فقال صلى الله عليه وسلم: فتلك عبادتهم)) . فذكر في هذا الحديث أن طاعتهم في مخالفة الشرع عبادة لهم، وذكر الله تعالى في آخر الآية أن ذلك شرك، ولأن من كره شرع الله كفر، لقوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ [محمد: ٩].

٥- من يدعو إلى عدم تحكيم شرع الله، وإلى تحكيم القوانين الوضعية محاربة للإسلام وبغضاً له، كالذين يدعون إلى سفور المرأة واختلاطها بالرجال الأجانب في المدارس والوظائف, وإلى التعامل بالربا، وإلى منع تعدد الزوجات، وغير ذلك مما فيه دعوة إلى محاربة شرع الله، فالذي يدعو إلى ذلك مع علمه بأنه يدعو إلى المنكر وإلى محاربة شرع الله ظاهر حاله أنه لم يدع إلى ذلك إلا لما وقع في قلبه من الإعجاب بالكفار وقوانينهم واعتقاده أنها أفضل من شرع الله، ولما وقع في قلبه من كره لدين الإسلام وأحكامه، وهذا كله شرك وكفر مخرج من الملة، ومن كانت هذه حقيقة حاله فقد وقع في الشرك الأكبر، وإن كان يظهر أنه من المسلمين فهو نفاق أيضاً. (تسهيل العقيدة الاسلامية)

باب الحادي عشر

الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر:

الشرك الاصغر

قال الله عز وجل: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[لقمان ١٣].

الشرك في اللغة هو: "اتخاذ الشريك يعني أن يُجعل واحداً شريكاً لآخر، يقال: أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين.

الشرك في الشرع فهو : اتخاذ الشريك أو الند مع الله جل وعلا في العبادة أو في الربوبية او في الحاكمية أو في الأسماء والصفات . والند هو : النظير والمثيل. ولذا نهى الله تعالى عن اتخاذ الأنداد وذم الذين يتخذونها من دون الله في آيات كثيرة من القرآن

الشرك في الربوبية: [فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ] البقرة ٢٢

الشرك في العبادة: [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] الكهف ١١٠

الشرك في الحاكمية: [وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا] الكهف ٢٦

الشرك في الأسماءوالصفات: وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ.. الاعراف ١٨٠

ان الشرك بالله عز وجل أعظم ذنب عصي الله به، كما قال جل وعلا: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[لقمان ١٣].

ولما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (عن أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك) رواه البخاري ومسلم. لَمَّا كان الشِّركُ هو الذَّنبَ الَّذي لا يُغفرُ كان أكبرَ الذُّنوبِ وأعظَمها؛ ولذلك هو صلَّى الله عليه وسلَّم اجاب به في هذا الحديثِ على السَّائِلِ الَّذي قال له: أيُّ الذَّنبِ عند اللهِ أكبرُ؟ فقال: «أنْ تجعلَ للهِ ندًّا وهو خلقَكَ»، والنِّدُّ هو المثيلُ والنَّظيرُ.

اقسام الشرك

الشرك ينقسم الى قسمين:

الاول: الشرك الأكبر؛ وهو أن يصرف لغير اللهِ ما هو محض حق الله من ربوبيته وألوهيته وحاكميته وأسمائه وصفاته .

الثاني: الشرك الأصغر؛ وهو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، أو ورد في النصوص أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر.

فالأول: الشرك الاكبر مخرج من ملة الاسلام قال الله عز وجل {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} وهو أن يصرف لغير اللهِ ما هو محض حق الله من ربوبيته وألوهيته وحاكميته وأسمائه وصفاته .

اما الثاني: شرك الاصغر غير مخرج من ملة الاسلام، كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة. أو هو ما أتى في النصوص أنه شرك ، ولم يصل إلى حد الشرك الأكبر. وهو كل ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر،

معرفة شرك الاصغر من الاكبر:

وهناك دلالات معينة يمكن اعتبارها ضوابط في تبيين الشرك الأصغر من الأكبر، منها: صريح النص عليه ، كقوله صلى الله عليه وسلم-: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء) رواه أحمد.

ومن الدلالات على الشرك الأصغر أن يأتي منكراً غير معرف ، فإن جاء معرفاً بـ "ال" دل على أن المقصود به الشرك المخرج من الملة، ومن ذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أحمد وأبو داود.

ومن الدلالات أيضاً على الشرك الأصغر ما فهمه الصحابة من النص، فالصحابة أعلم الأمة بمعاني نصوص الكتاب والسنة، ومثاله حديث "(الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل)" رواه أحمد والترمذي.

فإن آخر الحديث على الصحيح هو من قول ابن مسعود -رضي الله عنه-، ومعناه: وما منا إلا ويقع له شيء من التطير.

ومن ذلك حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (من حلف بغير الله فقد أشرك) رواه الترمذي وحسنه، فقد فسر ابن عباس -رضي الله عنه- أن الحلف بغير الله من الشرك الخفي والذي يعتبر شركاً أصغر.. فقد قال ابن عباس عن قوله تعالى: ((فَلا تَجعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُم تَعلَمُونَ))[البقرة ٢٢]، (الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يافلان، وحياتي..) رواه ابن أبي حاتم.

والشرك الخفي يعتبر شركاً أصغر، حيث فسر الرسول -صلى الله عليه وسلم- الشرك الخفي بالرياء، والذي يعد شركاً أصغر، وإليك الدليل عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى! قال: الشرك الخفي، يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) رواه أحمد.

وعن شداد بن أوس قال: (كنا نعد الرياء على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الشرك الأصغر) رواه الحكم وصححه.

ومن هذه الدلالات أن يفسر الرسول -صلى الله عليه وسلم- هذا الشرك الذي جاء في نص بما يوضح أن المراد به ما دون الشرك الأكبر، ومن ذلك حديث معاوية الليثي مرفوعاً: (يكون الناس مجدبين فينزل الله عليهم رزقاً من رزقه، فيصبحون مشركين يقولون: مطرنا بنوء كذا) رواه أحمد.

فالمراد بهذا الشرك هو كفر النعمة ضد الشكر، وهو من الكفر الأصغر (العملي)، لما أخرجه الشيخان من حديث زيد بن خالد -رضي الله عنه- قال : صلى بنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء (أي مطر) كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب). وفي رواية لمسلم عن ابن عباس مرفوعاً: (أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا).

ومن الشرك الأصغر ما يكون شركاً بحسب قائله ومقصده، فمثلاً الحلف بغير الله تعالى -في حد ذاته- من الشرك الأصغر (شرك الألفاظ)، لكن إن قصد قائله تعظيم غير الله تعالى كتعظيم الله تعالى مثلاً، فهذا شرك أكبر.

الفرق بين الشرك الأكبروالشرك الأصغر:

إن الشرك الأكبر محكوم على صاحبه بالخروج من الإسلام في الدنيا، والتخليد في النار ، وتحريم الجنة في الآخرة، وأما الشرك الأصغر فهو بخلاف ذلك، فلا يحكم على صاحبه بالكفر ولا الخروج من الإسلام، ولا يخلد في النار.

كما أن الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، بينما الأصغر يحبط العمل الذي قارنه .

وتبقى مسألة -هي محل خلاف- وهي هل الشرك الأصغر لا يغفر إلا بالتوبة كالأكبر أم هو مثل الكبائر تحت المشيئة الإلهية؟

هناك من العلماء من قال: إن الشرك الأصغر لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة لعموم الآية: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ))، لكن يدخل تحت الموازنة بخلاف الأكبر الذي يحبط كل الأعمال كما سبق، فإن حصل معه حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة وإلا دخل النار.

وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يميل إلى ذلك حيث يقول مثلاً: (وأعظم الذنوب عند الله الشرك به وهو سبحانه لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، والشرك من جليل ودقيق، وخفي وجلي).

ويقول بعبارة أصرح من السابقة: (وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء لا أكبر ولا أصغر على مقتضى القرآن، وإن كان صاحب الشرك [أي الأصغر] يموت مسلماً، لكن شركه لا يغفر له بل يعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة).

لكن يفهم من عبارات ابن القيم أن الشرك الأصغر تحت المشيئة، حيث يقول -رحمه الله-: (فأما نجاسة الشرك فهي نوعان: نجاسة مغلظة ونجاسة مخففة، فالمغلظة الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، والمخففة الشرك الأصغر كيسير الرياء).

ومرة يقول: (الشرك الأكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه إلى أن يقول: (وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للمخلوق.

وقد ذكر العلامة السعدي كلاماً مهماً في هذه المسألة، أنقل بعضه: (من لحظ إلى عموم الآية [يعني قوله تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ))]، وأنه لم يخص شركاً دون شرك ، أدخل فيها الشرك الأصغر، وقال: إنه لا يغفر، بل لا بد أن يعذب صاحبه لأن من لم يغفر له لا بد أن يعاقب، ولكن القائلين بهذا لا يحكمون بكفره ولا بخلوده في النار، وإنما يقولون: يعذب عذاباً بقدر شركه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة. وأما من قال: إن الشرك الأصغر لا يدخل في الشرك المذكور في هذه الآية، وإنما هو تحت المشيئة، فإنهم يحتجون بقوله تعالى: ((إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللَّهِ فَقَد حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ ومَأوَاهُ النَّارُ))[المائدة ٧٢]، فيقولون: كما أنه بإجماع الأئمة أن الشرك الأصغر لا يدخل في تلك الآية، وكذلك لا يدخل في قوله تعالى: ((لَئِن أَشرَكتَ لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ))[الزمر ١٦٥] لأن العمل هنا مفرد مضاف ويشمل الأعمال كلها، ولا يحبط الأعمال الصالحة كلها إلا الشرك الأكبر.

ويؤيد قولهم أن الموازنة واقعة بين الحسنات والسيئات التي هي دون الشرك الأكبر لأن الشرك الأكبر لا موازنة بينه وبين غيره فإنه لا يبقى معه عمل ينفع) (عبدالرحمن السعدي).

باب الثاني عشر
انواع شرك الاصغر

الشرك الأصغر قد يكون ظاهراً جلياً، وربما كان خفياً دقيقاً، كما أنه يكون في الإرادات والنيات، يكون في القلب كالرياء، ويكون في الأقوال والأفعال.

وهذا يكون في الغالب من جهتين :

الأولى : من جهة التعلق ببعض الأسباب التي لم يأذن الله جل وعلا بها ، كتعليق الكَفِّ والخرز ونحو ذلك على أنها سبب للحفظ أو أنها تدفع العين والله تعالى لم يجعلها سبباً لذلك لا شرعاً ولا قدراً .

الثانية : من جهة تعظيم بعض الأشياء التعظيم الذي لا يوصلها إلى مقام الربوبية ، كالحلف بغير الله ، وكقول : لولا الله وفلان ، وأشباه ذلك.

أنواعه:

١: الشرك الخفي: وهو الشرك في الإرادات والنيات، ورحم الله ابن القيم عندما يقول عن هذا الشرك: (فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئاً غير التقرب إليه وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته).

ومن هذا الشرك: يسير الرياء لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (إن يسير الرياء شرك) رواه ابن ماجه وأما الرياء المحض فهذا من النفاق الأكبر المخرج من الملة ، كما ذكر ذلك ابن رجب -رحمه الله- في جامع العلوم والحكم. وقد سمى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرياء شركاً خفياً، وسماه شرك السرائر، فعن أبي سعيد مرفوعاً: (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا : بلى. قال : الشرك الخفي يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر الرجل) رواه أحمد.

وعن محمود بن لبيد -رضي الله عنه- قال: خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الرجل إليه ، فذلك شرك السرائر) رواه ابن خزيمة.

إن الرياء داء عضال، وآفة عظيمة تحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والاستعانة بالله على دفعها.

وكما قال الطيبي عن الرياء: (هو من أضر غوائل النفس، وبواطن مكائدها، يبتلى به العلماء والعباد، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصاً من مشقه

المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمده الله وحده، فأحبت مدحهم، وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة، قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين، وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ولذلك قيل: (آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة).

يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (فمن خلصت نيته في الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس، ومن تزين بما ليس فيه شانه الله.

وقد أرشد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى علاج لهذا الشرك، فقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري أنه قال: خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات يوم فقال: (أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل، فقيل له: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) رواه أحمد

والرياء ينقسم الى قسمين:

الرياء الاكبر (الاعتقادي) مخرج من ملة الاسلام كالمنافقين الذين يظهرون الاسلام و يسرون الكفر.

اما الرياء الاصغر (العملي) غير مخرج من ملة الاسلام. و كفارته قول : أن تقول: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم.

وقيل الشرك الأصغر عرّفه أكثر العلماء بتعريف النبي صلى الله عليه وسلم ؛لأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد بيّن بالتعريف المنضبط ما هو حد الشرك بقسميه الأكبر والأصغر فقال في الأصغر .((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال ((الرياء)).فهو بيان في مقام الحاجة وتأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

وسمي الرياء شركاً لأن متعلقه الإخلاص في العبادة ،لأن الإنسان إما أن يكون إخلاصه منتفياً إنتفاء كلياً بأن يجعل لله نداً وشريكاً في أفعاله أو صفاته أو عبادته فهذا هو الشرك الأكبر المخرج من الملة وإما أن يعبد الله وحده لكنه يزين هذه العبادة لأجل الناس لسمعهم أو لنظرهم وهذا هو الشرك الأصغر

٢: شرك القولي:

أ: الحلف بغير الله عزوجل.

ب: استخدام واو المعية أو واو التسوية.

شرك الألفاظ، ومنه الحلف بغير الله لما جاء في الأحاديث الكثيرة من التحذير من ذلك، ووصفه بأنه شرك، ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه أحمد وأبو داود.

وكذلك حديث ابن عمر مرفوعاً: (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) أخرجاه، وعن بريدة مرفوعاً: (من حلف بالأمانة فليس منا) رواه أبو داود، وقد جاءت كفارة ذلك من حديث أبي هريرة مرفوعاً: (من حلف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله) رواه البخاري ومسلم.

وإن اعتقد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو كافر كفراً أكبر. (الكاف للتسوية والتشريك).

ومن شرك الألفاظ ما ورد عن ابن عباس في قوله تعالى: ((فَلا تَجعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً))[البقرة ٢٢]، حيث قال -رضي الله عنه-: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يافلان، وحياتي، وتقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها (فلان) هذا كله شرك. رواه ابن أبي حاتم.

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان) رواه أبو داود.

٣: انواع شرك العملي:

شرك الاصغر العملي:

خطورة التشاؤم:

والتشاؤم من الاعتقادات الجاهلية التي انتشرت .وللأسف الشديد .بين كثير من جهَّال المسلمين، نتيجة جهلهم بالدين عمومًا، وضعف عقيدة التوحيد فيهم خصوصًا، وسبب ذلك الجهل، ونقص التوحيد، وضعف الإيمان: هو عدم انتشار الوعي الصحيح فيهم، ومخالطة أهل البدع والضلال، وقلة من يرشدهم ويبيّن لهم الطريق المستقيم، وما يجب اعتقاده، وما لا يجوز اعتقاده، وما هو شرك أكبر يخرج المسلم عن الملة الإسلامية وما هو شرك أصغر، وما هو ذريعة إلى الشرك ينافي كمال التوحيد ويُوصل الفاعل في النهاية إلى الشرك الأكبر، الذي لا يغفر الله لصاحبه إن مات ولم يتب، ويكون مخلدًا في النار، وتحبط جميع أعماله الصالحة، كما قال الله تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة:٧٢]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً} [النساء:٤٨].

انواع شرك الاصغر العملي:

١: الرقى

الرق في اللغة: جمع رقية، والاسم منه (رقيا)، يقال: رقيته، أرقيه، رقيا، والمرة (رقية) .

وفي الاصطلاح: الأمور التي يعوذ بها لرفع البلاء أو دفعه.

والرقية الشرعية هي الأذكار من القرآن والأدعية والتعويذات الثابتة في السنة أو الأدعية الأخرى المشروعة التي يقرؤها الإنسان على نفسه أو يقرؤها عليه غيره ليعيذه الله من الشرور بأنواعها، من الأمراض وشرور جميع مخلوقات الله الأخرى من السباع والهوام والجن والإنس وغيرها، فيعيذه منها بدفعها قبل وقوعها، بأن لا تصيبه، أو يعيذه منها بعد وقوعها بأن يرفعها ويزيلها عنه، وغالباً يصحب قراءة هذه الأذكار نفث من الراقي، وقد تكون الرقية بالقراءة والنفث على بدن المرقي أو في يديه ويمسح بهما جسده ومواضع الألم إن وجدت، وقد تكون بالقراءة في ماء ثم يشربه المرقي أو يصب على بدنه، وبعضهم يقوم بكتابة الأذكار بزعفران أو غيره على ورق أو في إناء، ثم يغسله بماء، ثم يسقيه المريض.

والرقى التي يفعلها الناس تنقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الرقى الشرعية، وهي الرقى التي سبق ذكرها، وقد أجمع أهل العلم جوازها في الجملة.

ويشترط في هذه الرقية أيضا أن يعتقد الراقي والمرقي أن الرقية لا تؤثر بذاتها، وأن لا يعتمد عليها المرقي بقلبه، وأن يعتقد أن النفع إنما هو من الله تعالى، وأن هذه الرقية إنما هي سبب من الأسباب المشروعة ، ويشترط أن لا تكون هذه الرقية من ساحر أو متهم بالسحر، وحكم هذه الرقية عند اجتماع الشروط السابقة أنها مستحبة، وهي من أعظم أسباب الشفاء من الأمراض بإذن الله تعالى.

والدليل على استحباب الرقية في حق المرقي: ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بـ: قل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده. قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به.

والدليل على استحبابها في حق الراقي: ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: كان لي خال يرقي من العقرب، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرقى، قال: فأتاه فقال: يا رسول الله، إنك نهيت عن الرقى، وأنا أرقي من العقرب؟ فقال: ((من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل)).

النوع الثاني: الرقى المحرمة:

ومنها: الرقى الشركية، وهي الرقى التي يعتمد فيها الراقي أو المرقي على الرقية، فإن اعتمد عليها مع اعتقاده أنها سبب من الأسباب، وأنها لا تستقل بالتأثير فهذا شرك أصغر، وإن اعتمد عليها اعتماداً

كلياً حتى اعتقد أنها تنفع من دون الله، أو تضمنت صرف شيء من العبادة لغير الله، كالدعاء، أو الاستعاذة بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو من الشرك الأكبر المخرج من الملة.

والدليل على تحريم جميع الرقى الشركية: قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك))، وما روى عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: ((اعرضوا علي رقاكم، لا بأس بالرقى، ما لم يكن فيه شرك)) رواه مسلم.

ومن الرقى المحرمة: أن تكون الرقية فيها طلاسم، أو ألفاظ غير مفهومة، والغالب أنها رقى شركية، وبالأخص إذا كانت من شخص غير معروف بالصلاح والاستقامة على دين الله تعالى.

٢: التمائم:

التمائم في اللغة: جمع تميمة، وهي في الأصل خرزة كانت تعلق على الأطفال، يتقون بها من العين ونحوها، كأن العرب سموها بهذا الاسم لأنهم يريدون أنها تمام الدواء والشفاء المطلوب.

وفي الاصطلاح: هي كل ما يعلق على المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاويذ لدفع البلاء أو رفعه.

ومن أنواع التمائم: الحجب والرقى التي يكتبها بعض المشعوذين ويكتبون فيها طلاسيم وكتابات لا يفهم معناها، وغالبها شرك، واستغاثات بالشياطين، وتعلق على الأطفال أو على البهائم، أو على بعض السلع أو أبواب البيوت يزعمون أنها سبب لدفع العين أو أنها سبب لشفاء المرضى من بني الإنسان أو من الحيوان، ومنها: الخلاخيل التي يجعلها بعض الجهال على أولادهم يعتقدون أنها سبب لحفظهم من الموت، ومنها: لبس حلقة الفضة للبركة أو للبواسير، ولبس خواتم لها فصوص معينة يعتقدون أنها تحفظ من الجن، ولبس أو تعليق خيوط عقد فيها شخص له اسم معين كـ(محمد) عقداً للعلاج من بعض الأمراض، ومنها الحروز وجلود الحيوانات والخيوط وغيرها مما يعلق على الأطفال أو على أبواب البيوت ونحو ذلك، والتي يزعمون أنها تدفع العين أو المرض أو الجن أو أنها سبب للشفاء من الأمراض، وهذه كلها محرمة، وهي من الشرك، لقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الرقى والتمائم والتولة شرك))، ولقوله صلى الله عليه وسلم: ((من علق تميمة فقد أشرك))، فهي من الشرك، لأنهم ظنوا أن لغير الله تأثيرا في الشفاء، وطلبوا دفع الأذى من غيره تعالى مع أنه لا يدفعه أحد سواه جل وعلا ، لكن إن اعتقد متخذها أنها تنفع بذاتها من دون الله فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أن الله هو النافع وحده، لكن تعلق قلبه بها في دفع الضر، فهو شرك أصغر، لاعتماده على الأسباب، ولأنه جعل ما ليس بسبب سبباً ، فهذه التمائم السابق ذكرها كلها ليس فيها نفع بوجه من الوجوه، وهي من خرافات الجاهلية التي ينشرها السحرة والمشعوذون، ويدجلون

بها على السذج والجهلة من الناس. ويدخل في التمائم أن تكتب آيات من القرآن أو بعض الأذكار الشرعية (الرقى) في ورقة ثم توضع في جلد أو غيره ثم تعلق على الأطفال أو على بعض المرضى، وقد اختلف في جواز تعليقها، ولعل الأحوط المنع من هذه التمائم، لعدة أمور، أهمها:

١- أن الأحاديث جاءت عامة في النهي عن التمائم، ولم يأت حديث واحد في استثناء شيء منها.

٢- أن تعليق التمائم من القرآن والأدعية والأذكار المشروعة نوع من الاستعاذة والدعاء، فهي على هذا عبادة، وهي بهذه الصفة لم ترد في القرآن ولا في السنة، والأصل في العبادات التوقيف، فلا يجوز إحداث عبادة لا دليل عليها.

٣- أن في تعليقها تعريضاً للقرآن وكلام الله تعالى وعموم الأذكار الشرعية للإهانة، إذ قد يدخل بالتميمة أماكن الخلاء، وقد ينام عليها الأطفال أو غيرهم، وقد تصيبها بعض النجاسات، وفي منع تعليقها صيانة للقرآن ولذكر الله تعالى عن الإهانة.

٤- سد الذريعة؛ لأن تعليق هذه التمائم يؤدي إلى تعلق القلوب بها من دون الله، ويؤدي إلى تعليق التمائم الشركية، كما هو الواقع عند كثير من المسلمين.

والمقصود أن هذه التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع (في البعد عن سيما أولي الإسلام) أي عن زي أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل شأناً وأقوى يقيناً من أن يتوكلوا على غير الله أو يثقوا بغيره. وبالله التوفيق.

٣: التولة: أنه يحبّب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته" هذا يسمونه: الصّرف والعطف شيء يعلقونه على الزوج، يزعمون أنه يحبب الزوجة إلى زوجها والزوج إلى امرأته، وهذا شرك؛ لأنه ليس بسبب شرعي ولا قدري للمحبة.

ومثل ذلك الدبلة، والدبلة: خاتم يشترى عند الزواج يوضع في يد الزوج، وإذا ألقاه الزوج؛ قالت المرأة: إنه لا يحبها؛ فهم يعتقدون فيه النفع والضرر، ويقولون: إنه ما دام في يد الزوج؛ فإنه يعني أن العلاقة بينهما ثابتة، والعكس بالعكس، فإذا وجدت هذه النية؛ فإنه من الشرك الأصغر، وإن لم توجد هذه النية -وهي بعيدة ألا تصحبها- ؛ ففيه تشبه بالنصارى، فإنها مأخوذة منهم.

حَدَّثَنَا عِمْرَانُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُجَاشِعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْعَلَاءِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ، قَالَ: دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى امْرَأَةٍ وَفِي عُنُقِهَا شَيْءٌ مُعَوَّذٌ، فَجَذَبَهُ فَقَطَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أَصْبَحَ آلُ عَبْدِ اللَّهِ أَغْنِيَاءَ أَنْ يُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الرُّقَى وَالتَّمَائِمَ، وَالتِّوَلَةَ شِرْكٌ» قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، هَذِهِ الرُّقَى وَالتَّمَائِمُ قَدْ عَرَفْنَاهَا، فَمَا التِّوَلَةُ؟ قَالَ: «شَيْءٌ يَصْنَعُهُ النِّسَاءُ يَتَحَبَّبْنَ إِلَى أَزْوَاجِهِنَّ»

٤: الودعة:

وأما الودع فهو شيء يستخرج من البحر، وهو معروف، ويعلقونه على أولادهم زعماً منهم أنه يقي من أذى الجن، أو يقي من عين الإنسان، وقد يعلقونه على البهائم، وقد يعلق على غير ذلك، ولكن تختلف الأحوال الآن فهناك أمور جدت، المعنى واحد والأسماء اختلفت، فقد يعلق بعضهم الآن سلسلة من صفر أو من فضة، أو خاتماً يوضع فيه فص، أو نحو ذلك، ويزعم أنه ينفع من أمراض معينة، ومن أذى الجن، وأذى الإنسان الذي يصيب بالعين، وقد يؤخذ مثلاًحلقة من فضة، ويزعم أنها تمنع من البواسير، وقد يجعل في عضده حلقة من صفر، أو سلسلة من نحاس، ويزعم أنها تنفع من الروماتيزم، أو تنفع مما يسمى واهنة، وهي نوع من الروماتيزم ، ولكن فيها عقائد جاهلية، كل هذه من أمور الشرك، ومن أمور الجاهلية، ويجب على المسلم أن يطهر نفسه واعتقاده منها، وكذا من له به صلة من أهله وأولاده؛ لئلا تصيبه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولئلا يعاقبه الله جل وعلا على الشرك.

ولا يجوز هذا العمل، لأنه من التمائم التي نهي عنها النبي صلى الله عليه وسلم، لقوله صلى الله عليه وسلم: « من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له » امام احمد و ابن حبان

٥: العدوى:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "لا عَدْوَى وَلا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ قَالُوا وَمَا الْفَأْلُ قَالَ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ".

والعدوى : انتقال المرض من المريض إلى الصحيح،

والمعنى إبطال ما يعتقده أهل الجاهلية، من أن الأشياء تعدي بطبعها، فأخبرهم ﷺ أن هذا الشيء باطل، وأن المتصرف في الكون هو الله وحده، فقال بعض الحاضرين له ﷺ: يا رسول الله الإبل تكون في الصحراء، كأنها الغزلان، فيدخل فيها البعير الأجرب فيجربها، فقال ﷺ: فمن أعدى الأول.

والمعنى أن الذي أنزل الجرب في الأول هو الذي أنزله في الأخرى، ولكن المسلمين مأمورون بأخذ الأسباب النافعة، وترك ما قد يفضي إلى الشر، و احسن سبب هو سبب الذي دلنا الرسول عليه وهو الحبة السوداء اذ قال،

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «في الحَبَّةِ السوْدَاءِ شِفَاءٌ من كل دَاءٍ إلاَّ السَّام». قال ابن شهاب: والسام الموت.

٦: الطيرة:

التشائم بالأصوات والأقوال والأفعال.

وقول الله تعالى: أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ [الأعراف: ١٣١]، وقوله: قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ [يس: ١٩].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر أخرجاه. زاد مسلم: ولا نوء ولا غول.

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة.

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: "ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما؛ فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

وعن ابن مسعود مرفوعا: الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو رضي الله عنهما: من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقولوا: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك.

وله من حديث الفضل بن عباس "إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك".

تعريف التطير:

في اللغة: مصدر تطير، وأصله مأخوذ من الطير، لأن العرب يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير، ثم ينظر: هل يذهب يميناً أو شمالاً أو ما أشبه ذلك، فإن ذهب إلى الجهة التي فيها التيامن، أقدم، أو فيها التشاؤم، أحجم.

أما في الاصطلاح، فهي التشاؤم بمرئي أو مسموع، وهذا من الأمور النادرة، لأن الغالب أن اللغة أوسع من الاصطلاح، لأن الاصطلاح يدخل على الألفاظ قيوداً تخصصها، مثل الصلاة لغة: الدعاء، وفي الاصطلاح أخص من الدعاء، وكذلك الزكاة وغيرها.

وإن شئت، فقل: التطير: هو التشاؤم بمرئي، أو مسموع، أو معلوم.

بمرئي مثل: لو رأى طيراً فتشاءم لكونه موحشاً.

أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحداً يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب، فيتشاءم.

أو معلوم، كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات، فهذه لا ترى ولا تسمع.

واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله.
الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخييل، فأي رابطة بين هذا الأمر، وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد، لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى: فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ [هود: ١٢٣]. فالطيرة محرمة، وهي منافية للتوحيد.

٧: الهامة: فهو طائر يسمى البومة، يزعم أهل الجاهلية أنه إذا نعق على بيت أحدهم فإنه يموت رب هذا البيت، أو التشائم بالهامة (البومة) يتشاءمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت، قال: إنها تنعق به ليموت، ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله، وهذا كله .بلا شك .عقيدة باطلة ، فأبطل النبي ﷺ ذلك، ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر. بخاري ٥٣١٦

٨: صفر: هو التشائم بشر صفر.
أما التشاؤم من شهر صفر فقد كان مشهورًا عند أهل الجاهلية، ولا زالت بقاياه في بعض من ينتسب إلى الإسلام، وجاءت الشريعة الغراء بنفيه والنهي عنه، وذلك في كتاب الله لأ، وفيما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال الله تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً} [النساء:٧٨].
وقال: {فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} [الأعراف:١٣١]. وقال: {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} [النمل:٤٧]. وقال: {قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [يس:١٨-١٩].
وهذا لا شك من الجهل الموقع في الشرك .والعياذ بالله .ومن البدع الشركية، ويتوقف بالدرجة الأولى على عدم سلامة العقيدة، فهذه الأمور لا تصدر إلا ممن يشوب اعتقاده بعض الأمور الشركية، التي يجرُّ بعضها بعضًا كالتوسلات الشركية، والتبرك بالمخلوقين والاستغاثة بهم.
أما منْ أنعم الله عليه بسلامة العقيدة، وصحتها، فإنَّه دائمًا متوكل على الله معتمدٌ عليه، موقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطِئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن التشاؤم والطيرة، واعتقاد النفع أو الضر في غير الله، ونحو ذلك كله من الشرك الذي هو من أشد الظلم، قال الله تعالى: {...إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان:١٣]. والتشاؤم مما ينافي تحقيق التوحيد.

وتحقيق التوحيد واجبًا.

فالواجب: تخليصه وتصفيته عن شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فالشرك ينافيه بالكلية، والبدع تنافي كماله الواجب، والمعاصي تقدح فيه وتُنقص ثوابه.

عن أبي هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة»

٩: غول: كما جاء في قصص الخيالية مثل (سعلوة)، والغول : أحد الغيلان وهي جنس من الجن ، والشياطين ، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة يتراءى للناس فيتغول تغولا أي : يتلون تلونا في صور شتى ويغولهم أي : يضلهم عن الطريق ويهلكهم ، فنفاه الشارع وأبطله قيل هذا .

وقيل : ليس نفياً لعين الغول ووجوده وإنما فيه إبطال زعم العرب وتلونه بالصور المختلفة واغتياله فيكون معنى " لا غول " لأنها لا تستطيع أن تضل أحداً ، و قراءة هذه القصص الخيالية للأطفال شرك و يجب علي المسلمين ان يتجنبون من هذه القصص الخيالية بل يجب عليهم ان يربون اطفالهم على الدين.

١٠: الإستسقاء بالنجوم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا نوء ولا غول)

فالانواء وهي النجوم لا تؤثر بنفسها إذا ظهرت نزل المطر ، بل الأمر بيد الله سبحانه وتعالى.

والنَّوء : واحد الأنواء ، وهي ثمانية وعشرون منزلة ، وهي منازل القمر ومنه قوله تعالى والقمر قدرناه منازل ، ويسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر ، ويطلع أخرى مقابلها ذلك الوقت في الشرق فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع نظيرها يكون مطر فينسبونه إليها فيقولون مطرنا بنوء كذا ، وإنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالغرب ناء الطالع بالشرق ينوء نوءا أي : نهض وطلع ، وقيل : أراد بالنوء الغروب وهو من الأضداد .

فالنبي روى لنا حديثاً قدسياً: قال الله تعالى: ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي قَالَ إِسْحَاقُ كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ))

١١: العيافة:

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان بن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت)) رواه أبو داود (٣٩٠٧) وأحمد (٦٠/٥)

قال عوف: العيافة: زجر الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض، والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد. ولأبي داود والنسائي وابن حبان في (صحيحه) لهم المسند منه.

قوله: (العيافة)، مصدر عاف يعيف عيافة، وهي: زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل فعند العرب قواعد في هذا الأمر، لأن زجر الطير له أقسام:

فتارة يزجرها للصيد، كما قال أهل العلم في باب الصيد: إن تعليم الطير بأن ينزجر إذا زجر، فهذا ليس من هذا الباب.

وتارة يزجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل، فإذا زجر الطائر وذهب شمالاً تشاءم، وإذا ذهب يميناً تفاءل، وإن ذهب أماماً، فلا أدري أيتوقفون أم يعيدون الزجر؟ فهذا من الجبت اي من السحر.

١٢: الطرق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إن العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت)) رواه أبو داود (٣٩٠٧) وأحمد (٦٠/٥)

الطرف فسره عوف بأنه الخط يخط في الأرض، وكأنه من الطريق، من طرق الأرض يطرقها إذا سار عليها، وتخطيطها مثل المشي عليها يكون له أثر في الأرض كأثر السير عليها.

ومعنى الخط بالأرض معروف عندهم، يضربون به على الرمل على سبيل السحر والكهانة، ويفعله النساء غالباً، ولا أدري كيف يتوصلون إلى مقصودهم وما يزعمونه من علم الغيب، وأنه سيحصل كذا على ما هو معروف عندهم؟! وهذا نوع من السحر.

أما خط الأرض ليكون سترة في الصلاة، أو لبيان حدودها ونحو ذلك، فليس داخلاً في الحديث.

فإن قيل: قد صح ((عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن نبي من الأنبياء يخط، فقال: من وافق خطه، فذاك))

قلنا: يجاب عنه بجوابين:

الأول: أن الرسول صلى الله عليه وسلم علقه بأمر لا يتحقق الوصول إليه، لأنه قال: فمن وافق خطه فذاك، وما يدرينا هل وافق خطه أم لا؟

الثاني: أنه إذا كان الخط بالوحي من الله تعالى كما في حال هذا النبي، فلا بأس به، لأن الله يجعل له علامة ينزل الوحي بها بخطوط يعلمه إياها.

أما هذه الخطوط السحرية، فهي من الوحي الشيطاني، فإن قيل: طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم أنه يسد الأبواب جميعاً خاصة في موضوع الشرك، فلماذا لم يقطع ويسد هذا الباب؟

فالجواب: كأن هذا والله أعلم أمر معلوم، وهو أن فيه نبياً من الأنبياء يخط، فلا بد أن يجيب عنه الرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله: (من الجبت). سبق أن الجبت السحر، وعلى هذا، فتكون (من) للتبعيض على الصحيح، وليس للبيان، فالمعنى أن هذه الثلاثة: العيافة، والطرق، والطيرة من الجبت، قال عمر: «الجبت السحر، والطاغوت الشيطان » ، وقال بعضهم: الجبت معناه: الشيء اللي لا خير فيه، الشر الذي لا خير فيه.

١٣: النشرة:

هي فك السحر بالسحر.

عن جابر: "أن رسول الله ﷺ سئل عن النُّشرة؟ فقال: هي من عمل الشيطان رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

قال ابن القيم رحمه الله: النشرة حل السحر عن المسحور، وهي نوعان: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان. وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور.

والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة. فهذا جائز.

وقال ابن الأثير: (النشرة بالضم ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسًّا من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء أي: يكشف ويزال)، والمراد بها هنا: هي حل السحر عن المسحور وهي نوعان:

الأول: حل السحر عن المسحور بسحر مثله، وهو محرم، وهو كفر أصغر، وهو الذي قال فيه الحسن: (لا يحل السحر إلا الساحر) فتح الباري ٣٩٣٣ ، حيث يتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب فيبطل عمله عن المسحور.

الثاني: حل السحر بالأدعية والرقى المباحة من القرآن والسنة، فهذا جائز.

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان) رواه أحمد بسند جيد. وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا تداووا بحرام))، وقال: ((ما جعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها)) فحل السحر بالسحر من عمل الشيطان، وعمل الشيطان محرم، فلا يكون فيه شفاء وتوقع أن فيه شفاء عادة لم يجز؛ لأنه يحرم التداوي بالمحرمات، ولا يقال أن ذلك مما تمليه الضرورة؛ لأن محل الضرورة ما فيه نفع يدفعها، والسحر ليس كذلك كما دل عليه الحديث المتقدم. وإن قلنا: إن فيها نفعاً فإن محل الضرورة خوف الموت، والمسحور لا يموت بمجرد سحره

حتى يقال إنه يحافظ على نفسه, كما أن تجويز إتيان السحر من أجل العلاج به يساعد على تعلمه وهو يحمل ضمناً تجويز تعلمه والعمل به, ويفتح الباب لكل شرير أن يسحر فيلجأ الناس إليه من أجل العلاج مما يزيد في شر السحرة وإفسادها, مع أن الشرع يحل دم الساحر ويدل على كفره – كما تقدم – وهذا الأمر مما ابتلي به كثير من الناس في عصرنا، فيكثر منهم من يذهب إلى السحر لحل ما أصابه من السحر عنه، مما جعل الناس يكثرون من لجوئهم إلى السحر سواء في العلاج، أو في طلب سحر الغير لحقد أو حسد أو بغضاء، مما زاد في الفساد وفتح باب الخرافة للناس.

١٤: الواهنة: عن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذه؟ قال: من الواهنة، فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً. حديث عمران بن حصين بن عبيد الخزاعي رضي الله عنه عن أبيه رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند بإسناد جيد، ورواه غيره: أن رجلاً كان في يده حلقة علقها من أجل الواهنة من أجل مرض يقال له: الواهنة، وهو مرض يأخذ باليد من المنكب يحصل له بها ضعف، فكانت الجاهلية تعلق هذه الحلقة تزعم أنها تنفع من هذا المرض: فقال النبي ﷺ -لما رآها على هذا الرجل، وفي رواية: أنه رآها على عمران نفسه-: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً. قوله: انزعها يعني: أزلها، وقوله: فإنها لا تزيدك إلا وهناً يدل على أن هذه العلاجات غير المشروعة لا تزيد صاحبها إلا وهناً إلا مرضاً على مرضه وشراً على شره: فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً وما ذاك إلا لأنها نوع من التمائم التي يعلقها الجهلة، وهي نوع من الشرك؛ لأنها تعلق القلوب على غير الله، وتلفتها إلى غير الله، فلهذا أنكرها الشارع ونهى عنها، وفي هذا الباب يقول ﷺ: من تعلق تميمة فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له: ومن تعلق تميمة فقد أشرك. وقوله (فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) الفلاح: هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب.في هذا الحديث: أن لبس الحلقة ونحوها لدفع المرض أو لرفعه بعد وقوعه من الشرك؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لعمران بن حصين رضي الله تعالى عنه (ما أفلحت أبداً).وهل هذا شرك أكبر أو شرك أصغر ؟ نقول: فيه تفصيل: إن اعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله عز وجل فهو شرك أكبر؛ لأنه جعلها نداً لله عز وجل.وإن لم يعتقد ذلك، وإنما اتخذها مجرد اتخاذ، فنقول بأنه شرك أصغر. وسيأتينا إن شاء الله ما يتعلق باتخاذ الأسباب، وأن من اتخذ سبباً للبركة لجلب النفع أو دفع الضر ولم يثبت أنه سبب في الشرع أو الحس أو التجربة الظاهرة المباشرة فهذا شرك أصغر، وإن اعتقد أنه ينفع ويضر من دون الله فهو شرك أكبر.وعلى هذا قوله: (ما أفلحت أبداً) نفي الفلاح هنا إن اعتقد أنها تنفع وتضر من دون الله، فهو على ظاهره ما أفلح أبداً؛ لأنه دخل في الشرك الأكبر، وإن اعتقد أنها مجرد سبب فالمقصود هنا: نفي كمال الفلاح.

١٥: الخيط: ويسمى خيط السيد او ستارة او خيط مبارك او خيط متفرك او خيط قبور الصالحين وما أشبه ذلك، ولابن أبي حاتم عن حذيفة : (أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف:١٠٦]،
زار حذيفة -رضي الله عنه- مريضا فوجد في يده خيطا، فلما سأله عن غرضه من هذا الخيط، وأخبره أنه لدفع الحمى قطعه حذيفة، واعتبره شركا مستدلا على ذلك بقول الله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ} .
ومعنى الآية: أن كثيرا من الناس يكون مؤمنا بالله ولكن يخلط إيمانه بالشرك.

١٦ : الوتر: خيط يعتقدون انه يجلب الخير، او أي شيء يعتقد انه يجلب الخير او يدفع الشر.
عن رويفع قال: قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "يا رُوَيْفِعُ، لعل الحياة ستطول بك فأخبر الناس أن من عَقَدَ لِحْيَتَهُ، أو تَقَلَّدَ وَتَرًا، أو اسْتَنْجَى برَجِيعِ دابة أو عَظْمٍ، فإن محمدًا بريءٌ منه".

يخبر -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن هذا الصحابي سيطول عمرُه حتى يدرك أناساً يخالفون هديه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في اللحى الذي هو توفيرُها وإكرامُها إلى العبث بها على وجهٍ يتشبهون فيه بالأعاجم أو بأهل الترف والميوعة.
أو يُخلُّون بعقيدة التوحيد باستعمال الوسائل الشركية فيلبسون القلائد أو يُلبسونها دوابَّهم يستدفعون بها المحذور.
أو يرتكبون ما نهى عنه نبيهم من الاستجمار بروث الدواب والعظام.
فأوصى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صاحبه أن يبلغ الأمة أن نبيها يتبرأ ممن يفعل شيئًا من ذلك.

باب الثالث عشر

الكفر

لكُفر في اللغة: الستر والتغطية، ويقال لمن غطّى دِرْعَهُ بثوبٍ: قد كَفَرَ دِرْعَهُ. والمكَفِّرُ: الرجل المتغطي بسلاحه ... ويقال للزارع كافر، لأنه يغطي الحب بتراب الأرض، قال الله تعالى: {أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} [الحديد: ٢٠]

والكفّارات سميت كفارات، لأنها تكفر الذنوب أي تسترها، مثل كفارة الأيمان، وكفارة الظهار، والقتل الخطأ.

والكفر نقيض الإيمان، وهذا المعنى مأخوذ من الستر والتغطية وراجع إليه، "والكفر: ضد الإيمان، سمّي لأنه تغطية الحق". والكفر: نقيض الإيمان.

وعلى المعنى اللغوي جاء قوله تعالى: {فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا} [البقرة: ٢٥٦]، فالكفر بالطاغوت: إنكاره ورفضه والتبرؤ منه، قال ابن كثير: "أي: مَنْ خلع الأنداد والأوثان وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووحّد الله فعبده وحده، وشهد أن لا إله إلا هو ..."[تفسير ابن كثير].

ويطلق الكفر على: الجحود، وهذا المعنى -أيضًا- مأخوذ من الستر والتغطية وراجع إليه، و "كفران النعمة: جحودها وسترها. وقال ابن منظور: "والكفر: جحود النعمة، وهو ضد الشكر، وقوله تعالى: {إِنّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ} [القصص: ٤٨] أي جاحدون.

وعلى هذا المعنى قوله تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}[البقرة ١٥٢]، قال القرطبي: "أي لا تكفروا نعمتي وَأَيَادِيَّ، فالكفر هنا ستر النعمة، لا التكذيب.

وقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ}[النحل: ١١٢]، أي: "جحدت آلاء الله عليها"[١١]. ونِعَمه، فقابلوها بالكفر بدل الشكر، وبالمعصية بدل الطاعة.

وقال تعالى يحكي خطبة إبليس في النار: {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ}[إبراهيم: ٢٢]، والمعنى: "إني جَحدْت أن أكون شريكًا لله فيما أشركتموني فيه من عبادتكم"[تفسير قرطبي]، وفيه معنى البراءة من طاعته واتباع ما أمرهم به من الكفر.

والكافر إذا أطلق يراد به من لا يؤمن بالله، ويقال: إنه سُمّي الكافر كافرًا لأن الكفر غطى قلبه كله، وإيضاحه: أن الكفر في اللغة معناه التغطية، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره، كما يقال للابس السلاح: كافر، وهو الذي غطاه السلاح ... وفيه قول آخر أحسن وهو أن الكافر لما دعاه الله -جلّ وعزّ- إلى توحيده فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها، فلما ردّ ما دعاه إليه من توحيده كان كافرًا نعمة الله، أي مغطيا لها بإبائه، حاجبًا لها عنه.

الكفر اصطلاحاً (شرعاً): هو نقيض الإيمان، ضد الإيمان، فيكون قولا وعملا واعتقادا وتركا، كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد. وهذا مما اتفق عليه أهل السنة والجماعة، خلافا لمن حصر الكفر في التكذيب أو الجحود بالقلب أو بالقلب واللسان، ونفى أن يكون بالعمل أو بالترك.

والمتفق عليه عند أهل السنّة: أن الإيمان اعتقادٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، والكفرُ نقيضُه، فيكون : بالقلب، كاعتقاد إله مع الله، أو جحد وحدانية الله، أو بغض النبي صلى الله عليه وسلم أو دين الإسلام، والحكم بغير ما أنزل الله معتقداً أنه أفضل مِن حكم الشريعة أو مساوٍ لها أو أنه مباح أو يجوز . وبقول اللسان، كالتلفظ بألفاظ الكفر كسبّ الله ورسوله أو الاستهزاء بالدين، أو بترك الشهادتين أو ترك الصلاة. وبالأعمال، كالسجود للصنم، أو ترك العبادات والواجبات بالكليّة. والكافر في الاصطلاح هو: من لا يؤمن بالله و ورسله وشريعته، أو جحود حق عبادة الله عز وجل من الربوبية و الألوهية و الحاكمية والأسماء والصفات. وقال ابن القيم: "الكافر من جحد توحيد الله وكذّب رسوله، إما عناداً، وإما جهلاً وتقليداً لأهل العناد.

قال ابن تيمية: "والكفر لا يختص بالتكذيب، بل لو قال: أنا أعلم أنك صادق ولكن لا أتبعك، بل أعاديك وأبغضك وأخالفك، لكان كفراً أعظم، فعُلِم أن الإيمانَ ليس التصديق فقط، ولا الكفر هو التكذيب فقط"[الايمان ص٢٢٩]. وقال سفييان بن عيينة: "ترك الفرائض جحوداً كفر مثل كفر إبليس، وتركها عن معرفةٍ من غير جحود كفر مثل كفر علماء اليهود"[السنة. عبدالله بن احمد بن حنبل]. وقد تعددت ألفاظ العلماء في تعريف الكفر، فقال ابن حزم رحمه الله: هو "جحد الربوبية، وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر. وأصل الكفر إنما هو انتهاك خاص لحرمة الربوبية و الألوهية و الحاكمية إما بالجهل بوجود الصانع أو صفاته العلى، ويكون الكفر بفعل كرمي المصحف في القاذورات أو السجود للصنم أوالحكم بغير ما أنزل الله أو التردد للكنائس في أعيادهم بزي النصارى، ومباشرة أحوالهم، أو جحد ما علم من الدين بالضرورة.

وعرّفه ابن تيمية بأنه: "عدم الإيمان بالله ورسله سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا كله، حسدًا أو كبرًا أو اتباعًا لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة"[مجموع الفتاوى].

والكفر شرعاً : هو إنكارُ ما عُلم ضرورةً أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم، كإنكار وجود الصانع، ونبوته عليه الصلاة والسلام، وحرمة الزنا ونحو ذلك. والكفر أعمّ من الردّة، لأن الكفر قد يكون كفراً أصلياً بخلاف الردة.

الكفر عند الإطلاق:

إذا أطلق لفظ الكفر فإنه ينصرف إلى المعنى الاصطلاحي، والذي هو نقيض الإيمان بالله ورسله وشرعه، والذي تترتب عليه جميع آثار الكفر وأحكامه في الدنيا والآخرة، لذلك فإن الصحابة رضي الله عنهم لمّا أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن أكثر أهل النار من النساء، وعلّل ذلك بأنهن يكفرن، قالوا: يكفرن بالله؟ لأن هذا هو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق، فبيّن لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنّ المراد جحد نعمة الزوج وإحسانه، وليس جحد وحدانية الله ورسله وشريعته. عن ابن عبَّاس قال: قال النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: (أُرِيتُ النَّارَ، فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ! قِيلَ: أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ؟ قَالَ: يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئاً، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)[البخاري ٢٩].

أنواع الكفر:

دلّت النصوص الشرعية على أنّ الكفر ينقسم إلى قسمين: كفر أكبر، وكفر أصغر.

فأما الكفر الأكبر فهو مُخرج من الإسلام، موجب للخلود في النار، وأما الأصغر فلا يُخرج من الإسلام، لكنّه موجب لاستحقاق الوعيد، دون الخلود في النار.

أي: الكفر كفران: أحدهما ينقل عن الملة، والآخر لا ينقل عنها.

وقال ابن القيم: "فأما الكفر فنوعان: كفر أكبر، وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو الموجب للخلود في النار، والأصغر موجب لاستحقاق الوعيد دون الخلود، كما في قوله تعالى -وكان مما يتلى فنسخ لفظه- (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم) وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : (اثنتان في أمتي، هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة) ...[مدارج السالكين].

النوع الأول: الكفر الأكبر:

وهو الذي ينصرف إليه لفظ الكفر عند الإطلاق، وهو يناقض الإيمان، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويوجب الخلود في النار، ولا تناله شفاعة الشافعين.

ويكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالترك، ويحصل بالتكذيب والجحود والاستكبار والإعراض والاعتراض والشك والنفاق.

وهو جحود حق عبادة الله عز وجل من الربوبية و الألوهية و الحاكمية والأسماء والصفات.

وقال ابن تيمية: "كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر، سواء اعتقد كذبه، أو استكبر عن الإيمان به، أو أعرض عنه اتباعًا لما يهواه، أو ارتاب فيما جاء به، فكل مكذّب بما جاء به فهو كافر.

النوع الثاني: الكفر الأصغر:

وهو الذنوب التي وردت تسميتها في الكتاب والسنة كفراً، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وهو موجب لاستحقاق الوعيد في النار دون الخلود بها.

وهذا النوع من الكفر يسميه بعض العلماء: الكفر العملي، الذي يقابل الكفر الاعتقادي، وهو أيضاً: كفر النعمة، فهو كفر مقيَّد بأحدهما وليس كفراً مطلقاً.

وسبب تسميته كفراً: أنه ثبت في كتاب الله تعالى، وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم: تسمية بعض الكبائر والمعاصي كفراً، أو نفي وصف الإيمان عمّن ارتكبها، أو الحكم بدخوله النار أو تحريم الجنة عليه.

وسبب اعتباره كفراً أصغر، أو كفراً دون كفر: أنّ نصوص القرآن والسنّة دلّت على أن فاعل تلك الأعمال لا يخرج عن دائرة الإسلام، فهذه الذنوب لا تناقض أصل الدين وجملة الشريعة، ولا تتضمن إنكاراً لأصل مِن أصول الإسلام.

خطر الكفر:

أمّا الدنيا: فالضّلال والبُعد عن الهداية، وقطع الأخوّة والموالاة بينه وبين المسلمين, وحرمانه من حقّ الولاية على أولاده، وفسخ نكاحه والتفريق بينه وبين زوجته, ووجوب قتله شرعًا للرّدّة، وإباحة ماله وعقاره، ومنع التوارث بينه وبين قرابته المسلمين, ومنع غسله والصلاة عليه، وعدم دفنه في مقابر المسلمين.

وأمّا الآخرة: فحرمان الإنسان من رحمة الله تعالى والطرد منها، واللعنة وغضب الله تعالى، والخزي والعار وحبط الأعمال والخلود في النار, وقطع رجائه من الخروج منها, وعدم استحقاقه للشفاعة

الكفر هو علامة شقاوة العبد في الدنيا والآخرة، وهو أيضاً أعظم الذنوب والآثام وأشدها خطراً وأعظمها وقعاً وأثراً وهو أخوف ما يخافه ويحذره المؤمنون، وفي ذلك نصوص من الوحيين كثيرة جداً منها قوله تعالى في سورة المائدة: وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ [المائدة: ٥]، وفي سورة النساء يقول عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا [النساء: ١٣٦] ويقول سبحانه في سورة البقرة: وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ [البقرة: ١٠٨].

- ومن أهمية موضوع الكفر أن عاقبته في الآخرة خلود صاحبه في النار، ودوام عذاب جهنم عليه فيها أبداً، حيث نص الله على ذلك الخلود المؤبد لهم في عذابه في ثلاثة مواضع من كتابه المنزل:

أولها في آخر سورة النساء، حيث قال عز وجل: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلاَلاً بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا [النساء: ١٩٧ - ١٩٨]

وثانيهما في آخر سورة الأحزاب يقول سبحانه: يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا [الأحزاب: ٦٣ – ٦٥]. وثالثها وفي آخر سورة الجن وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ [الجن: ٢٣] الآية. وحديث الخلود لأهل الجنة بالجنة، ولأهل النار فيه ذبح الكبش في صورة الموت، حديث مشهور معروف.

مع ما رتب الله على الكفر من العذاب الشديد والسعير السرمدي، وسخطه وعقوبته ما يضيق هذا الموضوع عن بسطه وتعداد أنواعه المذكورة في كلامه تعالى القرآن.

ويدل عليه قوله سبحانه في سورة فاطر: والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور [فاطر: ٣٦].

كفر العصر

١: قال الإمام سفيان بن عيينة – رحمه الله تعالى – عندما سئل عن الإرجاء:

(يقولون: الإيمان قول، ونحن نقول: الإيمان قول وعمل، والمرجئة أوجبوا الجنة لمن شهد أن لا إله إلا الله؛ مصراً بقلبه على ترك الفرائض، وسموا ترك الفرائض ذنباً بمنزلة ركوب المحارم، وليس بسواء؛ لأن ركوب المحارم من غير استحلال معصية، وترك الفرائض متعمداً من غير جهل ولا عذر هو كفر) ((كتاب السنة)) الإمام عبدالله بن أحمد: (٣٤٧/١) (٧٤٥).\

قال الإمام الشافعي - رحمه الله - حين سئل عمن هزل بشيء من آيات الله تعالى: (هو كافر) واستدل بقول الله تعالى: قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ [التوبة: ٦٥-٦٦] ((الصارم المسلول)) ابن تيمية: (٩٥٦/٣)..

قال الإمام عبد الله بن الزبير الحميدي رحمه الله:

(أخبرت أن ناساً يقولون: من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت؛ فهو مؤمن ما لم يكن جاحداً. إذا كان يقر بالفرائض واستقبال القبلة؛ فقلت: هذا الكفر الصراح، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفعل المسلمين، قال عز وجل:

وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ [البينة:٥] (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) الإمام اللالكائي: (٨٨٧/٥).

٢: الاحزاب ما يسمى بالأسلامة سياسة يحكمون بغير ما أنزل الله خلافاً لقول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٤٧]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى): (ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله؛ لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا الفتيان، ولا رماة البندق، ولا الجيش، ولا الفقراء، ولا غير ذلك؛ إلا بحكم الله ورسوله، ومن ابتغى غير ذلك؛ تناوله قوله تعالى: أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ [المائدة:٥٠]، وقوله تعالى: فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا [النساء:٦٥]؛ فيجب على المسلمين أن يحكِّموا الله ورسوله في كل ما شجر بينهم...) (مجموع الفتاوى)(٣٥/٤٠٧-٤٠٨).

وقال الحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) (١١٩/١٣).

(من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة؛ كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين) (((البداية والنهاية)) (١١٩/١٣) (الياسق) ويقال: (الياسا): هي قوانين جنكيز خان التتاري الذي ألزم الناس بالتحاكم إليها. مثل قوانين الوضعية يخلطون بين بعض شرائع الاسلامية و القوانين الكفرية في البرلمانات.

٣: الصوفية ، والتصوف الذي أحدثه هؤلاء بدعة في الدين، وأشنع من هذا وأكبر دعاؤهم الأموات والاستغاثة بالأموات، هذا شرك أكبر، هذا شرك الجاهلية شرك أبي جهل وأشباهه، دعاء الأموات كالعيدروس أو الشيخ عبد القادر الجيلاني أو البدوي أو الحسين أو غيرهم أو قبور الصالحين، هذا شرك أكبر، هذا مثل فعل المشركين الأولين مع اللات ومع العزى، ومثل فعل النصارى مع عيسى وغيرهم فهذا شرك أكبر.

فمن كان يدعو الأموات ويستغيث بالأموات أو قبور الصالحين أو بالأشجار والأحجار أو بالأصنام أو بالجن يدعوهم و يستغيث بهم ينذر لهم فهذا شرك أكبر يستتاب من ذلك، يستتيبه ولي الأمر فإن تاب وإلا وجب قتله على شركه بالله، كما قال النبي ﷺ: من بدل دينه فاقتلوه، والله بعث نبيه ﷺ بالدعوة إلى الله وجهاد المشركين، فإذا كان الرجل بين المسلمين، أو بين قوم بلغهم القرآن والسنة ثم تساهل واستمر على ما هو عليه فإنه يحكم عليه بالشرك، فإذا كان يدعو الأموات أو يستغيث بالأموات ينذر لهم أو بالجن أو بالملائكة أو بالأنبياء، يقول: يا سيدي فلان، أو يا نبي الله فلان اغفر لي أو انجني من النار، أو أغثني، أو اشف مريضي، أو رد غائبي، أو أنا في جوارك أنا في حسبك، يقول هذا للميت أو للجن أو للملائكة أو لغيرهم هذا من الشرك الأكبر؛ لأن الله عز وجل

قال: فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا [الجن:١٨]، قال سبحانه: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ [المؤمنون:١١٧]، وقال جل وعلا: ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ .. إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ [فاطر:١٣-١٤]، ويقول عن المشركين وهم جهال: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ [يونس:١٨]، ويقول جل وعلا عنهم: وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ [الزمر:٣] يعني: يقولون. مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى [الزمر:٣]، قال سبحانه: إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ [الزمر:٣]، فسماهم كذبة لزعمهم أن أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى، وسماهم كفرة بعبادتهم إياها وشركهم إياه.

اساس الضلالة في عصرنا هم: المرجئة الذين يخرجون الاعمال من الإيمان و يسمون الطواغيت بولاة الأمور و يحكمون بالقوانين الوضعية، الخوارج الذين يكفرون بالكبائر و يخرجون على الدولة الاسلامة، والاحزاب ما يسمى بالأسلامة السياسة الذين يحكمون بغير ماانزل الله، و الصوفية (عباد القبور).

أما اهل السنة والجماعة الطائفة الناجية المنصورة فهم على ماكان عليه الرسول و اصحابه عليهم السلام يحكمون بما حكم الرسول و أصحابه.

قواعد التكفر:

هذه القواعد غاية في الأهمية، و"يترتب على فهم هذه القواعد والضوابط فهم موضوع الكفر والتكفير عند أهل السنة والجماعة، واطراد قواعدهم وأصولهم فيه وعدم اضطرابها. وهذه القواعد والضوابط هي كالتالي:

١. الكفر اصطلاحٌ وحكمٌ شرعي محضٌ، مردّه إلى الله في كتابه، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الصحيحة الثابتة عنه، وليس مبناه على الهوى والتشهي وسوء الظن أو فاسد الفهم.

فمن كفَّرهم الله أو كفَّرهم رسوله صلى الله عليه وسلم عيناً أو جنساً أو وصفاً وجب وتعَّين تكفيرهم، وما لا فلا، وليس لأحد ابتداءً تكفيرهم دون مستند شرعي صحيح وصريح.

- فممن كُفِّر في النص الشريف وحياً على سبيل التعيين: إبليس وفرعون.
- وممن كُفِّر جنساً: المشركون واليهود والنصارى والمجوس ونحوهم.

• وممن كُفِّر وصفاً: المستهزئ بالله أو بآياته أو برسوله، والمحكِّم لغير ما أنزل الله، والساحر والكاهن ومدعي علم الغيب ونحوهم.
• وممن جعل شرطا لدخول الاسلام: الكفر بالطاغوت والبراءة من الكافرين، فتركه يكون شرطا.
• وممن كُفِّر بالترك: مثل ترك الشهادتين أو ترك الصلاة.

٢. أن الكفر كالإيمان له شعب كثيرة، ضابطها: ما سُميَّ شرعاً في الوحيين من كتاب الله وسنة رسوله كفراً، دون تسمية غيرهما، ... وكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، فالمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان. ولمّا كان الكفر شعباً كثيرة، فإن هذه الشعب متفاوتة، الكفر فيها درجات، فمنها الكفر الأكبر كسبّ الله ورسوله ودينه والمحكِّم لغير ما أنزل الله ، ومنها الكفر الأصغر، كسبّ المسلم وقتله والنياحة، كما أن الكفر الأكبر، شعبه متفاوتة أيضاً تفاوتاً واضحاً، وكل من نوعي الكفر الأكبر والأصغر على مراتب بعضها أشد من بعض.

٣. أن الكفر نوعان: كفر أكبر مخرج عن الملة، ومحبط للعمل، وموجب للخلود في النار، ولا يُغفر لصاحبه، وينفى عن صاحبه اسم الإيمان أصلاً وكمالاً، كالسحر وسبّ الله أو رسوله أو دينه أو كتابه أو الإعراض عن دين الله، وكفر أصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط العمل ولا يوجب الخلود في النار، وهو تحت مشيئة الله في مغفرته، ولا ينافي أصل الإيمان، بل ينافي كماله الواجب، وهو حكم الكبائر من الذنوب، كالنياحة على الميت، والطعن في الأنساب، وقتال المسلم ..الخ.

٤. هناك علاقة بين الكفر الأكبر والشرك الأكبر، وهي علاقة عموم وخصوص، فكل شرك كفر، وليس كل كفر شركاً.
فالذبح لغير الله والنذر له والخوف منه خوف عبادة، شرك مع الله في تلك العبادات، وهو كفر أكبر مخرج عن الملة، ومناقض للإيمان، أما سب الله ورسوله ودينه أو الاستخفاف بشرعه أو بالمصحف ونحو ذلك فهو كفر مخرج عن الملة، ولا يعد شركاً في الاصطلاح.

٥. يرد الكفر في نصوص الوحيين الشريفين على صورتين:
• مُعرَّفاً بالألف واللام، فالمراد به الكفر المعهود أو المستغرق في الكفر، وهو المخرج من الملة.
• ويأتي منكراً غير مُعرَّف لا بالألف واللام، ولا بالإضافة والتخصيص، فلا يعد كفراً أكبر، بل الأصل فيه أنه كفر أصغر لا يخرج من الملة.

٦. أهل السنة والجماعة يعظمون لفظ التكفير جداً، ويجعلونه حقاً لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحدٍ إلا من كفره الله أو كفره رسوله، ومع ذلك يعتقدون ان (مَن لم يُكَفِّرِ الكافِرَ فهو كافِرٌ) و أنَّ هذه القاعِدةَ تُستعمَلُ في تأكيدِ الكُفرِ الواضِحِ الجليّ الذي هو مِثلُ كُفرِ اليَهودِ والنَّصارى أو اشد واضحاً، بحيث إنَّ المُمتَنِعَ عن تَكفيرِهم يكونُ كالمُكَذِّبِ بنَصٍّ شَرعيٍّ قطعيِّ الدَّلالةِ، ومِثلُ هذا كافِرٌ بالإجماعِ.

٧. أهل السنة والجماعة يفرّقون بين الكفر المطلق والكفر المُعيَّن، ولهم شروط وضوابط و موانع في إيقاع التكفير على المعينين، و أنَّ تكفير المطلَق لا يستلزم تكفيرَ المعيَّن إلَّا عند تحقُّق شروط، وانتفاء موانع، ولا يجوزُ تَكفيرُ المُعَيَّنِ حتى تجتَمِعَ فيه شُروطُ التَّكفيرِ، وتَنتَفيَ عنه موانِعُ التَّكفيرِ. و أهل السُّنة لا يُكفِّرون بالمعاصي والكبائر.

فالتكفير المطلق : هو الحكم بالكفر على القول أو الفعل أو الإعتقاد الذي ينافي أصل الإسلام ويناقضه على سبيل الإطلاق بدون تعيين فيقال مثلا : من قال كذا ، أو فعل كذا فهو كافر ، وهذا التكفير العام المطلق يجب القول بعمومه وإطلاقه.

وتكفير المعين : فهو الحكم على المعين بالكفر لإتيانه بأمر يناقض الإسلام وهذا يختلف بإختلاف المسألة التي وقع فيها كأن تكون ظاهرة أو خفية ، فلا تلازم بين من وقع في الكفر ووقوع الكفر عليه دائما .

٨. التكفير هو حكم شرعي محض لا مدخل للعقل فيه و ليس له مورد سوى الادلة شرعية، والكافر من جعله الله و رسوله كافراً، والمسلم من جعله الله و رسوله مسلماً، وهذه المسائل ثابتة بالشرع وهي من واجبات الدين.

فالتكفير، بضوابطه الشرعية، حكم شرعي ليس بدعة ولا فكراً ولا تهمة، ورد في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا ينبغي الاستخفاف به لأن الاستخفاف بالأحكام الشرعية كفر، كما قال تعالى «... قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ...» (التوبة: ٦٥، ٦٦).

٩. قاعدة التكفير: في أحكام الدنيا التي تجري على الظاهر يحكم بالكفر على شخص ما بقول مكفر أو بفعل مكفر، ثبت عليه ثبوتاً شرعياً إذا توفرت شروط الحكم وانتفت موانعه في حقه.

١٠. والموانع فهي:

• الجهل: في مسائل الخفية، أو حديث عهد بالإسلام، أو الناشيء بدار بعيدة أو بادية بعيدة عن الأمصار و أهل الإسلام وما سمع الاسلام ابداً.

• الخطأ سبق اللسان.

•التأويل: أذا كان التأويل سائغ معتبر فله أجران، وإذا كان التأويل سائغ غير معتبر فله أجر، أما تأويل فاسد باطل فلا يعذر بالجهل، واذا وقع في الكفر بهذا التأويل، يكفر به، كالذين يحكمون بغير ما أنزل الله فتأويلهم فاسد وباطل وواقعين في الكفر ويحسبون انهم مهتدون.

• الإكراه. وإذا كان قلبه مطمئن بالإيمان.

١١. أ: ليس مِن موانِعِ التَّكفيرِ قَولُ الكُفرِ أو فِعلُه على سبيلِ الهَزْلِ واللَّعِبِ، وليس مِن موانِعِ التَّكفيرِ الخَوفُ مِن فَوتِ مالٍ أو مَنصِبٍ.

ب: وليس مِن موانِعِ التَّكفيرِ أداءُ المُرتَدِّ بَعضَ أركانِ الإسلامِ، كنُطقِه بالشَّهادَتينِ، وأداءِ الصَّلاةِ.

و أنَّ مَن كان يَشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ اللهِ، ويُصَلِّي ويَصومُ، لكِنَّه واقِعٌ في ناقِضٍ مِن نواقِضِ الإسلامِ، كالشِّركِ في العبادةِ أو الشرك في الحكم، أو الاستِهزاءِ باللهِ أو بِرَسولِه- فإنَّه كافِرٌ بالإجماعِ، ولا يُنفَى عنه الكُفرُ بسَبَبِ نُطقِه بالشَّهادَتينِ وأداءِ الصَّلاةِ وصيامِ رَمَضانَ؛ قال تعالى: { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الزمر: ٦٥].

١٢. يحرُمُ تَكفيرُ المُسلِمِ بغيرِ حَقٍّ، وهو ذريعةٌ إلى القَتلِ بغيرِ حَقٍّ، عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ الله عنهما، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: ((أيُّما رَجُلٍ قال لأخيه: يا كافِرُ، فقد باء بها أحدُهما؛ إن كان كما قال، وإلَّا رجَعَت عليه).

وحديثُ ثابتِ بنِ الضَّحَّاكِ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه قال: ((ومَن رمى مُؤمِنًا بكُفرٍ، فهو كقَتْلِه)). وقال ابنِ القَيِّم: (مِن الكبائِرِ تكفيرُ مَن لم يُكَفِّرْه اللهُ ورَسولُه).

١٣. يجِبُ التثَبُّتُ مِن خَبرِ وُقوعِ المُعَيَّن في الكُفرِ، قال الشَّيخ محمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّاب: (لا نُكَفِّرُ مَن لا نعرِفُ منه الكُفرَ؛ بسَبَبِ ناقِضٍ ذُكِرَ عنه ونحن لم نتحَقَّقْه).

فنبَّه إلى أنَّه لا يجوزُ الاعتمادُ على الأخبارِ غيرِ المُحَقَّقةِ في التَّكفيرِ، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦]

وأنَّ خبَرَ وقوعِ المُعَيَّنِ في الكُفرِ لا يثبُتُ شَرعًا إلَّا بالإقرارِ، أي: الاعترافِ، أو بالبيِّنةِ: وهي شهادةُ عَدْلَينِ أو استفاضة الناس. وقال ابنِ قُدامةَ: "وتُقبَلُ الشَّهادةُ على الرِّدَّةِ مِن عَدلَينِ، في قَولِ أكثَرِ أهلِ العِلمِ. وبه يقولُ مالِكٌ، والأوزاعيُّ، والشَّافعيُّ.

و لا يصحُّ في الشَّهادةِ على أحدٍ بالكُفرِ أن يكونَ أحَدُ الشَّاهِدَينِ غَيرَ مَقبولِ الشَّهادةِ في هذا البابِ؛ لِكَونِه كافرًا، أو مجنونًا، أو صَبِيًّا، أو أنَّه خَصمٌ للمَشهودِ عليه، أو أنَّه مَطعونٌ في عَدالتِه بأن يكونَ فاسِقًا.

١٤. الكفر يقع سواء كان:

أ: أن يقصد العبد عمل الكفر. أي من قال أو فعل الكفر و يقصد أن يكون كافراً.

ب: أن يقصد الكفر بالعمل. أي من قال أو فعل الكفر يكفر بذلك وإن لم يقصد أن يكون كافراً.

١٥. مَن ثَبَت إسلامُه بيَقينٍ، فلا يجوزُ تَكفيرُه إلَّا بيَقينٍ.

كما يجب ان نحكم بالاسلام لمن ثبت اسلامه بيقين ولا نكفره في غير بينه شرعية ، فانه ينبغى الحذر في عدم تكفير من قال أو فعل الكفر و ليس له عذر شرعي (موانع شرعي) ، بل الواجب تكفيره ان لم يكن له موانع شرعي دون الرجوع الى قصده.

١٦. الحجة تقوم بمجرد سماع الرسالة لا بقبول الرسالة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ". رواه مسلم.

باب الرابع عشر

كفر الاكبر

المطلب الأول: الكفر الأكبر

وهو يناقض الإيمان، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويوجب الخلود في النار، ولا تناله شفاعة الشافعين، ويكون بالاعتقاد، وبالقول، وبالفعل، وبالشك والريب، وبالترك، وبالإعراض، وبالاستكبار.

ولهذا الكفر أنواع كثيرة؛ من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له، ولا تنفعه الشفاعة يوم القيامة. فنخلص من هذا أن الكفر . وهو ضد الإيمان . قد يكون تكذيبا بالقلب ، فهو مناقض لقول القلب ِأي اعتقاده ، وقد يكون الكفر عملاً قلبياً كبغض الله تعالى أو آياته أو كراهية بانتصار الذين يجاهدون في سبيل الله، أو بغض سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يناقض الحب الإيماني الذي هو آكد أعمال القلوب وأهمها . كما أن الكفر يكون قولاً ظاهرا كسب الله تعالى ، وتارة يكون عملا ظاهراً كالسجود للصنم ، والذبح لغير الله، والتحاكم الى قوانين الوضعية ، فكما أن الإيمان يكون بالقلب واللسان والجوارح فكذلك الكفر يكون بالقلب واللسان والجوارح. و تارة يكون بترك أصل من أصول الدين بالشهادتين أو الصلاة. نسأل الله أن يعيذنا من الكفر وشعبه ،و أن يزينا بزينة الإيمان ويجعلنا هداة مهتدين ... آمين .

١: كفر الاعراض: الإعراض عن دين الله لايتعلمه، ولا يعمل به، كالذي لا يأبه بهذا الدين ، ليس له همة في هذا الدين ، لا في تعلم التوحيد ولا في تعلم أحكام العبادة والصلاة، أو لا يعمل به.

وكفر الإعراض له مظاهر، فقد يكون أحياناً عدم الاستماع لأوامر الله عز وجل وعدم المبالاة بها وعدم التفكر فيها، أو عدم الاهتمام لأوامر الله العبادات أو الأحكام، ويأتي الإعراض بمعنى عدم القبول.

كفر الإعراض، والمراد به: هو الإعراض التام عن الحجة وعدم إرادتها، والعمل بها وبموجبها إعراضا يخل بأصل الإيمان، قال -تعالى-: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ)[النور: ٤٧]، فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل، وإن كان أتى بالقول، فتبين أن كفر الإعراض هو: ترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به سواء كان قولا أو عملا أو اعتقادا، يقول -تعالى-: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ)[الأحقاف: ٣].

فنفى الإيمان عمن تولى عن العمل ، وإن كان أتى بالقول . فتبين أن كفر الإعراض هو : ترك الحق لا يتعلمه ولا يعمل به سواء كان قولا أو عملا أو اعتقادا، فمن أعرض عما جاء به الرسول بالقول:

كمن قال لا أتبع العبادات أو لا أتبع حكم الله، أو بالفعل: كمن أعرض من سماع الحق الذي جاء به، أو سمعه لكنه أعرض بقلبه عن الإيمان به ، وبجوارحه عن العمل فقد كفرَ كُفْر إعراض.
ورد ذكر الإعراض في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعاً، قال تعالى:وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا [السجدة: ٢٢]. قال الإمام القرطبي:(ثم أعرض عنها بترك القبول) وقال الحافظ ابن كثير- رحمه الله- (...أي: تناساها، وأعرض عنها، ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالاً)، قال تعالى: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ [البقرة: ٨٣] قال ابن عباس رضي الله عنه: ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ: أعرضتم عن طاعتي، إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ قال: القليل الذين اخترتهم لطاعتي، وسيحل عقابي عمن تولي وأعرض عنها)

٢: كفر الاعتراض: معنى الاعتراض: أعرضَ، أعرضَ عن يُعرض، إعراضًا، فهو مُعرِض، والمفعول مُعرَض، صدَّ عنه، تجاهله، جفاه، عكْسه أقبل "{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا}- {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا}". ٢- صفح عنه "{سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ}".
أعظم أنواع الاعتراض: الاعتراض على الله تعالى في دينه، وفيما أنزل من الدين، ووصى به جميع الأنبياء والمرسلين، وبعث به هؤلاء أجمعين، وفرضه على خلقه كافة من توحيده عز وجل (الربوبية و الألوهية والحاكمية ومعرفته بأسمائه وصفاته)، ولذلك ظهر في هذه الأمة -مع الأسف الشديد- من يعترض على ما أنزل الله تعالى في أصل الدين كالاعتراض على بعض العبادات مثل الولاء للمسلمين و البراءة للكافرين، أو الاعتراض على حكم بما أنزل الله، جاء من الناس من يعترض على ما أنزله الله، أو جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفروا بذلك وهم لا يشعرون. والاعتراض هو عدم القبول.
عباد الله، ان ضد الاعتراض هو الاستسلام، والإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد تعالى إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ [سورة البقرة:١٣١]، فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ [سورة الصافات:١٠٣]، استسلما لأمر الله، الإسلام من الاستسلام، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على طريق التسليم، إنه استسلام كامل لله، استسلام كامل، فعبادته بلا شريك، استسلام كامل لأحكامه، وانقياد عن رضا وطواعية.
استسلام كامل لأحكامه بلا اعتراض: فَلاَوَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ [سورة النساء:٦٥]، ولا بدّ أن يؤخذ الحكم بكل طمأنينة وتسليم، ولذلك ختم الآية به، فقال: وَيُسَلِّمُواْتَسْلِيمًا [سورة النساء:٦٥].

ولذلك يا عباد الله: العبادات، والمعاملات، والحدود، والتعزيرات، وأنواع التشريعات التي جاء بها هذا الدين، في العلاقة بين المسلمين والكفار، والمسلمين وبعضهم البعض، و علاقة المسلم بالدولة الاسلامية، أو أحكام الولاء والبراء، هذه الأحكام كلها لا بدّ أن يكون فيها تسليم كامل لأمر الله عز وجل.

٣: كفر الشك والريبة : وهو التردد في اتباع الحق أو التردد في كونه حقاً ، لأن المطلوب هو اليقين بأن ما جاء به الرسول حق لا مرية فيه ، فمن جوَّز أن يكون ما جاء به ليس حقاًفقد كفر كفر الشك أو الظن كما قال تعالى : (وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً . قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً . لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً) الكهف/٣٥-٣٨

وكفر الشرك هو التردد، وعدم الجزم بصدق الرسل، ويقال له كفر الظن، وهو ضد الجزم واليقين.

فمن تردد أو لم يجزم في إيمانه واعتقاده بأركان الإيمان أو غيرها من الأمور التي الثابتة بالنصوص المتواترة، أو تردد في التصديق بحكم أو خبر ثابت بنصوص متواترة مما هو معلوم من الدين بالضرورة، مثل تردد في الحكم بما أنزل الله، أو تردد في كفر بالطاغوت، أو يشك في تحريم الخمر، أو يشك في وجوب الزكاة، أو يشك في كفر اليهود والنصارى والكافرين، أو يشك في سنية السنن الراتبة، أو يشك في أن الله تعالى أهلك فرعون بالغرق، أو يشك في أن قارون كان من قوم موسى، وغير ذلك من الأصول والأحكام والأخبار الثابتة المعلومة من الدين بالضرورة، فقد وقع في الكفر المخرج من الملة بإجماع أهل العلم.

٤:كفر الامتناع والاستكبار:

وهو: أن يصدق بأصول الإسلام وأحكامه بقلبه ولسانه (وألحق بعض ما يسمى بأهل العلم بهذا النوع من أنواع الكفر من صدق بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه و بلسانه ولم ينقد بجوارحه لأحكام الإسلام) هم جاحدون لوحدانية الله عز وجل، لربوبيته أو ألوهيته أو حاكميته أو أسماءه الحسنى و صفاته العلى.

فمن نطق بالشهادتين وآمن بقلبه بجميع أصول الإسلام وأحكامه، وأقر بذلك بلسانه، ولكنه لم ينقد، فترك جنس العمل بأحكام الإسلام استكباراً وترفعاً فهو كافر كفر استكبار وكفر إعراض كما سيأتي إن شاء الله] استكباراً وترفعاً ... وقد أجمع أهل العلم على كفر من امتنع من امتثال

حكم من أحكام الشرع استكباراً.. [حكى إجماع العلماء على ذلك الحافظ إسحاق بن راهويه كما في التمهيد ٢٢٦/٤، وشيخ الإسلام ابن تيمية كما في الصارم المسلول ص٥٢١، ومجموع الفتاوى ٩٧/٢٠]؛ لأنه معترض على حكمة الله تعالى، وهذا قدح في ربوبيته أو ألوهيته أو حاكميته أو أسماءه و صفاته جلّ وعلا.

ومن أمثلة هذا الكفر أيضاً أن يرفض شخص أن يصلي صلاة الجماعة، ويترفع عنها، لأنها تسوي بينه وبين الآخرين، أو أن يمتنع شخص يحكم بما أنزل الله، أو يمتنع أن يكفر الطواغيت أو أن يمتنع شخص عن لبس لباس الإحرام؛ لأنه في زعمه لباس الفقراء ولا يليق به، ونحو ذلك .. [قال ابن القيم في مدارج السالكين: وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس، فإنه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، ولم ينقدْ له إباءاً واستكباراً، وهو الغالب على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: {فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} ، وقول الأمم لرسلهم: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} ، وقوله: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} ، وهو كفر اليهود كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} ، وقال: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} وهو كفر أبي طالب أيضاً، فإنه صدّقه ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر" .. هذا وإذا امتنع فرد عن امتثال حكم من أحكام الإسلام أو أصول الدين فيكفر كفر الاكبر.

و يدخل في ذلك كفر الإباء والاستكبار، وذلك بأن يكون عالما بصدق الرسول، وأنه جاء بالحق من عند الله، لكن لا ينقاد لحكمه ولا يذعن لأمره، استكبارا وعنادا، والدليل قوله تعالى: وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ [البقرة:٣٤].

أما إن ترك واجباً من الواجبات من غير استكبار ولا جحود، كأن تترك دفع الزكاة بخلاً، أو فعلت محرماً من المحرمات من غير استحلال له، فهذه ليس كفر الاكبر.

٥: كفر الاستهزاء:

وهو أن يستهزئ المسلم أو يسبّ شيئاً من دين الله تعالى مما هو معلوم من الدين بالضرورة، أو مما يعلم هو أنه من دين الله تعالى..

وذلك بأن يستهزئ بالقول أو الفعل ..[من الاستهزاء بالفعل: الإشارة باليد، أو اللسان، أو الشفة، أو العين، أو غيرها مما يدل على الاستهزاء والاستهانة، ومنه إهانة الشيء بوضعه في القاذورات، أو بوضع القدم عليه، أو الجلوس عليه ونحو ذلك، ومنه أن يضرب أو يقتل أو يحارب مسلماً، أو جماعة من المسلمين من إجل إسلامهم،، أو من أجل التزامهم بأحكام الإسلام وتطبيقهم لشرع الله،

فإن هذا من أعظم الاستهزاء بدين الله تعالى، وهو أعظم من السبّ، ويدلّ على كرهه لدين الإسلام] .. بالله تعالى، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته المجمع عليها، أو يصف الله تعالى بصفة نقص، أو يسب الله تعالى [وذلك كأن يتهم الله تعالى بالظلم، أو يلعن خالقه ورازقه سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً] ، أو يسب دين الله تعالى كأن يلعن هذا الدين، أو يلعن دين شخص مسلم، أو يقول: إن هذا الدين متخلف، أو رجعي، أو لا يناسب هذا العصر، أو يستهزئ بملائكة الله تعالى، أو بواحد منهم: كأن يسب ملك الموت، أو خزنة جهنم..[أو يستهزئ بأجنحة الملائكة أو بنزولهم]، أو يستهزئ أو يسب شيئاً من كتب الله، كأن يسب القرآن، أو يستهزئ به أو بآية منه بالقول، أو بالفعل بأن يهينه بوضعه في القاذورات. ونحو أو يسب أحداً من أنبياء الله المجمع على نبوتهم أو يستهزئ بهم، كأن يسب النبي صلى الله عليه وسلم أو يستهزئ به، أو يستهزئ بشيء مما ثبت في القرآن أو السنة من الواجبات أو السنن، كأن يستهزئ بالصلاة، أو يستهزئ بالسواك، أو بتوفير اللحية، أو بتقصير الثوب إلى نصف الساقين مع علمه بأن ذلك كله من دين الله تعالى، أو يستهزئ بشخص لتطبيقه واجباً أو سنة ثابتة يعلم بثبوتها، وأنها من دين الله، وكان استهزاؤه بكل هذه الأمور من أجل مجرد فعل هذا الحكم الشرعي، لا من أجل شكل الشخص وهيئته.. وقد أجمع أهل العلم على كفر من سبّ أو استهزأ بشيء مما ثبت أنه من دين الله تعالى، سواء أكان هازلاً أم لاعباً أم مجاملاً لكافر أو غيره، أم في حال مشاجرة يكفر به، لأنه يدل على استهزائه واستخفافه بدين الإسلام، والاستهزاء بالجنة، أو بالنار، أو بالتوحيد، أو بالصلاة، أو بالزكاة، أو بشيءٍ من الدين، ردَّة بإجماع المسلمين، وناقضٌ من نواقض الإسلام ولو كان لم يقصد أن يكفر.

الاستهزاء – ويطلق عليه الاستخفاف و السخرية منه ما هو كفر أكبر يُخرج من الملة ، ومنه ما هو فسق.

١. فما كان منه استهزاء بالله تعالى أو بالقرآن أو بالرسول صلى الله عليه وسلم : أو بالمسلمين بسبب دينهم فهو كفر مخرج من الملة ، وقد دلَّ على هذا قوله تعالى : (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) التوبة/ ٦٥،٦٦. وقد أجمع على ذلك أهل العلم .

٢. وما كان منه استهزاء بذات الأشخاص وأفعالهم الدنيوية المجردة : فهو فسق ، وفيه يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنّ) الحجرات/ ١١ .

٦: كفر النفاق، والمقصود الاعتقادي بأن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، والدليل قوله تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ [المنافقون:٣]. وهو على ستة أنواع:

تكذيب الرسول صلى اللهُ عليه وسلم، أو تكذيب بعض ما جاء به، أو بغض الرسول صلى اللهُ عليه وسلم أو بغض بعض ما جاء به الرسول صلى اللهُ عليه وسلم، أو المسرة بانخفاض دين الرسول صلى اللهُ عليه وسلم، أو الكراهية لانتصار دين الرسول صلى اللهُ عليه وسلم أو الكراهية لانتصار المجاهدين الذين يجاهدون لإعلاء كلمة الله و إقامة دينه.

فالمنافق في هذا القسم مؤمن الظاهر كافر الباطن، أما إيمانه الظاهر فإنه يشهد شهادة الحق، ويصلي، ويصوم، ويحج، ويجاهد، ويشارك المسلمين في شعائر الدين الظاهرة كما هو حال المنافقين في عهد النبي صلى اللهُ عليه وسلم، وفي كل زمن يكون فيه الحق منصورًا، وأما كفره باطنًا فبما يخفيه من التكذيب بالحق، وإضمار العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُون * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُون * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُون ﴾ [المنافقون: ١-٣]. أي: آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، والمنافق إنما يظهر الإيمان نفاقًا من أجل أن يعيش مع المؤمنين لأنه لا يقدر على مجابهة المؤمنين ولا يقدر على مفارقتهم فاضطر إلى أن ينافق.

أما النفاق الأصغر؛ وهو غير المخرج من الملَّة

وهو النفاق العملي، وذلك بعمل شيء من أعمال المنافقين؛ مع بقاء الإيمان في القلب، وصاحبه لا يخرج من الملَّة، مثل: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر؛ كما جاء في الأحاديث النبوية.

٧: كفر الاستحلال و التشريع:

دينُ الله تعالى الذي أمرَ رُسلَه بتبليغِه للنَّاسِ؛ يقومُ على أصلينِ عظيمينِ: توحيدُه بعبادَتِه، فلا يُعبَد أحدٌ غيرُه، والانتهاءُ إلى أمْرِه ونهيِه الذي هو شَرعُه، فلا أمْرَ لأحدٍ ولا نهيَ، إلَّا حيث وافق أمرَ اللهِ ونَهيَه، وهذا هو غايةُ دعوةِ الأنبياءِ، وحقيقةُ رسالَتِهم، وأصلُ دِينِهم؛ فكما أنَّهم دَعَوا إلى إفراد الله بالعبادةِ، دَعَوا كذلك إلى إفرادِ الله بالتَّشريع. وإنَّ من أعظَمِ مُحْكِماتِ الإيمانِ التسليمَ والخضوعَ (عِلمًا وعَملًا) لأحكام الله عز وجل، والإقرارُ بهَيمَنةِ الشريعةِ، وحاكِميَّتِها، وتَقديمِها، والقَبولِ بها قولًا وعَملًا دونَ أيّ شرطٍ، أوِ استثناءٍ هو قاعدةُ الإيمانِ وأَصلُه، كما قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا

يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥].

قال الله تعالى﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾{التوبة|٣١}.

- وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- أن هذه الربوبية لم تكن بصرفهم الصلاة إليهم أو السجود لهم أو بالطواف بهم وإن كان وقع منهم العبادة (اليهود والنصارى)

أخرج الطبري في تفسيره، عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب، فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة"، فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله)، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس يحرّمون ما أحلَّ الله فتحرّمونه، ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم!

وأخرج عن الحسن: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا﴾، قال: في الطاعة.

وأخرج عن ابن عباس قوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّه﴾، يقول: زيَّنُوا لهم طاعتهم.

واعلم ان تبديل الشريعة وتشريع القوانين الوضعية هو كفر الاكبر إذا كان استحله أو ما أستحله، قال الله عز وجل (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي : هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس، وهذه الآية تدل على كفر البرلمان و مجلس النواب وكل مراكز التشريع أو التحكيم بغير ما أنزل الله.

وقال الله عز وجل(وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ) وهذا يدُلُّ على أنَّ مَن قدَّمَ أهواءَ الناسِ على شريعةِ ربِّ العالَمينَ فقد عرَّضَ إيمانَه للتلَفِ وإسلامَه للبُطلانِ.

فالمناقِضُ لأصلِ الإسلامِ أنْ تكونَ الشريعةُ مَرهونةً بأهواءِ الناسِ قَبولًا، أو ردًّا، وتكونَ آراءُ الناسِ هي الحاكمةَ بشرعيَّةِ النظامِ الذي يَحكُمُهم، ويَقْضي بينَهم وحاكميَّةُ الشريعةِ والقَبولُ بالإسلامِ والتسليمُ له لا يجوزُ أنْ تكونَ مُرتهَنةً لأحدٍ.

٨: كفر الجحود والتكذيب : وهذا الكفر تارة يكون تكذيباً بالقلب .وهذا الكفر قليل في الكفار كما يقول ابن القيم رحمه الله . وتارة يكون تكذيبا باللسان أو الجوارح وذلك بكتمان الحق وعدم الانقياد له ظاهرا مع العلم به ومعرفته باطناء ككفر اليهود بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد قال الله تعالى عنهم : (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) البقرة/٨٩ وقال أيضا : (وإن فريقا منهم ليكتمون

الحق وهم يعلمون) (البقرة :١٤٦) وذلك أن التكذيب لا يتحقق إلا ممن علمَ الحقَّ فرده ولهذا نفى الله أن يكون تكذيب الكفار للرسول صلى الله عليه وسلم على الحقيقة والباطن وإنما باللسان فقط ؛ فقال تعالى : (فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) الأنعام/٣٣ وقال عن فرعون وقومه : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً) النمل.

والافتراء على الله كفر لقوله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ [العنكبوت:٦٨].

٩: كفر الخيانة: الخيانة في الشرع استُعملت بمعنى: الكفر أو النفاق، والمعصية، ونقض العهد، وسوء الأمانة، والزنى، والكذب، ووضع الأمر في غير أهله، وترك النصح، وإفشاء السر.

وقد أكَّد الله تعالى في كتابه عدم محبته ورضاه عن الخائنين عمومًا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٨]، وخصَّ بعدم الرِّضا والمحبَّة أولئك الذين صارت خيانة العهود والعقود لهم خُلقاً وطبعاً، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٧]، والخوَّان: هو ذلك الذي تتكرر منه الخيانة، أمَّا الأثيم: فهو الذي يقصد الوقوع في الخيانة، وقد عبَّر بصيغة المبالغة في الخيانة والإثم ليخرج منه من وقع منه المرة، ومن صدرت منه الخيانة على سبيل الغفلة وعدم القصد، وقال عز من قائل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج: ٣٨] أي: لا يحبُّ من عباده من اتَّصف بخيانة العهود والمواثيق.

قال تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ)، (سورة الأنفال: ٥٨). ومنها: ترك الأمانة، قال تعالى: (وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)، (سورة النساء: ١٠٥)، ومنها: المخالفة في الدين، قال تعالى: (كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا)، (سورة التحريم الآية: ١٠)، ومن صور الخيانة وأعظمها نعوذ بالله منها خيانة الدين وفرائضه وحدوده وأحكامه وثوابته ومبادئه وذلك إنما يكون بالتفريط في الدين، وعدم تطبيق شرع الله وأحكامه، واقتراف الذنوب صغيرها وكبيرها، وعصيان أمر الله تعالى، وترك سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

والخيانة ينقسم إلى قسمين خيانة الكبرى مخرج من ملة الاسلام خيانة دين الله، أو الخيانة للمسلمين و كشف معلومات المسلمين وجماعتهم للكافرين و المرتدين، أو خيانة معاونة الكافرين و المرتدين على المسلمين، كل هذا كفر أكبر. قال الله عز وجل(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

أما خيانة الصغرى غير مخرج من ملة الاسلام كالمعصية والزنى والمعاصي، مثل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم-: «آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، (رواه البخاري ومسلم)،

١٠: كفر الاتباع و الطاعة:

أن اتّباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته والتزام ما جاء به من الوحي، قرآناً وسنة، وما تضمناهما من أوامر ونواهٍ، هو أصل الإسلام والتوحيد والسبيل الوحيد للحصول على محبة الله عز وجل.

قوله تعالى: "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" (آل عمران ٣١و٣٢)، وقوله تعالى: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ" (النور، الآية ٥٤).

وأمْر الله عز وجل بطاعة النبي صلى الله عليه وسلم، هو أمر عام لكل البشرية بطاعة الأنبياء والرسل؛ قال تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ..." (النساء، الآية ٦٤).

وقال تعالى عن بداية معيشة آدم عليه السلام على الأرض: "قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ" (البقرة، الآية ٣٨).

قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً [النساء: ٥٩].

وطاعته عليه السلام هي النور وهي الهدى أما طاعة الطواغيت هي كفر و الظلمات: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون} [البقرة:٢٥٧].

وقال سبحانه وتعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَاﷺأَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ).

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) سورة البقرة ١٣

واعلم ان اتباع الطواغيت و طاعتهم كالمرجئة، الذين يتبعون الطواغيت ويقولون هؤلاء ولاة الأمور كفر مخرج من ملة الاسلام لأن من أصول الدين كفر بالطاغوت، و اتباع قوانين الوضعية كفر كالأحزاب ما يسمى بالأسلامة سياسة، و اتباع طرق الصوفية الشركية كفر.

اما الحق والصحيح هو اتباع و التمسك بالكتاب والسنة نقلا لا عقلا وهذا هو العقيدة الصحيحة على منهاج النبوة.

باب الخامس عشر الكفر الأصغر

النوع الثاني: كفر أصغر غير مخرج من الملة:

وهو ما لا يناقض أصل الإيمان؛ بل ينقصه ويضعفه، ولا يسلب صاحبه صفة الإسلام وحصانته، وهو المشهور عند العلماء بقولهم: (كفر دون كفر) ويكون صاحبه على خطر عظيم من غضب الله - عز وجل - إذا لم يتب منه؛ وقد أطلقه الشارع على بعض المعاصي والذنوب على سبيل الزجر والتهديد؛ لأنها من خصال الكفر، وهي لا تصل إلى حد الكفر الأكبر، وما كان من هذا النوع فمن كبائر الذنوب، وهو مقتض لاستحقاق الوعيد والعذاب دون الخلود في النار.

وأنواع الكفر الأصغر كثيرة يتعذر حصرها، فكل ما جاءت به النصوص الشرعية من تسميته كفراً، ولم يصل إلى حد الكفر الأكبر، أو النفاق الأكبر، أو الشرك الأكبر، أو الفسق الأكبر، أو الظلم الأكبر؛ فهو كفر أصغر.

ولهذا النوع من الكفر صور كثيرة، منها:

١: كفر النعمة:

وذلك بنسبتها إلى غير الله تعالى بلسانه دون اعتقاده.

قال تعالى:يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ [النحل:٨٣]

كقول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي على سبيل إسناد النعمة إلى آبائه، أو قول أحدهم: لولا فلان لم يكن كذا وغيرها مما هو جار على ألسنة كثير من الناس، والمراد أنهم ينسبونه إلى أولئك، مع علمهم أن ذلك بتوفيق الله.

ومن ذلك تسمية الأبناء بعبد الحارث، وعبد الرسول، وعبد الحسين ونحوها، لأنه عبده لغير الله مع أنه هو خالقه والمنعم عليه.

كفر النعمة: جُحْدُها وإنكارها قال الله عز وجل: {يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} [النحل: ٨٣] ؛ فهؤلاء عرفوا نعم الله عز وجل، وعروفا أن الله هو المنعم عليهم بها، ولكنهم جحدوها، وإذا صَرَفَها في غير وجهها؛ هذا نوع من الكفر الفعلي، و استعمالها في غير مرضات الله؛ كالإسراف، والتبذير، وشراء المحرمات.

قال الله عز وجل: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]

كيفية شُكر نعم الله

أنعم الله -تعالى- وتفضّل على عباده بالكثير من النّعم والأفضال؛ فمنها ما هو متعلّق بالدّين ومنها ما هو متعلّق بالدّنيا، وقال العلماء إنّ أعظم نِعَم الله -عزّ وجلّ- على الإنسان هي نعمة الهداية إلى

الإسلام، وهو دين الله الذي اختاره وارتضاه للخَلْق في رسالة الرّسول محمّد صلّى الله عليه وسلّم، ومن نِعَم الله -تعالى- أيضاً إرسال الرّسل للنّاس ليبشّروهم ويحذّروهم، وأنزل عليهم الكتب السّماويّة لتكون لهم ذكرى، وأرشدهم إلى الصّراط المستقيم والطّريق القويم، وأعلمهم بطريق الجنّة ليسلكوه وبطريق النّار ليجتنبوه.

ومن نِعَم الله -تعالى- الدنيويّة تيسيير الحياة والمأكل والملبس، ومنها أيضاً خَلْق الإنسان في أحسن تقويم، وبسط الأرض بما يناسب عيش الإنسان، وتسخير جميع المخلوقات لخدمة العباد، ونعمة الجسد والسمع والبصر وباقي الحواسّ، ونعمة الزّواج والأولاد، ومنها أيضاً نعمة العلم بعد الجهل، فأوّل ما يُخلق الإنسان لا يكون عالماً بشيء ثمّ يُعلّمه الله -تعالى- ويهديه إلى ما ينفعه من العلوم بما خلق له من الحواسّ، قال الله عزّ وجلّ: (وَاللَّهُ أَخرَجَكُم مِن بُطونِ أُمَّهاتِكُم لا تَعلَمونَ شَيئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ وَالأَبصارَ وَالأَفئِدَةَ لَعَلَّكُم تَشكُرونَ)،[٣] وجميع النِّعم تسلتزم من الإنسان شكر الله -تعالى- والاعتراف بفضله.

وللشّكر ثلاثة أركان يقوم عليها

أ: شهادة القلب على نِعَم الله -عزّ وجلّ- وفضله على الإنسان، والتذلّل له بالخضوع والمحبّة.

ب: ذكر اللسان لنِعَم الله -تعالى- وشكره عليها لفظاً، والثّناء عليه والتبرّء من حول الإنسان وقوّته فيما عنده من نِعم.

ت: تسخير نِعَم الله -تعالى- على الإنسان بما يرضي الله تعالى، والبُعد عمّا يغضبه.

٢: كفران العشير والإحسان:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أريت النار؛ فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن)) قيل: أيكفرن بالله. قال: ((يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت خيراً قط)) رواه البخاري (٢٩).

وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم قيام المرأة بحق زوجها - العشير - وعدم شكر أحسانه اليها وصفه بالكفر وقد دلت القرائن أن المراد به كفرا أصغر وهى لما عدل الرسول صلى الله عليه وسلم بجوابه عنهم و الصحابة حملوه على الكفر الأكبر بما عهده من أستعمال الشارع بلفظ الكفر، وكذا أمرهن بالصدقة لتكفير المعاصى وهذا لا ينتفع الا للمؤمن .

قال أبن حجر نقلا عن القاضى - أبوبكر أبن العربى - (فأذا كفرت المرأة حق زوجها كان ذالك دليلا على تهاونها بحق الله فلذالك يطلق عليها الكفر ولكنه كفر لايخرج من الملة) [فتح الباري] ، وقال أيضا : (مراد المصنف أن يبين أن الطاعات كما تسمى أيمانا كذالك المعاصى تسمى كفرا لكن حيث يطلق عليها الكفر لايراد الكفر المخرج من الملة) [فتح الباري] .

٣: الحلف بغير الله تعالى: لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك)) رواه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)

فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام، ما لم يعظم المخلوق به في قلب الحالف كعظمة الله تعالى.

٤: قتال المسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)[رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤). من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قال ابن بطة في كتابه الإبانة الكبرى: "باب ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلى كفر غير خارج عن الملة". وذكر هذا الحديث وغيره. وقال النووي: "وأما قتاله بغير حق فلا يكفر به عند أهل الحق كفرا يخرج به من الملة كما قدمناه في مواضع كثيرة، إلا إذا استحلّه، فإذا تقرّر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوال، أحدها: أنه في المستحل، والثاني: أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام لا كفر الجحود، والثالث : أنه يؤول إلى الكفر بشؤمه، والرابع : أنه كفعل الكفار"

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض)) رواه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥). من حديث جرير رضي الله عنه.

فهذا النوع من الكفر غير مخرج من الملة باتفاق الأئمة؛ لأنهم لم يفقدوا صفات الإيمان، لقول الله تعالى: وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا [الحجرات:٩] أما قتال جماعة المسلمين بسبب دينهم أو صد عن سبيل الله و اقامة شرع كفر أكبر، قال الله عز وجل: الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا.

٥: الانتساب إلى غير الأب:

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

((لا ترغبوا عن آبائكم؛ فمن رغب عن أبيه فهو كفر)) رواه البخاري (٦٧٦٨)، ومسلم (٦٢). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ليس من رجل ادعى لغير أبيه - وهو يعلمه - إلا كفر، ومن ادعى قوماً ليس له فيهم؛ فليتبوأ مقعده من النار) رواه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١). من حديث أبي ذر رضي الله عنه. وفي رواية: (مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ)[بخاري ٦٧٦٦].

قال ابن بطال: "ليس معناه الكفر الذى يستحق عليه التخليد في النار، وإنما هو كفرٌ لِحَقّ أبيه ولِحَقّ مواليه، كقوله في النساء: (يكفرن العشير)، والكفر في لغة العرب: التغطية للشيء والستر له، فكأنه تغطية منه على حق الله عز وجل فيمن جعله له والدًا، لا أنّ مَن فعل ذلك كافر بالله حلال الدم"[شرح صحيح البخاري].

وقال النووي: "فيه التأويلان اللذان قدمناهما في نظائره، أحدهما: أنه محمول على من فعله مستحلًا له، والثاني: أن جزاءه أنها محرمة عليه أولًا عند دخول الفائزين وأهل السلامة، ثم إنه قد يجازى فيمنعها عند دخولهم ثم يدخلها بعد ذلك، وقد لا يجازى بل يعفو الله -سبحانه وتعالى- عنه"[شرح صحيح مسلم].

٦: الطعن في النسب، والنياحة على الميت:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اثنتان في الناس هما بهم كفر؛ الطعن في النسب، والنياحة على الميت)) رواه مسلم (٦٧). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال أبن القيم : (وهاهنا أصل أخر وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الأيمان بالعبد أن يسمى مؤمنا وأن كان مما قام به أيمانا ولا من قيام شعبة من شعب الكفر أن يسمى كافرا وأن كان ما قام به كفرا) ، الى أن قال : (ولا يمنع ذالك أن تسمى شعبة الأيمان أيمانا و شعبة النفاق نفاقا و شعبة الكفر كفرا ، وقد يطلق على الفعل كفرا " من تركها فقد كفر " ، و " من حلف بغير الله فقد كفر " ، " من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر " ، من صدر منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق أسم الكافر على الأطلاق) [كتاب الصلاة ٣١].

الفروق بين كفر الأكبر والأصغر:

الشرك والكفر الأكبر المخرج من الملة هو ما ناقض أصل الدين الذي هو توحيد الله والالتزام بالشريعة إجمالاً.

أما الشرك والكفر الأصغر وتخلف الإيمان الواجب فيكون بما دون ذلك، بحيث لا ينقض أصل الدين، ولا يكون أيضاً من اللمم المعفو عنه كما قال تعالى: إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا [النساء: ٣١].

فكل ما ثبت بنص أنه كفر، لكن دلت الدلائل على أنه ليس كفراً مخرجاً من الملة فهو كفر أصغر، وكذا ما ورد فيه الوعيد بنحو ليس منا، أو تبرأ منه الرسول صلى الله عليه وسلم، أو نفى عنه وصف الإيمان، فكل ذلك من الكبائر.

١- أن الكفرَ الأكبر يُخرِج من الملَّة ويُحبط الأعمال، والكفر الأصغر لا يخرج من الملة ولا يحبط الأعمال؛ لكن ينقصها بحسبه ويعرِّض صاحبَه للوعيد.

٢- أن الكفر الأكبر يَخلُد صاحبُه في النار، والكفر الأصغر إذا دخل صاحبُه النار فإنه لا يَخلد فيها. وقد يتوب الله عليه فلا يدخله النار أصلًا.

٣- أن الكفر الأكبر يُبيح الدم والمال، والكفر الأصغر لا يبيح الدم والمال.

٤- أن الكفر الأكبر يوجب العداوة الدائمة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبتُه وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر .. لأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقًا؛ بل صاحبه يُحَب ويوالَى بقدر ما فيه من الإيمان، ويبغض ويعادَى بقدر ما فيه من العصيان.

ضابط التفريق بين الكفر الأكبر والأصغر

الشرك والكفر الأكبر المخرج من الملة هو ما ناقض أصل الدين الذي هو توحيد الله والالتزام بالشريعة إجمالاً.

أما الشرك والكفر الأصغر وتخلف الإيمان الواجب فيكون بما دون ذلك، بحيث لا ينقض أصل الدين، ولا يكون أيضاً من اللمم المعفو عنه كما قال تعالى: إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا [النساء: ٣١].

فكل ما ثبت بنص أنه شرك، لكن دلت الدلائل على أنه ليس شركاً مخرجاً من الملة فهو شرك أصغر، وكل ما ثبت بنص أنه كفر، لكن دلت الدلائل على أنه ليس كفراً مخرجاً من الملة فهو كفر دون كفر، وكذا ما ورد فيه الوعيد بنحو ليس منا، أو تبرأ منه الرسول صلى الله عليه وسلم، أو نفى عنه وصف الإيمان، فكل ذلك من الكبائر.

ولهذا عمم الإمام أحمد رحمه الله القول بأن مرتكب الكبيرة ليس مؤمناً فقال: (من أتى هذه الأربعة: الزنا والسرقة وشرب الخمر والنهبة التي يرفع الناس فيها أبصارهم إليه، أو مثلهن أو فوقهن فهو مسلم، ولا أسميه مؤمناً، ومن أتى دون الكبائر نسميه مؤمناً ناقص الإيمان) (مجموع الفتاوى) .

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي تعليقاً على كلام الإمام أحمد السابق: (صاحب هذا القول يقول: لما نفى عنه النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان نفيته عنه كما نفاه عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول لم ينفه إلا عن صاحب كبيرة، وإلا فالمؤمن الذي يفعل الصغيرة هي مكفرة بفعله للحسنات واجتنابه للكبائر، لكنه ناقص الإيمان عمن اجتنب الصغائر، فما أتى بالإيمان الواجب، ولكن خلطه بسيئات كفرت عنه بغيرها، ونقصت بذلك درجته عمن لم يأت بذلك) (مجموع الفتاوى) .

والكبيرة إما أن تتعلق بالشرك على نحو لا يناقض أصل التوحيد. وإما أن تتعلق بعدم الالتزام بالشريعة، ولكن على نحو لا يتناقض أصل الالتزام بها، سواء كان ذلك من جهة المعصية أو من جهة البدعة. فإن من زنى أو سرق لم يلتزم بأمر الله له باجتناب ذلك، لكنه لم ينقض أصل التزامه بأمر الله بالكلية. وكذلك من علم الحق المخالف لبدعته فأصر عليه تغليباً لشبهته فإنه لا يقال إنه استسلم لله بقبول خبرة استسلاماً تاماً، لكنه مع ذلك لم يرده تكذيباً واستحلالاً، بل لشبهة عرضت له.

فأما الشرك فنحو الرياء، كما ورد بذلك النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بأن يكون أصل العمل لله، لكن دخل عليه الشرك في تزيينه للناس.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء، والتصنع للخلق والحلف بغير الله كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من حلف بغير الله فقد أشرك)) وقول الرجل للرجل (ما شاء الله وشئت) و(هذا من الله ومنك)و (أنا بالله وبك)، و (مالي إلا الله وأنت) و (أنا متوكل على الله وعليك) و (ولولا أنت لم يكن كذا وكذا). وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب قائله ومقصده) (مدارج السالكين) .

والشرك الأصغر وإن كان من الكبائر، لكنها على مراتب، وبعضها أكبر من بعض، كما في الحديث: ((ألا أنبؤكم بأكبر الكبائر... الشرك بالله وعقوق الوالدين... الحديث)) (البخاري ٢٦٥٤ ومسلم ٨٧) وعليه يفهم قول ابن مسعود رضي الله عنه: (لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً) فمراده: أن الشرك بالحلف بغير الله وإن كان من الكبائر لكنه أكبر من الحلف الكاذب. وعلى هذا يمكن أن يفهم قول الإمام محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله عن الشرك الأصغر إنه أكبر من الكبائر (كتاب التوحيد) ، وهو كقول الإمام ابن القيم رحمه الله عن الشرك الأصغر إن رتبته

فوق رتبة الكبائر ، ولا يلزم من قولهما إخراج الشرك الأصغر عن مسمى الكبائر، بل كأنه أكبر من جميعها.

ومما يبين ذلك: أن الشرك الأصغر لا يختص عن الكبائر بحكم يثبت له دونها فيما يتعلق بأحكام الوعيد، وأما القول بأن الشرك الأصغر لا يغفره الله، ولا يدخل تحت المشيئة – وإن دخل تحت الموازنة – فلا يصح، ولا دليل على تخصيصه بذلك، لأن المراد بقول الله تعالى: إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ [النساء: ٤٨] الشرك الأكبر، وهو كقوله تعالى: إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النارُ [المائدة: ٧٢]، وكقوله تعالى: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ [الزمر: ٦٥]. والذين يقولون بالموازنة كالإمامين ابن حزم وابن القيم رحمهما الله، لا يلتزمون تحديد شيء من الذنوب بأنه لا تغفر ولا تدخل تحت المشيئة، لا الشرك الأصغر ولا غيره من الكبائر، وإنما يعممون القول بأن من رجحت سيئاته بحسناته لابد أن يعذب.

ثم إن هناك دلالات تفصيلية أن المراد بالنص الشرك أو الكفر الأصغر. من ذلك صريح النص عليه – وهذه أقوى دلالة – ذلك كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء)).

ومن ذلك دلالة نصوص أخرى – وهذا باب واسع – ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر))، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)). مع قوله تعالى: وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ [الحجرات: ٩] فالكفر المراد في الحديث ليس الكفر المخرج من الملة، وإلا لما أثبت الله لمن تقاتلوا وصف الإيمان الذي هو في الآية الإسلام الظاهر.

ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما))، وفي روايةٍ ((إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما))

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معنى هذا الحديث: (فقد سماه أخاه حين القول، وقد أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه).

ومن ذلك أيضاً عدم ترتب حد الردة على فاعله، وإن أقيم عليه حد العصاة، كما في الزاني والسارق مع نفي الإيمان عنهما.

ومن الدلالات على الشرك والكفر الأصغر أن يأتي منكراً غير معرف، فإن جاء معرفاً بأل دل على أن المقصود به الكفر المخرج من الملة، لا مطلق الكفر الذي يصدق على الكفر الأصغر كما يصدق على الكفر الأكبر.

ولهذا فإن تارك الصلاة كافر كفراً أكبر لمجيء الحديث في حكم تاركها على التعريف، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة)).

ويؤيد ذلك دلالة أخرى وهي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)). فإذا كان الحد الذي بين المسلمين والكفار هي الصلاة فإن تركها كفر أكبر.

وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك، ووجوبهما بالمعاصي، فإن معناها عندنا ليست تُثبت على أهلها كفرا ولا شركا يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوبها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون.

والأصل الذي اعتمده أهل السنة في هذا الباب أن (الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: بخلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((بَيْنَ الرَّجُلِ والشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاةِ)) فإنه أتى بأل الدالة على الحقيقة، فالمراد بالكفر هنا الكفر المخرج عن الملة، بخلاف مجيء ((كفر)) نكرة، فلا يدل على الخروج عن الإسلام).

وقال في تعريف الشرك الأصغر: كل عمل قولي أو فعلي أَطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج من الملة، مثل الحلف بغير الله .

وليُعلم أن ... من صور الشرك الأصغر، كالحلف بغير الله، والرياء، والاستسقاء بالأنواء، قد تصير من الشرك الأكبر، في بعض الحالات.

الأصل أن تحمل ألفاظ الكفر والشرك الواردة في الكتاب والسنة- وخاصة المعرف منها بأل- على حقيقتها المطلقة، ومسماها المطلق، وذلك كونها مخرجة من الملة، حتى يجيء ما يمنع ذلك، ويقتضي الحمل على الكفر الأصغر والشرك الأصغر.

التكفير حكمٌ شرعيٌ يرجع إلى إباحةِ المال وسفكِ الدماء والحكمِ بالخلود في النار، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:[الكفرُ والفسقُ أحكامٌ شرعيةٌ،ليس ذلك من الأحكام التى يستقلُّ بها العقلُ ، فالكافر من جعله اللهُ ورسولهُ كافراً,والفاسق من جعله اللهُ ورسولهُ فاسقاً.كما أن المؤمن والمسلم من جعله اللهُ ورسولهُ مؤمناً ومسلماً,والعدل من جعله اللهُ ورسولهُ عدْلاً,ومعصومُ الدم من جعله اللهُ ورسولهُ معصومَ الدم ,والسعيدُ فى الآخرة من أخبر اللهُ ورسولهُ أنه سعيدٌ فى الآخرة ,والشقي فيها من أخبر اللهُ ورسولهُ أنه شقيٌ فيها، والواجبُ من الصلاة والصيام والصدقة والحج ما أوجبهُ اللهُ ورسولهُ، والمستحقون لميراث الميت من جعلهم اللهُ ورسولهُ وارثين، والذي يُقتل حداً أو قصاصاً من جعله اللهُ ورسولهُ مباحَ الدم بذلك، والمستحقُ للفيء والخُمُس من جعله اللهُ ورسولهُ مستحقاً

لذلك، والمستحقُ للموالاة والمعاداة من جعله اللهُ ورسولهُ مستحقاً للموالاة والمعاداة، والحلالُ ما أحله اللهُ ورسولهُ، والحرامُ ما حرَّمهُ اللهُ ورسولهُ، والدِّينُ ما شرعه اللهُ ورسولهُ، فهذه المسائل كلها ثابتةٌ بالشرع] مجموع الفتاوى ٢١٣/١٩.

مثالٌ معاصرٌ: الحكام الذين يحكمون بغير شرع الله وجند الطواغيت وعباد القبور و الجواسيس الذين تولوا الكفار كل هؤلاء يلحقهم اسم الكفر و حكمه.

اما الأحكام كالمناكحة والموارثة والمحبة والموالاة والنصرة والمعاداة والبراءة وإقرار ولايته والصلاة خلفه وعليه وتضليل من كفره ومساكنته والدعاء له أو عليه وسبه ولعنه والجزية والصغار والقتل والقتال والتعذيب والنار والعقوبة وحل نسائهم أو عدمه وحل ذبائحهم أو عدمه والدفن في المقابر وأمثال ذلك.

الاحكام المترتبة على مسائل الايمان و الكفر في الدنيا :

و منها :

١) في السياسه الشرعية : وجوب طاعة الحاكم المسلم ، و تحريم طاعة الحاكم الكافر و وجوب الخروج عليه و خلعه ، وانه لايجوز التحاكم الى الاحكام الوضعية و لا العمل بها و من فعل ذلك راضيا بها فهو كافر ، و يحرم مبايعة الحكام العلمانين المرتدين و عدم الانخراط في جيوشهم او اجهزتهم التى تعينهم على كفرهم و ظلمهم ، وان ديارهم ديار كفر وردة .

٢) في أحكام الولاية : فلا ولاية لكافر على مسلم وفي ذلك لايكون الكافر حاكما ولا قاضيا للمسلمين ، ولا تصح امامة الكافر في الصلاة ، ولا تصح ولاية الكافر لمسلمة في النكاح بل لايكون محرما لها ولا يكون وصيا على مسلم ولا يل ماله ، و غير ذالك من صور الولاية .

٣) في احكام النكاح : يحرم نكاح الكافر لمسلمة و المسلم لكافرة .

٤) في احكام المواريث : فان أختلاف الدين يمنع التوارث ، فلا يرث الكافر المسلم ولا يرث المسلم الكافر على الصحيح .

٥) في أحكام العصمة : فان المسلم معصوم الدم و المال و العرض بخلاف الكافر الذي لاعصمة له في الاصل الا ان يكون له عهد او امان او ذمة.

٦) وفي احكام الجنائز : فان الكافر و منه المرتد لايغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يستغفر له و لا يترحم عليه إذا مات ، قال تعالى { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله } ، و قال تعالى { ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى } [التوبة :١١٣].

٧) في أحكام الولاء و البراء : يوالى المؤمن على حسب ايمانه و تحرم موالاة الكفار و تجب البراءة منهم و بغضهم و اظهار العداوة لهم على حسب الأمكان ولا يجوز إعانة الكفار على شيء يضر المسلمين .

٨) في احكام الهجرة : فيجب على المؤمن أن لايقيم بين الكافرين ما امكنه ذلك إلالمصلحة شرعية و يجب عليه الهجرة من دارهم الى دار المسلمين حتى لا يكثر سوادهم .

٩) في احكام الجهاد : فاءن المسلم يجاهد مع الائمة المسلمين سواء كانوا ابرارا او فجارا ولا يجوز القتال خلف امام كافر أو مرتد وأن تكون راية الجهاد شرعية فيكون الجهاد فسبيل الله و إعلاء كلمته و تحكيم شرعه وأن يكون الدين كله لله ومن اجل ازالة الباطل و محق كل رايات الكفر و الشر و الالحاد ، وكذلك ما يترتب من الأحكام في معاملة الاسرى و الغنائم و الفيء و الجزية .

١٠) في أحكام الديار : فاءن هذه الأحكام مبنية على مسائل الكفر و الايمان من تحريم السفر للمسلم إلى دار الكفر إلى لحاجة و عدم الاقامة بها إلا لضرورة أو مصلحة شرعية و بالشروط التي وضعها العلماء و منها وجوب اظهار دينه كما لايجوز لكافر أن يدخل دار الأسلام إلا بعهد أو امان ولا يقيم بها إلا بجزية و هناك أماكن لايجوز للكافر أن يقيم بها على الاطلاق وهي جزيرة العرب و أماكن اخرى لايجوز لهم دخولها وهي مناطق الحرام .

١١) وفي أحكام القضاء :لاتقبل شهادة الكافر على المسلم في الأصل كما يحرم أن يكون الكافر قاضيا على المسلمين كما ذكرنا في أحكام الولاية .

باب السادس عشر

الكفر بالطاغوت

ان اول ما فرض الله عز و جل على بني آدم هو الكفر الطاغوت، كما قال الله عز و جل وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ.

فجعل الله عز وجل الكفر الطاغوت شرطا مقدما لدخول الاسلام ، ولا يصح ايمان عبد مالم يكفر بالطاغوت ، فان اول شرط من شروط الايمان هو اكفر بالطاغوت

وان الكفر الطاغوت اصل من اصول الدين و ركن من اركان العقيدة و شرط مقدم لدخول الاسلام ، اما المرجئة لا يكفرون الطواغيت بل يسمون طواغيتهم بولاة الأمور.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الأصول الثلاثة: والطواغيت كثيرة ورؤوسهم خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْد مِن الْغَي فَمَن يَكْفُرْ بالطَّاغُوت وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}.

وقال: وأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتكفر أهلها وتعاديهم.

/ اعلم أنَّ أعظمَ ركنٍ في الإسلامِ جاءتْ بِهِ الرُّسلُ هُوَ الإيمانُ باللهِ تعالى وحدَهُ والكفرُ بالطَّاغوتِ، وهُوَ غايةُ الرُّسلِ والرِّسالاتُ، وأوَّلُ ما يجبُ على العبدِ القيامُ بِهِ نَحْوَ ربِّهِ قَبْلَ الصَّلاةِ والصِّيامِ والزَّكاةِ وحَجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ، وغيرِ ذلكَ مِنْ فرائضِ الإسلامِ،

فلا يَصِحُّ إيمانٌ إلاَّ بعدَ الكفرِ بالطَّاغوتِ، ولا يُقبَلُ عَمَلٌ إلاَّ بعدَ الكفرِ بالطَّاغوتِ، ولا يُعصَمُ دَمٌ ولا مالٌ إلاَّ بَعْدَ الكفرِ بالطَّاغوتِ.

والدليل قوله تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}

واعلم أن الإنسان ما يصير مسلما مستمسكا بلا إله إلا الله

إلا بالكفر بالطاغوت، والدليل قوله تعالى:{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}.

تعريف الطاغوت.

يقول ابن القيم فى تعريف الطاغوت (والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله) (اعلام الموقعين)

ويقول الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى تعريف الطاغوت هو(كل ما عُبد من دون الله، ورضي بالعبادة من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله ورسوله

أنواع الطواغيت فى زماننا إذا كان الطاغوت هو المعبود من دون الله ،وإذا كان للعبادة معنيان معنى النسك والشعائر ومعنى الطاعة فيكون الطاغوت كذلك نوعان طاغوت نسك وشعائر وطاغوت طاعة وحكم

أولا ؛ طاغوت النسك والشعائر وهو ممثل فى تلك الأضرحة والمشاهد التى يؤمها العباد من الصوفية والشيعة وغيرهم من العامة كثير لأداء الشعائر والنسك لها من طواف وذبح ونذر ودعاء

ثانيا ؛ طاغوت الطاعة والحكم وهو ممثل فى :

١- الدساتير والقوانين الوضعية التى يخضع الناس لها ويتحاكمون إليها ويعظمونها وينبذون شرع الله

٢-المجالس التشريعية (البرلمانات) وهى رجال تختارهم الشعوب لسن القوانين لهم فهى فى حقيقتها مجالس أرباب

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ }

٣-المحاكم الوضعية والمجالس العرفية وهم رجال من البشر يقضون بين الناس بما نصت عليه القوانين الوضعية أو الأحكام العرفية بمعزل عن شرع الله

٤-الدعاة إلى الكفر والشرك كالدعاة إلى تقديس القوانين الوضعية وتحسينها وكذلك الدعاة إلى الديمقراطية أو الاشتراكية أو العلمانية وكلها مذاهب شركية يكفر فيها التابع والمتبوع

٥-الشيطان وهو رأس الطواغيت جميعها والداعى إلى كل كفر وشر وكل الطواغيت تبع له وفرع

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } [يس: ٦٠]

الصالحون لا يسمون طواغيت اعلم هداك الله أن الصالحين الذين عبدهم المشركون مع الله لا يسمون طواغيتا كعيسى حين عبدته النصارى وعزير حين عبده اليهود والحسين والحسن حين عبدهما الشيعة والصوفية ، لأنهم غير داعين لهذه العبادة غير راضين بها والذين يعبدونهم ويدعونهم هم فى الحقيقة يعبدون الجن والشياطين قال تعالى (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ)

الطاغوت لا يكون إلا شديد الكفر يقول ابن جرير الطبرى فى تعريف الطاغوت (أنه كل ذي طغيان على الله فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أوكائنا ما كان من شئ).(تفسير الطبرى)

إذن فطغيان الطاغوت متجه إلى حق من حقوق الله لذا فالطاغوت لا يكون إلا كافرا شديد الكفر لأنه من الطغيان وهو مجاوزة الحد فى الكفر ، لأن طغيان الطاغوت يكون فى حق الله بادعائه حق من حقوقه كالتشريع أو علم الغيب ، أما الطغيان فى حق البشر فلا يسمى طاغوتا وإنما يسمى ظلما ،ولم يأت فى القرآن ولا فى السنة ولا فى أقوال العلماء إطلاق كلمة الطاغوت على المسلم الظالم ومن هنا تبين جهل وخطأ من فرق بين الكفر بالطاغوت وتكفيره ،إذ كيف يكون الطاغوت مسلما وقد أمرنا أن نكفر به لندخل فى الإسلام؟!

كيف نكفر بالطاغوت

يقول محمد ابن عبد الوهاب (فأما صفة الكفر بالطاغوت فهو أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفر أهلها، وتعاديهم).(مجموعة رسائل فى التوحيد)

والكفر بالطاغوت فى زماننا يكون بالبراءة من كل طواغيت الطاعة والحكم بالبراءة من الدساتير والقوانين الوضعية ومن واضعيها بجحود طاعتها والخضوع لها أو احترامها أو التحاكم إليها ومن المتحاكمين إليها ،وبالبراءة من المذاهب الكفرية جميعها كالديمقراطية ومن اتباعها والدعاة إليها وبالبراءة من طواغيت النسك والشعائر بالبراءة من تلك المشاهد والأضرحة بجحود كونها تنفع أو تضر وبجحود استحقاقها لأى صور العبادة كالدعاء والذبح وعدم اعطائها أيا من صور تلك العبادة،كذلك بالبراءة من عابديها بتكفيرهم والبراءة من عملهم

إخبار الرسول عن عودة أمته إلى عبادة الطواغيت

قال رسول الله (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: (فمن)؟)(متفق عليه)

أخبر الرسول أن أمته ستتبع أهل الكتاب قبلهم وأخبرنا القرآن أن أهل الكتاب قد عبدوا الطواغيت قال تعالى (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) فيكون ذلك إخبار بأن أمته ستعبد الطواغيت.

وعن أنس قال : (إنها ستكون ملوك ثم الجبابرة ثم الطواغيت). (مصنف ابن ابى شيبة)

أى أنه سيحكم الأمة بعد الخلفاء الراشدين ثلاث أصناف من الحكام

،الصنف الأول الملوك وهم الذين تخلوا عن سيرة الخلفاء الراشدون فى الزهد والورع وتحرى العدل والرفق بالرعية والقيام بأمرها ،وتشبهوا بالملوك في سيرتهم وأخلاقهم وإسرافهم مع قيامهم بمنهج الله وعدم الخروج عليه وهؤلاء مسلمون مع مخالفاتهم

،الصنف الثانى وهم الجبابرة وهم الذين أسرفوا فى القتل وظلم رعيتهم مع قيامهم أيضا بشرع الله وعدم تبديله وهؤلاء مسلمون أيضا وإن كانت هناك مظالم كبيرة ،

الصنف الثالث :الطواغيت وهم الحكام المبدلون لشرع الله الخارجون عليه الواضعون للناس القوانين من عند أنفسهم وهؤلاء كفار وإن لم يظلموا وإن تحروا العدل فى حكمهم وبين رعيتهم،كفار لأنهم قد وقعوا وأوقعوا الناس فى الظلم الأكبر وهو الشرك بالله بترك منهجه وتحكيم مناهج البشر،كحكام أهل زماننا

ومن تبع شيئا من هذه الطواغيت فى الدنيا بتحاكم أو نصرة ،أمر بأن يتبعها يوم القيامة حتى يلقى فى جهنم

ففى الحديث

أن الرسول قال (يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ . فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ)(صحيح البخارى)

ورود الطاغوت فى القرآن

ورد ذكر الطاغوت فى القرآن ثمان مرات ثلاث منها فى بيان حقيقة الدين وخمس فى بيان حقيقة الكفر وعلاقة الطاغوت بعابديه ،أما الثلاث التى بينت حقيقة الدين فأوجبت الكفر به واجتنابه للدخول فى الإسلام وهى

قوله تعالى(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(٢٥٦)البقرة

(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ)النحل

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧))الزمر

أما الخمس التى بينت حقيقة الطاغوت وعلاقته بعابديه فهى

١- (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آَمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧) البقرة)يبين تعالى فى الآية الكريمة كيف يخرج الطاغوت أوليائه من نور التوحيد الذى ولدوا عليه إلى ظلمات الكفر الذى دعتهم إليه الطواغيت

٢-(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلًا (٥١) النساء) يعجّب سبحانه نبيه من أهل الكتاب وقد أنزل الله عليهم وحيا ومنهجا فتركوا ذلك وآمنوا بالجبت والطاغوت.

والجبت : كلمة جامعة لمعانى الكهانة والشعوذة والسحر ،والإيمان بالطاغوت يكون بالتحاكم إليه والقتال فى سبيله كما سيأتى فى الآيتين التاليتين

٣-(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آَمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠)) النساء

٤- (وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا) (٧٦)النساء

٥- (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) يخبر تعالى عن لعنه ومسخه لبنى اسرائيل حين اعرضوا عن منهجه فعاقبهم بأن مسخهم قردة ومسخهم خنازير ومسخهم عبدا للطاغوت ،فعبادة الطاغوت مسخ للفطرة كالمسخ قردة وخنازير

صفةُ الكفر بالطواغيتِ

بَعْدَ أَنْ عرفْتَ أَنَّهُ يَجِبُ عليكَ الكفرُ بالطَّاغوتِ، وأَنَّ إيمانَ المَرْءِ لا يَصِحُّ إلاَّ بَعْدَ الكفرِ بِهِ، يتعيَّنُ عليكَ أَنْ تَعْرِفَ صِفَةَ الكفرِ بالطَّاغوتِ لتمارِسَهُ في واقِعِ حياتِكَ العمليَّةِ،

وحتَّى لا يكونُ كفرُكَ بِهِ مجرَّدَ دعوَى أَوْ زعمًا باللِّسانِ مِنْ دُونِ عَمَلٍ، لا تَظهَرُ آثارُهُ على الجوارِحِ وفي واقِعِ الحياةِ، فيَطَالُكَ قولُهُ تعالى: {كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٣].

أوَّلاً: معاداتُهمْ وبغضُهمْ والتبرُّؤُ منهمْ أي الطواغيتِ – وممَّنْ يعبدونَهمْ مِنْ دونِ اللهِ).

قالَ تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ}[الممتحنة: ٤].

تأمَّل قولَهُ {بَدَا} الَّذي يُفيدُ غايةَ الظُّهورِ والوضوحِ وتقديمَ العداوةِ الَّتي مَحِلُّها الجوارِحُ الظَّاهرةُ على البغضاءِ الَّتي مَحِلُّها القَلْبُ، وهذا يدلُّ على أهمِّيَّةِ إظهارِ العداوةِ والبراءَةِ منهمْ إظهارًا لا لَبْسَ

فيهِ ولا مُوارَبَةَ ولا غموضَ، إذْ لا يَكفي إضمارُ البغضاءِ لهمْ في القلبِ ثُمَّ نحنُ في الظَّاهرِ طائعونَ مُسَلِّمونَ متودِّدونَ لهمْ!

ثُمَّ تأمَّلْ تقديمَ البراءةِ مِنَ العابدينَ وشِرْكِهِمْ قِبَلَ المعبودينَ، وما ذلكَ إلاَّ للأهمِّيَّةِ، فإنَّ البراءةَ مِنَ العابِدِ وشِرْكِهِ يقتضي البراءةَ مِنَ المعبودينَ دونَ العكسِ، فإنَّ البراءةَ مِنَ المعبودينَ لا تستلزِمُ البراءةَ مِنْ عابديهمْ ومايُشركونَ.

وقالَ تعالى عَنْ الخليل إبراهيمَ: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} [الزخرف: ٢٦].

وقالَ: {أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ العَالَمِينَ (٧٧)}[الشعراء: ٧٥-٧٧].

وقالَ: {أُفٍّ لَكُمْ وَلِما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ٦٧].

هذهِ هِيَ الأُسوةُ الحسنةُ الَّتي أُمِرْنا بالاقتداءِ بها، وهذهِ هِيَ مِلَّةُ إبراهيمَ الَّتي لا يَرْغَبُ عنها إلاَّ مَنْ سَفِهَ نفسَهُ:

{وَمَن يَّرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ}[البقرة: ١٣٠].

ثانيًا: (تكفيرُ الطواغيتِ)

قالَ تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون: ١]، فلا بُدَّ مِن اعتقادِ كفرِهمْ بَلْ إنَّهُ ركن في صِحَّةِ الإسلامِ. وقالَ تعالى: {وَمَن يَّقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٢٩]، وهذا وعيدٌ بحقِّ الكافرينَ.

ثالثًا: (عدمُ التحاكُمِ إلى الطواغيتِ).

يكونُ الكفرُ بالطَّواغيتِ أيضًا بعَدَمِ التَّحاكُمِ إليهمْ بما يُشَرِّعونَ مِنْ قوانينَ ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ وعَدَمِ إقرارِهمْ على دساتيرِهمُ المزعومَةِ، وقَدْ عَلِمْنا أَنَّ ذلكَ يكونُ عبادةً لهمْ مِنْ دونِ اللهِ.

قالَ تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَّعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ} [الزمر: ١٧].

وقالَ تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّة رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٥].

وقالَ عَنْ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ} [مريم: ٤٨]

وقالَ تعالى: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيًّا} [مريم: ٤٩].

رابعًا: (البراءةُ منهم وعدمُ موالاتِهِمْ).

ومِنْ اركان الكفرِ بالطَّواغيتِ انتفاءُ موالاتِهِمْ أَوْ مُوَادَّتِهِمْ أَوِ الرُّكونِ إليهمْ أَوِ التَّحالُفِ معهمْ.

قالَ تعالى: {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ} [الكهف: ١٠٢]. فهذا مستحيلٌ إلاَّ إذا آثَرَ عبادُ اللهِ الكفرَ وَأَنْ يكونوا غَيْرَ مؤمنينَ.

وقالَ تعالى: {يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ...} [النساء: ١٤٤]

وقالَ تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١].

وقالَ تعالى: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ

يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة: ٢٢].

وقالَ تعالى: {لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالمَوَدَّةِ} [الممتحنة: ١].

وقالَ تعالى: {وَلا تَرْكَنُوا إِلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ}[هود: ١١٣].

قالوا في الرُّكونِ: هوَ المَيْلُ اليسيرُ.

قالَ ابنُ عبَّاسٍ: {وَلا تَرْكَنُوا} قالَ: ولا تميلوا.

ولَمَّاكانتِ الطواغيتُ على رأسِ الظالمينَ كانَ لِزَامًا على كلِّ مَنْ ينتسبُ للإسلامِ أنْ يكَفِّرَهُمْ ويجاهِدَهُمْ بقلبهِ وبِمَا استطاعَ مِنْ جوارِحِهِ.

قالَ تعالى: {يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

قالَ ابنُ مسعودٍ: {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فبِقَلْبِهِ، وَلْيَلْقَهُ بِوَجْهٍ مُكْفَهِرٍّ؛ أَيْ عَابِسٍ مُتَغَيِّرٍ مِنَ الْغَيظِ والبُغْضِ.

هذهِ هِيَ صفةُ الكفرِ بالطَّواغيتِ، وهكذا يَجِبُ أَنْ تكونَ، أمَّا أَنْ يَبْسُطَ لهمْ في المُوالاةِ والتَّودُّدِ ويَركَنَ إليهمْ، ويذودَ عنهمْ، ويَتَوَسَّعَ في التَّأويلِ لهمْ، ويَنْصُرَهُمْ على مَنْ عاداهمْ مِنْ أهلِ التَّوحيدِ، ثُمَّ هُوَ بعدَ ذلكَ يَحْسَبُ أَنَّهُ يكفرُ بالطَّواغيتِ، فهذا لا يكونُ مؤمنًا باللهِ كافرًا بالطَّاغوتِ، وهُوَ مِنْ غرائبِ الأمورِ الَّتي يَشْتَدُّ لها العَجَبُ في هذا الزَّمانِ.

وأَعْجَبُ مِنْ ذلكَ أناسٌ يُصَوِّرُونَ – رهبةً أَوْ رغبةً – الكفرَ بالطَّواغيتِ

ومعاداتَهمْ وبُغْضَهم والخروجَ عليهمْ على أَنَّهُ فتنةٌ يَجِبُ اجتنابُها،

وخروجٌ على وُلاةِ الأمرِ ويَعُدُّونَهُ بَغْيًا يستوجِبُ القتلَ ثُمَّ يتكلَّفونَ في لَيِّ النُّصوصِ الشَّرعيَّةِ الَّتي قيلتْ في المسلمين وأئمَّةِ المسلمينَ ليحمِلوه على طواغيتَ اجتمعتْ فيهمْ جميعُ خِصالِ الكفرِ والنِّفاقِ، وفي ذلكَ منهمْ المأجورُ مِنَ الطَّواغيتِ الَّذينَ يَذُبُّ عنهمْ، ومنهمْ مَنْ يظُنُّ أَنَّها قُربى يَتَقَرَّبُ إلى اللهِ بها، غباءً مِنْهُ وجهلا غَيْرَ معذورٍ فيهِ.

ولهؤلاءِ

ومَنْ راوَغَ رَوَغانَهمْ وزاغَ كَزَيْغِهِمْ نقولُ لهمْ انطلاقًا مِنْ معتقداتِهمْ وما يَدَّعُونَ مِنْ علمٍ وزُهدٍ وَوَرَعٍ: ما مِنْ نبيٍّ إلاَّ وقَدِ ابتلاهُ اللهُ تعالى بطاغوتٍ بَلْ طواغيتَ يقارِعُهمْ ويجاهِدُهمْ ويُبطِلُ شِرْكَهمْ

وكفرَهمْ، ولِتَتَمايزَ بجهادِهمُ النُّفوسُ فيُعْرَفُ المجاهِدُ الصَّابرُ مِنَ المنافقِ القاعِدِ المتخاذِلِ، كما قالَ تعالى: {وَلَنَبْلُوَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ}محمد: ٣١

وقالَ تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} [العنكبوت: ٢].

فَعَلامَ أنتمْ – دعاةَ الاقتداءِ بالأنبياءِ – كما تَزْعُمونَ لا تريدونَ أَنْ يكونَ لكمْ طواغيتَ تُبْتَلَوْنَ بهمْ، وتُظْهِرونَ الحقَّ والتَّوحيدَ مِنْ خلالِ مقارَعَتِهمْ ومجاهدَتِهمْ؟

فَعَلامَ تريدونَ أَنْ تكونوا نَشازًا عَنِ الأنبياءِ وتابعيهمْ مِنْ علماءِ الأمَّةِ العامِلينَ، ليسَ لكمْ طواغيتُ تجاهدونَهمْ وتُبْتَلَوْنَ بِهِمْ عِلْمًا بأَنَّ الأرضَ تَعُجُّ بآلافِ الطَّواغيتِ

الَّتي تُعْبَدُ – جِهارًا نهارًا – مِنْ دونِ اللهِ تعالى وأنتمْ تعلمونَ ذلكَ وتُجادلونَ فيهِ بغَيْرِ برهانٍ مِنَ اللهِ إلاَّ تأويلَكمُ الفاسدَ وتبديلَكمْ لمعاني المُنَزَّلِ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟

تقولونَ

هُمْ أولوا أمرِكمْ، وتقولونَ كفرًا دونَ كفرٍ، وتقولونَ الدستورَ ينُصُّ

على أَنَّ الإسلامَ هُوَ دينُ الدَّولةِ، وتقولونَ... وتقولونَ... بُهتانًا

وزورًا، ساءَ ما تحكمونَ، ستُكْتَبُ شهادَتُكمْ وتُسألونَ.

فَرَرْتُمْ مِنَ الفِتنةِ بزعمِكمْ، ولَكِنَّكمْ قَدْ وقعتمْ فيها ودخلتموها مِنْ أوسعِ أبوابِها وأنتمْ تدرونَ أَوْ لا تدرونَ.

{وَمِنْهُمْ مَن يَّقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا} [التوبة: ٤٩].

أنواعُ الطواغيتِ التي يجبُ الكفرُ بِها بالصِّفَةِ الَّتي بَيَّنَّا:

والطَّواغيتُ كثيرةٌ وعلى رأسِها في هذا الزَّمانِ: المُشَرِّعُ مِنْ دونِ اللهِ والحاكِمُ بغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ والعلماءُ الَّذينَ يُحَلِّلونَ ويُحرِّمونَ بغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ اللهِ.

أوَّلاً: المُشَرِّعُ مِنْ دُونِ اللهِ.

يختَلِفُ المُشرِّعُ عَنِ الحاكِمِ المُنَفِّذِ، وهذا ما يُسمُّونَهُ في هذهِ الأيَّامِ بالسُّلطَةِ التَّشريعيَّةِ الَّتي تُلْزِمُ السُّلطةَ التَّنفيذيَّةَ – وهُمُ الحكَّامُ – بتنفيذِ مايَصْدُرُ عنها مِنْ أحكامٍ وتقريراتٍ وتشريعاتٍ.

وقَدْ يكونُ المُشرِّعُ مِنْ دونِ اللهِ شخصًا أَوْ هيئةً أَوْ جماعةً أَوْ حِزبًا أَوْ مَجْلِسًا يضُمُّ مُشرِّعينَ أَوْ أحبارًا ورهبانًا ومشايخَ يكتسونَ بالطَّابِعِ الدِّينيّ...وغَيْرَذلكَ.وعلى العُمومِ فإنَّنا نقولُ: كُلُّ مَنْ جَعَلَ خاصِّيَّةَ التَّشريعِ: التَّحليلِ والتَّحريمِ والتَّحسينِ والتَّقبيحِ لنفسِهِ مِنْ دونِ اللهِ، وأَخَذَ يُشرِّعُ للعِبادِ ما يهواهُ ويراهُ، فهُوَ طاغوتٌ وقَدْ جَعَلَ مِنْ نفسِهِ نِدًّا للهِ تعالى، يَجِبُ تكفيرُهُ والكُفْرُ بِهِ.

وقولُهُ تعالى: {يُرِيدُونَ أَن يَّتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَّكْفُرُوا بِهِ}

يَطالُهُ ويَشمَلُهُ كطاغوتٍ يُعبَدُ مِنْ جِهةِ التَّحاكُمِ إلى ما يُشَرِّعُ، ومِنْ جِهَةِ طاعتِهِ والإقرارِ لَهُ بخاصِّيَّةِ التَّشريعِ الَّتي تُعتبرُ مِنْ خصوصيَّاتِ اللهِ وحدَهُ، كما قالَ تعالى: {وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: ٢٦].

فأيُّما مخلوقٍ يعتَرِفُ لَهُ بهذا الحقِّ، ويتحاكَمُ إلى ما يَصْدُرُ عَنْهُ مِنْ أحكامٍ وتشريعاتٍ، فقَدْ أقَرَّ لَهُ بالإلهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ، واتَّخذَهُ معبودًا ونِدًّا للهِ تعالى في أخصِّ خصائصِهِ، وإنْ صَلَّى وصامَ وزَعَمَ أَنَّهُ مِنَ المسلمينَ.

ثانيًا: الحاكِمُ بغَيْرِ ما أَنْزَلَ الله

والحاكِمُ بغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ هُوَ رأسُ الطُّغيانِ والجُورِ، لمُجاوَزَتِهِ حُكْمَ اللهِ تعالى وإعراضِهِ عَنْهُ واستبدالِهِ بِحُكْمِ وشرائعِ الجاهليَّةِ الأخرى،

الَّتي وَضعَها المُشرِّعونَ مِنَ البشرِ أمثالِ جِنْكيز خان والمُشرِّعونَ

للقوانينِ الوضعيَّةِ في هذا الزَّمانِ وفي كُلِّ زمانٍ ومكانٍ.

قالَ تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: ٤٤].

وقالَ تعالى: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [المائدة: ٤٥].

وقالَ تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

وكُلُّ حُكْمٍ غَيْرِ حُكْمِ اللهِ فهُوَ حُكْمُ الجاهليَّةِ، والآيةُ تشمَلُهُ وتطالُهُ، وكُلُّ مَنْ يبغي حُكْمًا غَيْرَ حُكْمِ اللهِ فهُوَ مِمَّنْ يبغي حُكْمَ الجاهليَّةِ.

ومِمَّنْ ينالُهمْ مُسمَّى

الطَّاغوتِ وصِفَتُهُ ويَقَعُ عليهمُ اسمُ الكفرِ والظُّلْمِ والفِسْقِ الوارِدِ في الآياتِ لعَدَمِ حكمِهِمْ بما أنزَلَ اللهُ: المُشرِّعونَ الَّذينَ وضعوا هذهِ القوانينَ ومَنْ سَوَّغَ لهمْ وَضْعَهَا وأَفسَحَ لهمُ المجالَ لذلكَ، واعتَقَدَ أحقيَّتَهمْ في وَضْعِ نُظُمٍ وقوانينَ تقومُ عليها حياةُ البشرِ.

ومِمَّنْ ينالُهمْ مُسمَّى الطَّاغوتِ

أيضًا قُضاةُ المحاكِمِ الوضعيَّةِ، والمحامونَ العامِلونَ فيها الَّذينَ يحكمونَ في النَّاسِ بشرائعِ الطَّاغوتِ، ونَحْوُهمْ مشايخُ العشائِروالقبائِلِ الَّذينَ يحكمونَ بالعاداتِ السَّائدةِ وبالأعرافِ والأهواءِ وسَواليفِهِمُ الباطلةِ، ويقدِّمونَها على شَرْعِ اللهِ تعالى.

باب السابع عشر

وجوب لزوم الجماعة، وذمُّ الفرقة

فالعزّ والتمكين بالدعوة و الجهاد لا غير! وإلا كان الأمر هزلًا ولعبًا لا يليق بأمّة التمكين! فأمّة بغير الدعوة والجهاد .. سفينةٌ تجري على يَبس! ولا يتحقق هذه الغاية بدون الانضمام إلى جماعة المسلمين.

وردت في القرآن العظيم، آيات تأمر المؤمنين، وتحثهم على لزوم الجماعة، والثبات على وحدة الكلمة بين المسلمين. وتُبين لهم أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، وإن إجتماع المسلمين على الحق و لزوم الجماعة من الأمور الرئيسية التى دعت إليها الشريعة الإسلامية، ومما يدل على ذلك وصف أهل السنة بإسم (أهل السنة والجماعة)، وقد أكّد القرآن الكريم في أكثر من موضع على هذه الحقيقة، كما وردت أحاديث نبوية كثيرة تحث على لزوم الجماعة، و الله تعالى جعل ثواباً كبيراً لمن انضم بجماعة المسلمين، وفي نفس الوقت نبذ الفرقة وجعلها الضلمات وله عقاباً عسيراً.

دلائل من القرآن الكريم على لزوم الجماعة وذم الفرقة :

١- قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا، وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا. قال: الجماعة. فالمقصود بحبل الله أى القرآن والعقيدة الصحيحة، وهذه الآية تدعونا أن نتمسك بالإسلام الصحيح، وقد ختمها الله تعالى بالنهي (وَلاَ تَفَرَّقُواْ) ليؤكد على ضرورة وجوب لزوم الجماعة المسلمين.

٢- وقال الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

٣- وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

٤- وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩].

دلائل من السنة النبوية على لزوم الجماعة وذم الفرقة :

١- عن أنس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، رواه البخاري ومسلم. في هذا الحديث تأكيد من نبينا على أهمية التآخي بين الناس وأنه شرط مهم للإيمان الصحيح المتكامل.

٢- ورد في صحيح مسلم قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة، فقُتل؛ فقتله جاهلية، ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده؛ فليس مني ولستُ منه) ففي هذا الحديث ذم ونهي عن التفرق.

٣- جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: (من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) فالرسول يبين لنا في هذا الحديث أن الإجتماع على الحب في الله وكذلك البغض فيه والمؤاخاة من أجله هو ما سيجعل قلب المسلم عامراً بالإيمان.

٤- خطب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه بالشام فقال:(قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقامي فيكم. فقال: استوصوا بأصحابي خيراً، ثم الذين يلونهم, ثم الذين لونهم, ثم يفشوا الكذب حتى يعجل الرجل بالشهادة قبل أن يسألها, وباليمين قبل أن يسألها, فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة, فإن الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد، فمن سرته حسنته, وساءته سيئته فهو مؤمن) . وفي هذا الحديث أمر صريح بلزوم الجماعة كما أنه يبين أن الفرقة من الشيطان .

٥- عن النعمان بن بشير -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). فالرسول شبّه الأمة الإسلامية بالجسد الذي إذا مرض عضو منه فإنه يؤثر على الجسد بأكمله وفي هذا دليل على أن وحدة المسلمين وقوتهم وتعاطفهم مع بعضهم أمر ضروري، لأن الفرقة والإهمال بينهم سيؤدي إلى هلاكهم.

والجماعة وهم الذين يعملون ويحكمون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي، ويحذرون من البدع في الأقوال والأعمال والاعتقادات والنيات، قال عليه الصلاة والسلام: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قلنا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي)، وفي لفظ: (وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة).\وروي هذا الحديث بألفاظ متعددة،

وفيه أنه يجب لزوم الجماعة، وهي الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة وهم أهل الحق، قال عليه الصلاة والسلام: (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى).

فإذاً من السنة لزوم الجماعة ولزوم الجماعة هو العمل بالسنة، والعمل بما كان يعمل به جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وهم أهل الحق، ولزوم طريقتهم في الاعتقادات وفي الأعمال وفي الأقوال، الذين يحكمون بما أنزل الله ويمتثلون الأوامر ويجتنبون النواهي، ولهذا فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً لأنه خرج عن الصراط المستقيم الذي كان عليه الرسول و الصحابة والتابعون، فمن رغب عن الجماعة خالفهم في الاعتقاد وخالفهم في الأعمال، ومن خالفهم فقد خرج من الإسلام وكان ضالاً مضلاً. والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ورحمهم الله أجمعين وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار.

وأن الدين إنما جاء من قبل الله تبارك وتعالى، لم يوضع على أقوال الرجال وآرائهم، فلا تتبع شيئاً بهواك ولا تتبع فرق الضالة فتمرق من الدين فتخرج من الإسلام، فإنه لا حجة لك، فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته السنة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السواد الأعظم.

الجماعة في الإسلام -التي أمر الله تبارك وتعالى بها- لها معنيان مهما كثرت الأحاديث {عليكم بالجماعة}... أو {فالزم جماعة المسلمين وإمامهم}.

المعنى الأول:

الاجتماع على الحق ولزوم السنة، فإذا خرج أي إنسان عن السنة فقد خرج عن الجماعة، ومن الأدلة عليه قوله صلى الله عليه وسلم: {لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثّيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة}. المفارق للجماعة: فارق جماعة المسلمين، أي فارق الحق وفارق الإجماع وخرج من الدين.

والمعنى الثاني:

لزوم الجماعة:

هو اجتماع المسلمين على طاعة إمام حق، ونقيضها الخروج على الإمام الحق الذي اجتمعت عليه الأمة. والصحيح هو الجمع بينهم.

وقال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره: قوله: (وَلا تَفَرَّقُوا) أَمَرَهُم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديثُ المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله

عليه وسلم-: "إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وأنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلاهُ اللهُ أمْرَكُمْ.. وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ" (رواه مسلم).

والجماعة هم المجتمعون على الحق، وإن كانوا قليلاً، وكان المخالف لهم كثيراً؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، والجماعة، هي: حبل الله، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (أيها الناس، عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة، خير مما تحبون في الفرقة). وأساس الجماعة وأصلها، هو: الاعتصام بحبل الله تعالى، كما قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ }

إن أعظم نعمة منَّ الله بها على عباده، نعمة الإسلام الحق، قال تعالى:{هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ}.. وقال سبحانه: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ}.. وقال:{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ}.

لقد اشتمل هذا الدين على مقاصد عظيمة، وغايات نبيلة، تهدف إلى حفظ الدين والنفس والعرض والمال وتحقيق المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، وتسعى إلى نشر الاسلام بين الأفراد والمجتمعات، وقد أكد الإسلام لزوم الجماعة والبيعة الشرعية والسمع والطاعة لولاة أمر المسلمين بالمعروف، والاعتصام بحبل الله جميعاً، ونبذ التفرق والاختلاف والانقسام.

و من أُصول العقيدة الصحيحة السمع والطاعة لولاة أمر المسلمين في غير معصية الله، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩]، وأولو الأمر هم الأمراء على الصحيح من أقوال أهل العلم

ومن المتيقن أن المسلمين لن تقوم لهم الدولة الإسلامية والتمكين إلا إذا اجتمعوا على ما اجتمع عليه الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه، الذين فتحوا البلاد بعدل الإسلام وعزته، وفتحوا القلوب لعبادة الله وحده لا شريك له.

وقال – صلواتُ الله وسلامُه عليه – في الحديث الآخر: «مَن أرادَ بحبُوحةَ الجنَّة فليلزَم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحِد، وهو مِن الاثنَين أبعَد» (رواه الترمذي).

نهي عن التفرق وقوله سبحانه وتعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ [الأنعام:١٥٩]، وقوله سبحانه: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ [آل عمران:١٠٦]، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: (تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف)، والواجب على أهل الإسلام أينما كانوا أن يجتمعوا على الحق، وأن يلزموه، وأن يتواصوا به، وأن يتعاونوا على تحقيق الجماعة على طاعة الله ورسوله، وطاعة أمير المؤمنين، وأن

يحذروا أسباب الفرقة والاختلاف من الشحناء والعداوة والتهمة من بعضهم لبعض.
وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ..)) رواه مسلم (١٨٤٨).
وعن عرفجة بن شريح الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((إنه ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)) رواه مسلم (١٨٥٢).
- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس والثيب الزاني والمارق من الدين التارك للجماعة))رواه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦).
فقد قال المُصطفى -صلى الله عليه وسلم-: «مَن أتاكُم وأمرُكم جميعٌ يُريدُ أن يُفرّقَ جماعتَكم فاقتُلُوه» (رواه مسلم).
وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، فَمَاتَ؛ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه مسلم.
- وهذه الأحاديث وغيرها مما وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم كلها تؤكد على وجوب لزوم الجماعة والتحذير من التفرق ولو تمسك بها المسلمون وحققوها لكانوا على الخير الذي مضى عليه السلف الكرام من الصحابة ومن تبعهم بإحسان ولعاد للمسلمين سؤددهم وكرامتهم التي فقدت في عصرنا الحاضر بسبب التفرق وعدم الإذعان لتعاليم الشريعة السمحاء ومع ذلك لا يزال الخير إن شاء الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن تقوم الساعة ما داموا متمسكين بالحق قولاً وعملاً والله تعالى يقول : إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ [الرعد:١١]

وجوبِ نَصْبِ الإمامِ

فلا يخفى أنَّ إمامة المسلمين أمانةٌ عُظْمَى ومسؤوليَّةٌ كُبْرَى، لا قِيامَ للدِّين إلَّا بها، ولا تَنْتظِمُ مَصالِحُ الأمَّةِ إلَّا بسلطانٍ موحد مُطاعٍ، ولا يَسْتطيعُ القيامَ بها إلَّا مَنْ كان على درجةٍ مِنَ التأهُّلِ تُمكِّنُه مِنْ حَمْلِها؛ فمَنْ قام بهذه المسؤوليَّةِ .في حدود القدرة والطاقة .على خيرِ وجهٍ، وأدَّى هذه الأمانةَ بصدقٍ وإخلاصٍ؛ كان في عِدادِ مَنْ يُظِلُّهم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه.
ولا تَتحقَّقُ مُتَطَلَّباتُ الرَّعيَّةِ وما تَنْشُدُهُ مِنْ حِفْظِ الدِّينِ وإقامةِ العدل وإزالةِ الظلم إلَّا تَبَعًا لتحقيقِ ذاك المَطْلَبِ العزيز، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج]، وصلاحُ الرعيَّةِ وفسادُها مُتوقِّفٌ على أولي الأمر، قال ابنُ تيمية .رحمه الله : «وأولو الأمرِ: أصحابُ الأمرِ وذَوُوهُ؛ وهُمُ الذين يأمرون الناسَ؛ وذلك يَشْتَرِكُ فيه أهلُ اليد والقدرةِ وأهلُ العلمِ والكلام؛ فلهذا كان أولو الأمرِ صنفين: العُلَماءَ والأُمَراءَ؛ فإذا صَلَحوا صَلَحَ الناسُ، وإذا فَسَدُوا فَسَدَ الناسُ»(مجموع الفتاوى).

و المقصود مِنْ نَصْبِ الإمام الأَعْظَمِ هو اجتماعُ الكلمةِ ولَمُّ الشمل، وإقامةُ الدِّينِ وتنفيذُ أحكام الله تعالى، ورَفْعُ الظلمِ ونَشْرُ العدل، وصيانةُ الأعراضِ واستتبابُ الأمن، وفضُّ المُنازَعات، والأخذُ على يَدِ الظَّالم وإنصافُ المظلوم، وجهادُ أعداءِ الإسلام، وحمايةُ المسلمين، وقَمْعُ الشَّرِّ والفساد، وأَخْذُ الحقوقِ الواجبةِ على ما اقتضاهُ الشرعُ، ووَضْعُها في مَواضِعِها الشرعية، ونَصْبَ الإمامِ واجبٌ قد عُرِفَ وجوبُه في الشرع بإجماعِ الصحابة والتابعين؛ لأنَّ أصحابَ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند وفاتِه بادَرُوا إلى بَيْعةِ أبي بكرٍ رضي الله عنه وتسليمِ النظرِ إليه في أمورهم، وكذا في كُلِّ عصرٍ مِنْ بعدِ ذلك، ولم تُتْرَكِ الناسُ فَوْضَى في عصرٍ مِنَ الأعصار، واستقرَّ ذلك إجماعًا دالًّا على وجوبِ نَصْبِ الإمام»

وجوب السمع والطاعة قال الله عز وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا [النساء:٥٩]، وقال تعالى: وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ [الشورى:١٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ: من خلع يدًا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات، وليس في عنقه بيعة، مات مِيتة جاهلية والبيعة اصطلاحا: هي إعطاء العهد من المبايع على السمع والطاعة للإمام في غير معصية، في المنشط والمكره والعسر واليسر وعدم منازعته الأمر وتفويض الأمور إليه.

الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة

فإنَّ الخِلافةَ الإسلاميَّة وجمْعَ الأمَّة تحت سُلطان واحد يَحكمُهم بشِرعة الله على منهاج النُّبوَّة، مطلبٌ عزيزٌ يرنو إليه كلُّ مسلِمٍ في هذه الحياة، وهو من أعظمِ مقاصدِ الإسلام، وأسْمى صُورِ الوحدةِ والاعتصام التي أمَر الله ورسوله بهما؛ قال الله تعالى: {وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ} [المؤمنون:٥١]، وقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:١٠٣]

الخلافة الإسلامية هي نظام الحكم في الشريعة الإسلامية الذي يقوم على استخلاف قائد مسلم على الدولة الإسلامية ليحكمها بالشريعة الإسلامية. وسميت بالخلافة لأن الخليفة هو قائدهم وهو من يخلف محمد رسول الله في الإسلام لتولي قيادة المسلمين والدولة الإسلامية وعليه فإن غاية الخلافة هي تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها، وحمل رسالته إلى العالم بالدعوة والجهاد.

قال الله عز وجل (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى) وعن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرة خمس سنين فسمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء فتكثر، قالوا ما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم» [رواه مسلم والبخاري وابن حنبل وابن ماجه].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصا الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني». [رواه البخاري

وقال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى في مجموع الفتاوى: "يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»

فإنَّ الخِلافةَ الإسلاميَّة وجمْعَ الأمَّة تحت سُلطان واحد يَحكمُهم بشِرعة الله على منهاج النُّبوَّة، مطلبٌ عزيزٌ يرنو إليه كلُّ مسلِمٍ في هذه الحياة، وهو من أعظمِ مقاصدِ الإسلام، وأسْمى صُورِ الوحدةِ والاعتصام التي أمَر الله ورسوله بهما، قال الله تعالى: {وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ} [المؤمنون:٥١]، وقال: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران:١٠٣]، وقال صلَّى الله عليه وسلَّم: « إنَّ اللهَ يرضَى لكم ثلاثا ويكرهُ لكُم ثلاثًا، فيرضَى لكُم أن تعبدوهُ ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصِموا بحبلِ اللهِ جميعًا ولا تفرَّقوا» (رواه مسلم [١٧١٥])، وقد أجمع العلماءُ على وجوب تنصيب إمامٍ واحد للمسلمين، نقل الإجماع على ذلك والإمامةُ موضوعةٌ لخِلافة النبوَّة في حراسة الدِّين وسياسة الدنيا، وعَقْدُها لِمَن يقوم بها في الأمَّة واجبٌ بالإجماع. فعلى هذا يكون مقصدُ الخلافة والإمامة إقامةَ المصالحِ الدِّينية والدُّنيويَّة، وتحقيقُ هذا المقصد يُمكن أن يُقيمه حاكمٌ مسلِم في قُطر من أقطار المسلمين وليس ثمَّةَ خلافة، وله السَّمع والطاعة حينئذ على مَن كان تحت إمرته، أو داخلًا تحت حُكم ولايته، وإنْ لم تكن إمامته إمامةً عُظمى؛ يقول العلَّامة الشوكانيُّ في (السيل الجرار [٥١٢/٤]): "وأمَّا بعدَ انتشار الإسلام، واتِّساع رُقعته، وتباعُد أطرافه، فمعلومٌ أنَّه قد صار في كلِّ قطر أو أقطار الولاية إلى إمامٍ أو سلطان، وفي القُطر الآخَر أو الأقطار كذلك، ولا ينفُذ لبعضهم أمرٌ ولا نهيٌ في قُطر الآخَر وأقطاره التي رجعتْ إلى ولايته؛ فلا بأس بتعدُّد الأئمَّة والسَّلاطين، ويجب الطاعةُ لكلِّ واحد منهم بعدَ البَيعة له على أهل القُطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القُطر الآخَر"،

باب السادس عشر

القضاء في الإسلام

تعريف القضاء: "هو الفصل بين الناس في الخصومات حسمًا للتداعي وقطعًا للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة"

مشروعية القضاء:

القضاء من عمل الرسل - عليهم الصلاة والسلام - يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩] وقوله : ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

ورسول الإسلام محمد - صلى الله عليه وسلم - صاحب الرسالة الخاتمة والدائمة كما كان مأمورا بالدعوة والتبليغ كان مأمورا بالحكم والفصل في الخصومات.

وقد ورد في القرآن الكريم في غير ما أية ما يشير إلى ذلك، منها قوله تعالى: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨] وقوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وأما السنة المطهرة: فتدل لمشروعية القضاء أحاديث كثيرة منها ما رواه عمرو بن العاص -رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال:(إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) وقوله - صلى الله عليه وسلم -: (لا حسد إلا في اثنين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها).

وإجماع العلماء على مشروعية القضاء قال ابن قدامة: (وأجمع المسلمون على مشروعية نصب القضاء، والحكم بين الناس).

شرع الإسلام القضاء؛ لأنه وسيلة لتحقيق العدل والعدالة، ورد الحقوق إلي أصحابها، فينتشر الأمان بين الناس، وتصان دماؤهم وأموالهم وأعراضهم، ولقطع الخصومات، وأداء الحقوق إلى مستحقيها، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وللضرب على أيدي العابثين وأهل الفساد، كي يسود النظام في المجتمع، ويتفرغ الناس لما يصلح دينهم، والقضاء لا يكون في حقوق الناس فقط، بل يكون كذلك في حقوق الله تعالى.

ولأهمية القضاء وجب علي الحاكم تعيين قضاة له في كل أنحاء البلاد التي يحكمها. ونصوص الشريعة وقواعدها العامة تمنع الحاكم أو غيره من التدخل في القضاء أو التأثير في أدائه

بأي وجه من الوجوه. قال تعالى :وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى. (المائدة: ٨). وقال تعالى : وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (النساء: ٥٨).

وأن الامام لا ينقض حكم القاضي إلا إذا خالف الشرع. وأنه لا يجوز للإمام في الدولة الاسلامية عزل القاضي دون سبب مبيح لذلك.

أهمية القضاء

يُعتبر القضاء أحد أهم الوظائف التابعة للخلافة الإسلاميّة، وهو أعلى المراتب الإسلاميّة؛ وذلك لأنَّ مهمته الفصل بين خصومات الناس، وفقاً للأحكام الشرعيّة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبويّة، حيث إنَّ الاعتماد على الكتاب والسنة في أمر القضاء يضمن الحكم الدقيق، وعدم اتباع الهوى، ووحدة الحكم في جميع أنحاء الدولة الإسلاميّة، واستمراريتها طيلة العصور، وقد بيّنت السنة النبويّة ضرورة تحكيم شرع الله في أمور متعددة، ولا فرق في ذلك بين صغير أو كبير، أو أمير ومأمور؛ ولذلك فالإسلام ربّى القضاة على ضرورة مراقبة الله تعالى في جلّ الأفعال والأقوال. وحذّر الإسلام القضاة من الابتعاد عن الحق، او الصواب،

مكانة القضاء في الإسلام:

.القضاء لإقامة العدل الذي هو من أعظم مقاصد الدين: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: ٢٥]، {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ} [النحل: من الآية ٩٠].

.الحاكم مسؤول عن إقامة القضاء بنفسه أو غيره: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة: ٤٩].

أول من تولى القضاء هو رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، إرسل النبي صلى الله عليه وسلم القضاة إلى الأمصار: "علي بن أبي طالب - معاذ بن جبل إلى اليمن . عتاب بن أسيد إلى مكة".

حاجة الناس إلى الشريعة الإسلامية: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الزمر: ٢٣].

خطورة منصب القضاء:

. القضاء مسؤولية عظيمة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وَلِيَ الْقَضَاءَ فَقَدْ ذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني]. وقال أيضًا: (من طلب قضاء المسلمين حتى يناله، ثم غلب عدله جوره، فله الجنة، ومن غلب جوره عدله فله النار) [أبو داود]. وعن عبد الله بن أبي أوفي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله مع القاضي مالم يجر (يظلم)، فإذا جار؛ تخلَّى عنه، ولزمه الشيطان [الترمذي وابن ماجة . اختيار القضاة على معايير الشرع: قال ابن عباس رضي الله عنهما: "من تولى من أمر المسلمين شيئًا فاستعمل عليهم رجلاً وهو يعلم أن فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنة رسول الله، فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّا وَاللهِ لا نُوَلِّي عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلا أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ» [متفق عليه]، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنِ ابْتَغَى الْقَضَاءَ وَسَأَلَ وُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أُكْرِهَ عَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَلَكًا يُسَدِّدُهُ» [رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه]. ورع السلف عن تولي القضاء خشية التقصير: ذكر أبو عمر بن يوسف في كتاب "الولاة وكتاب القضاة" أن: "يزيد بن حاتم أراد أن يولي حيوة بن شريح القضاء فامتنع فدعا له بالسيف، فلما رأي ذلك أخرج مفتاحًا كان معه وقال: هذا مفتاح بيتي ولقد اشتقت إلى لقاء ربي، فلما رأى الأمير عزيمته تركه".

أنواع القضاة:

. أنواع القضاة (عادل . جائر . جاهل): قال النبي صلى الله عليه وسلم: «القُضَاةُ ثَلاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ: رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِكَ فِي الجَنَّةِ» [رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني].

. القاضي العادل مؤيد من الله: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ القَاضِي مَا لَمْ يَجُرْ، فَإِذَا جَارَ تَخَلَّى عَنْهُ وَلَزِمَهُ الشَّيْطَانُ» [رواه الترمذي) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(لاحسد إلا في اثنتين؛ رجل آتاه الله مالا فسلطه علي هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)[متفق عليه]

. القاضي الجائر أظلم الناس: قال النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلا تَظَالَمُوا»... [رواه مسلم]. فكيف بظلم القاضي المسلط على الدماء والأموال والأعراض؟!. القاضي الجاهل مهلك لنفسه ولغيره: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل كان يقضي بين الناس: "هل تعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، قال: هل أشرفت على مراد الله في أمثال القرآن؟ قال: لا، قال: إذن هلكتَ وأهلكتْ".

شروط واجبة في القاضي:

لما كان القضاء من أهم الوظائف وأخطرها، كان لابد من شروط يتأهل بها القاضي لذلك، ومنها:

. الإسلام: وذلك لأن القضاء ولاية ولا تجوز ولاية الكافر على المسلم، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ١٤١] ثم إن القاضي يطبق أحكام الشريعة الإسلامية وهي دين، وتطبيق الدين يحتاج إلى إيمان به من قبل من يطبقه وخوف من الله يمنعه من الحيدة عن التطبيق السليم لأحكامه، ولا يتأتى ذلك من غير مسلم الموحد الذي لا يؤمن بهذا الدين بل حمله كفره بالإسلام على تعمد مخالفة أحكامه أو العبث بها.

. العدالة: أن يكون تقيًا عدلا: فلا يتولي القضاء الفاسق، وإلا ضاعت حقوق الناس. {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤]، والمقصود بها أن يكون القاضي قائما بالفرائض والأركان، صادق اللهجة، ظاهر الأمانة عفيفا عند المحارم، متوقيا المآثم بعيداً عن الريب، مستعملا لمروءة مثله في دينه ودنياه. ونهى عن القضاء وهو على صورة تؤثّر على عدالته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ» [متفق عليه].

. الذكورة: ذهب جمهور أهل العلم إلى عدم جواز تولي المرأة الولايات العامة كالوزارة والقضاء ونحوهما؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً» [رواه البخاري]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه الرقيق العواطف لما سأله أن يستعمله: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» [رواه مسلم].

فلا يجوز تولية المرأة القضاء وإذا وليت يأثم المولىّ وتكون ولايتها باطلة وقضاؤها غير نافذ ولو فيما تقبل فيه شهادتها، ولهذا لم ينقل عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من خلفائه الراشدين من بعده أنهم ولوا امرأة قضاء ولا ولاية بلد، ولو جاز ذلكم لوقع ولو مرة واحدة ولم يخل منه جميع البلدان غالبا.

العلم: بأحكام الكتاب والسنة والإجماع واللغة ومواضع الاجتهاد.

الاجتهاد وأن يكون عالما بالأحكام الشرعية: يشترط في القاضي أن يكون مجتهداً مطابقا للكتاب والسنة.

اشترط الفقهاء في القاضي الاجتهاد وهذا الشرط يعني أنه في القضايا التي لا نص فيها ملزم بإتباع اجتهاده، ولا يجوز لأحد مهما كان أن يلزمه أن يحكم بغير اجتهاده، وإلا لما كان لهذا الشرط فائدة، هذا في القضايا التي لا نص على حكمها، ولكن إذا كانت القضية مما نص الشارع على حكمها فإن هذا يعني إتباعه لشرع الله تعالى فقط، ولا يجوز أن يتبع أحد غير شرع الله تعالى.

والاجتهاد هو الأهلية لاستنباط الأحكام من مصادر التشريع فالمجتهد هو من يعرف من القرآن والسنة ما يتعلق بالأحكام خاصة وعامة ومجملة ومبنية وناسخة ومنسوخة ومتواتر السنة وغيره، والمتصل والمرسل وحال الرواة قوة وضعفا ولسان العرب لغة ونحوا، وأقوال العلماء من الصحابة ومن بعدهم إجماعا.

أن يكون بالغًا عاقلا: فلا يصح أن يتولي القضاء طفل أو مجنون، فلا يجوز تقليد الصبي القضاء، وإذا قلد فلا يصح قضاؤه ولا ينفذ، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد أمر بالاستعاذة من أمارة الصبيان، فقد روي الأمام أحمد أنه - صلى الله عليه وسلم - قال:(تعوذوا بالله من رأس السبعين، ومن إمارة الصبيان) والتعوذ لا يكون إلا من شر، فيكون تقليد الصبيان فسادا في الأرض ومضارة، ولأنه لا ولاية للصبي على نفسه فلا تكون له ولاية على غيره بالقضاء ونحوه، ولا يشترط في القاضي أن يكون طاعنا في السن، بل المراد اجتماع الشروط المعتبرة في ولايته بعد بلوغه، ولو كان حديث السن. ولا يصح أن يتولي القضاء: المجنون أو المعتوه أو مختل النظر لكبر السن، أن يكون سليم الحواس: فيسمع ويري ويتكلم، فلا يجوز أن يتولي القضاء أصم أو أعمي أو أبكم. أن يكون أهلا للقضاء: بمعني أن يكون قويًا قادرًا علي تحمل هذه المسئولية الجسيمة. وطلب أبو ذر من النبي (أن يُأَمّره علي بعض البلاد، فقال له النبي (يا أبا ذر! إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدي الذي عليه فيها) [مسلم وأحمد].

سلطات القاضي:

وللقاضي سلطات يقوم بها، أهمها:

١- أن يفصل بين المتخاصمين في الدعاوى والقضايا بأحكام نافذة، أو بصلح يرضي الطرفين، وذلك إذا تعارضت البينات، أو خفيت الحجج والبراهين أو ضعفت.

٢- إعطاء الناس حقوقهم، ونصر المظلوم من الظالم، وقهر الظالمين.

٣- أن يقيم حدود الله، وأن يحكم في الدماء والجراحات.

٤- أن ينظر في أحكام النكاح والطلاق والنفقات، وما إلي ذلك، وهو ما يعرف بالأحكام الشخصية، أو أحكام الأسرة.

٥- أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويغيره، وينشر الخير في البلاد.

٦- أن يؤم الناس في الجمعة والأعياد نيابة عن الإمام.

مظاهر استقلال القضاء في الإسلام:

١ . القضاء في الإسلام يستند إلى شرع الله تعالى: وفي هذا يقول الله تعالى: يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ... أي احكم بين الناس بالعدل، ولا تتبع هوى نفسك فيضلك عن سبيل الله.

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى: إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً. وقوله تعالى: وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ. وإذا كان القضاء بهذا المعنى مستنداً إلى شرع الله تعالى، فإن هذا يعني أنه منزه عن هوى الأنفس، وتشهي الحكّام. يقول الطبري في تفسير قوله تعالى مخاطباً داود عليه السلام: وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ: ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه, فتجور عن الحق. وفسرها القرطبي بقوله: لا تقتدِ بهواك المخالف لأمر الله ، ومعلوم أنه أكثر ما يؤثر في القضاء هو هوى الحكّام وشهوتهم، فلا يستطيع مقاومتها إلا من رحم الله تعالى.

وفي التطبيق العملي الدال على ذلك في واقع المسلمين، ما جاء عن رسول الله حينما كلمه أسامة بن زيد رضي الله عنه في شأن المرأة المخزومية، حيث قال عليه الصلاة والسلام: وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

وفي هذا النص دلالة واضحة على أن القضاء في الإسلام لا يتأثر بالشفعاء، ولا بالمودة والقرابة، حيث ظهر في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّ شفاعة أسامة، من ناحية، ومن ناحية أخرى أعلن أن قرابته لفاطمة ابنته لن تمنعه من تنفيذ حكم الله عليها لو أنها فعلت ما يوجب ذلك.

بماذا يحكم القاضي؟ .

الأصل في الحكم والقضاء الحكم بالشريعة الإسلامية العادلة: {وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ} [المائدة: من الآية ٤٢]، وقال: {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} [النساء: من الآية ٥٨]، ثم بيَّن العدل فقال: {وَأَنِ احْكُمْ ب?يْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [المائدة: من الآية ٤٩].

. القضاء والحكم بغير الشريعة تحاكم إلى الطاغوت: وهو كفر اكبر {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا} [النساء: ٦٠].

. الخلط بين الشريعة وقوانين البشر مردود وإن استحسنه الناس وارتضوه: وهو كفر اكبر مخرج من ملة الاسلام

روى الإمام البخاري عن أبي هريرة وزيد بن خالد رضي الله عنهما أنهما قالا: "إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ إِلا قَضَيْتَ لِي بِكِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ الخَصْمُ الآخَرُ: وَهُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، نَعَمْ فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَأْذَنْ لِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ» قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا فَزَنَى بِامْرَأَتِهِ، وَإِنِّي أُخْبِرْتُ أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ، فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَوَلِيدَةٍ، فَسَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّمَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ، وَأَنَّ عَلَى امْرَأَةِ هَذَا الرَّجْمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ اللَّهِ، الوَلِيدَةُ وَالغَنَمُ رَدٌّ، وَعَلَى ابْنِكَ جَلْدُ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبُ عَامٍ، اغْدُ يَا أُنَيْسُ إِلَى امْرَأَةِ هَذَا، فَإِنِ اعْتَرَفَتْ فَارْجُمْهَا»، قَالَ: فَغَدَا عَلَيْهَا، فَاعْتَرَفَتْ، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُجِمَتْ" [متفق عليه].. تعمد تحريف أحكام الشريعة (كفر وظلم وفسق) الاكبر: روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "أُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ وَامْرَأَةٍ مِنَ اليَهُودِ قَدْ زَنَيَا، فَقَالَ لِلْيَهُودِ: «مَا تَصْنَعُونَ بِهِمَا؟» قَالُوا: نُسَخِّمُ وُجُوهَهُمَا وَنُخْزِيهِمَا، قَالَ: {فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فَجَاءُوا فَقَالُوا لِرَجُلٍ مِمَّنْ يَرْضَوْنَ: يَا أَعْوَرُ، اقْرَأْ فَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَوْضِعٍ مِنْهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ، قَالَ: «ارْفَعْ يَدَكَ» فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهِ آيَةُ الرَّجْمِ تَلُوحُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ عَلَيْهِمَا الرَّجْمَ، وَلَكِنَّا نُكَاتِمُهُ بَيْنَنَا، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا فَرَأَيْتُهُ يُجَانِئُ عَلَيْهَا الحِجَارَةَ. وفي رواية مسلم: فأنزل الله: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون}، {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون}، {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون}. فكيف بالتبديل؟! اعلم هداك الله هذا الكفر البواح والشرك البين.

نبذ أي مصدر آخر للتشريع غير الشريعة الإسلامية: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُون} [المائدة: ٥٠]، {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إليك} [المائدة: من الآية ٤٩].

آداب القضاء الإسلامي:

لقد جعل الإسلام للقضاء آداباً، وسنناً في غاية الكمال، والرفعة منها:

١: علي القاضي أن يسوي بين المتخاصمين في الدخول عليه وفي الجلوس أمامه، وفي استقباله لهما، وفي الاستماع إليهما، وفي الحكم عليهما. فلا يحترم أحدًا دون الآخر، ولا يُجلس أحدهم في مكان أفضل من الآخر، وألا يعطي لأحدهما حق التحدث أكثر مما يعطي للآخر، وأن يُبعد عواطفه تجاه أي منهما عند الفصل بينهما.

ان علي -رضي الله عنه- قال بعثني رسول الله (إلي اليمن قاضيًا، فقلتُ: يا رسول الله! ترسلني وأنا حديث السن، ولا علم لي بالقضاء؟ فقال: (إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، فإذا جلس بين

يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول، فإنه أحري أن يتبين لك القضاء) [أبو داود].

٢: علي القاضي أن يحكم بما أنزل الله تعالي، وسنة رسول الله (، قال تعالي :{وأن احكم بينهم بما أنزل الله}[المائدة: ٤٩].

وقال أيضا:{وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}[الحشر: ٧]. وليس للقاضي أن يحل الحرام أو يحرم الحلال، لكنه ينفذ الحق علي الممتنع عن أدائه، والذي جاءه الشرع، والمشار إليه في قول رسول الله (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام) [متفق عليه]. فإذا كان حكم القاضي مخالفًا للكتاب والسنة، لم يجز لأحد أن ينفذه، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ولا يحل للقاضي أن يقضي بما يغلب علي ظنه، قال تعالي:{وإن الظن لا يغني من الحق شيئًا}[النجم: ٢٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث) [متفق عليه].

٣: على القاضي ألا يقبل من أحد المتنازعين شيئًا حتى لا يعدَّ ذلك رشوة. وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما- قال: لعن رسول الله (الراشي والمرتشي). [أبو داود والترمذي وابن ماجة]. والراشي: هو معطي الرشوة. والمرتشي: آخذ الرشوة.

وليس للقاضي أن يقبل هدية ممن كان لا يهاديه قبل توليه القضاء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من استعملناه علي عمل ، فرزقناه رزقًا، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول) [أبو داود والحاكم].

وليس للقاضي أن يقبل هدية ممن كان لا يهاديه قبل توليه القضاء، لقول ه (من استعملناه علي عمل، فرزقناه رزقًا، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول) [أبو داود والحاكم].

٤: على القاضي أن يقضي بما اطمأنت به نفسه،فإن البر فيه. قال (البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب)[الدارمي وأحمد].

ولا يحل للقاضي كذلك أن يتباطأ في فصل القضاء، وإنفاذ الحكم لمن ظهر له الحق.

٥: وللقاضي أن يستعين بالوسائل العلمية التي تيسر له الوصول إلي الحقيقة، كتقرير المعمل الجنائي، أو الطبيب الشرعي أو غير ذلك، فقديمًا كان يحكم بالقافة (معرفة الأنساب من الأقدام) فقد روي أن مجزر المدلجي مر علي زيد بن حارثة وولده أسامة وقد غطيا بثوب ، فأخفيا رأسيهما وظهرت أقدامهما. وكان زيد بن حارثة أبيض البشرة، بينما كان ولده أسامة أسود، فقال مجزر: هذه أقدام بعضها من بعض، فسر رسول الله بما قال.

٦: وإذا كان القاضي يعلم الحقيقة، كأن كان قد شاهد الواقعة، أو سمع صاحبها يتحدث بها؛ وجب عليه أن يقضي بما يعلم.

فإن رفض الطرفان الصلح؛ لجأ إلي القضاء والحكم بينهما فيما اختلفا فيه.فعن كعب بن مالك: أنه تقاضي ابن أبي حدرد دينًا له عليه في عهد رسول الله (في المسجد،فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله (وهو في بيته، فخرج إليهما رسول الله (حتى كشف سجف (ستر) حجرته، ونادى: يا كعب بن مالك، يا كعب قال: لبيك يا رسول الله، فأشار بيده أن ضع الشطر من دينك. قال كعب: قد فعلت يا رسول الله. قال رسول الله لابن أبي حدرد: (قم فاقضه) [البخاري].

٧: ويصح للقاضي أن يقضي علي الغائب في الحقوق المدنية متي ثبتت الدعوي . فقد صح ذلك عن رسول الله (لهند بنت عتبة أن تأخذ من مال أبي سفيان بغير إذن، وهنا حكم على غائب.

٨: وحكم القاضي لا يحرم الحلال، ولا يحلل الحرام، فإن جاء المدعي ببينة كاذبة فاحتال بها على القاضي فحكم له من حق المدعي عليه، فإن هذا الشيء المحكوم له به لا يصبح حلالا، ولا يجوز له الانتفاع به فهو ليس من حقه، فعن أم سلمة -رضي الله عنها- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إنما أنا بشر، وإنكم تختصمون إلي، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي علي نحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئًا، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار) [رواه الجماعة]. ولو اكتشف القاضي كذب المدعي، عاد الأمر كما كان، ولابد من البينة علي المدعي أو اليمين علي من أنكر، إلا أن يأتيه المدعي عليه بالبينة.

٩: ويجوز للقاضي المسلم أن يحكم بالكتاب والسنة بين يهوديين أو نصرانيين- أو بين يهودي ونصراني (اهل الجزية). قال تعالي:{فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئًا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين}[المائدة: ٤٢]. ويشترط عليه أن يحكم بينهم بأحكام المسلمين.

١٠. عدم جواز القضاء، والحكم، والقاضي في حالة غضب، أو اضطراب، أو نعاس، حتّى لا تؤثر هذه الحالات النفسية على صحة الأحكام الصادرة عنه، فعن علي .عليه السلام ،. أنّه قال لرفاعة : (لا تقض وأنت غضبان، ولا من النوم سكران).

١١ : لا يجوز للقاضي أني يحكم في القضايا دون سماع قول المتداعيين، فعن رسول الله .صلى الله عليه وآله . أنّه : "نهى أن يتكلم القاضي قبل أن يسمع قول الخصمين، يعني يتكلم بالحكم"

١٢ : لا ينبغي للقاضي أن يقضي في بيته، فعن علي .عليه السلام .(أنّه بلغه أن شريحاً يقضي في بيته فقال : يا شريح، أجلس في المسجد، فإنه أعدل بين الناس، فأنه وهن بالقاضي أن يجلس في بيته) وهذا دليل على أن مكان القضاء مكان مقدس، وطاهر، وحيادي.

١٣ : لا يجوز أن ينزل أحد الخصمين ضيفاً على القاضي دون الخصم الآخر، فعن رسول الله .صلى الله عليه وآله . (أنّه نهى أن ينزل الخصم على قاض) ونزل رجل على علي . عليه السلام . بالكوفة

فأضافه، ثم جاءه في خصومة، فقال له : (أخصم أنت ؟ تحول عني، فإن رسول الله .صلى الله عليه وآله .نهى أن ينزل الخصم إلاّ ومعه خصمه)

وليس للقاضي أن يحكم لنفسه أو لمن لا يقبل شهادته لهم، كالولد والوالد والزوجة.

الحكم الغيابي واستئناف الدعوى، ومبدأ الكفالة والضمان:

لقد أعطى الإسلام للقضاء حق الحكم على المدعى عليه غيابياً، حتّى لا يقع غبن على المدعي، ولكن إذا عاد المدعى عليه (المحكوم غيابياً) فله الحق حينئذ أن يستأنف الدعوى من الأساس، بحيث يعطيه القضاء الإسلامي الحق في الدفاع عن نفسه حضورياً.

إذا كان الشخص غائبًا عن المجلس لكنه حاضر في البلد لا يجوز القضاء عليه، لأنه يمكن للقاضي أن يحضره.

واختلف العلماء في القضاء على الغائب على رأيين:

الرأي الأول: أنه لا يصح القضاء بشيء على الغائب، وهذا ما يراه أبو حنيفة، وابن الماجشون من المالكية، ونقل عن أحمد بن حنبل، وابن أبي ليلى، والثوري هذا الرأي أيضًا.

الرأي الثاني: يصح القضاء على الغائب في حقوق الآدميين، ولا يقضى

فإذا إذا صدر الحكم عليه، وهو غائب ودفع ماله إلى المدعي، فيجب حينئذٍ أن يأتي المدعي بكفلاء يضمنون المال، لأنه في حال عودة المدعى عليه يكون ماله مضموناً، وهذا هو (مبدأ الكفالة والضمان) في القضاء الإسلامي.

باب السابع عشر

استقلالية القضاء

ستقلال القاضي عن السلطة التنفيذية:

تمنع نصوص الشريعة وقواعدها العامة ولاة الأمور في الأمة من التدخل في القضاء أو التأثير في أدائه بأي وجه من الوجوه، لأن هذا محرم والنظام الإسلامي في الدولة الإسلامية يتقيد بصفة عامة في كل أصوله وفروعه ومظاهره بغاية عليا هي العدل القائم على التوحيد، والتوحيد ليس بالقول فحسب بل بالعمل الذي يصادقه هذا العمل، وهو تنفيذ ما أمر الله به، ومنع ما نهى الله عنه، وذلك على وجه التضامن بين الناس، ومن مقتضى ذلك أن تكون أوامره سبحانه وتعالى، ونواهيه معيارا للحق والعدل، فما أمر به هو الحق والعدل، وما نهى عنه هو الباطل والظلم ومنعه هو الحق والعدل.

وقد تواترت الآيات في وجوب الحكم بالعدل وتحريم الظلم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨] والشنآن هو البغض والشقاق. وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]

وفي الحديث القدسي : (قال الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا). تلك هي بعض نصوص الشريعة في شأن وجوب الحكم بالعدل وبما أنزل الله وهو خطاب عام للحاكم والمحكوم على السواء، فالحاكم والسلطان في الإسلام مقيد فيما يجريه بحكم الله، ولا طاعة له فيما جاوز ذلك. هكذا فهم وعمل السلف الصالح بأحكام الشريعة، فهم ولاة الأمور والحاكم هو الله تعالى، وأن الخليفة أو الإمام ليس إلا واحدا من المسلمين سواء بسواء، هم الذين يختارونه ويوسدونه الرئاسة ولهم مراقبته، وعليه مشاورتهم فإن حاد عن الشرع وأهدر مصالحهم عزلوه. و فهم ولاة الأمور في الدولة الإسلامية أن أساس الحكم في الإسلام هو العدل (الحكم بما أنزل الله) الذي قامت به السماوات والأرض.

القضاء والقوة التنفيذية :

لابد للأحكام الصادرة عن القضاء الإسلامي من قوة تنفيذية قادرة على تنفيذها، وتطبيقها، وإلا تفقد هيبتها، ولا معنى لها، فقد أكدت النصوص الفقهية على ضرورة تنفيذ أحكام القضاء الإسلامي، وأعطت الحق كلّ الحق للقاضي في أن يستخدم القوة لتنفيذ أحكام الاسلامية من قبيل إقامة الحدود، والقصاص، والتعزيرات، والحبس، والمصادرة، والبيع، وما شاكلها من الأحكام

للقضايا المختلفة : "إذا حكم الحاكم بثبوت دين على شخص، وامتنع المحكوم عليه عن الوفاء جاز للحاكم إجباره على الأداء..." و للقضاء قوة تنفيذية فاعلة لتنفيذ الأحكام الصادرة عن المحاكم الإسلاميّة، فبذلك يصبح القضاء الإسلامي قضاءاً فاعلاً، ومؤثراً، وعملياً.

انتهاء ولاية القاضي وأسبابها:

هناك طرق عديدة يفقد بها القاضي ولايته للقضاء ويخرج منها، وأهم هذه الطرق:

١/ عزل القاضي من قبل الإمام أو نائبه:

إذا وجد الإمام أفضل منه أو ظهر عجزه وعدم كفاءته، أو أقر بأنه حكم بجور متعمدا أو ثبت عليه ذلك بالبينة.

فقد عزل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- شرحبيل بن حسنة عن القضاء فقال له شرحبيل: أعن سخطة عزلتني ؟ قال: لا ولكن وجدت من هو مثلك في الصلاح وأقوى منك في العمل، فقال: يا أمير المؤمنين إن عزلك عيب فأخبر الناس بعذري، ففعل عمر ذلك.

٢/ فسق القاضي:

إذا ارتكب القاضي بعض الأفعال المفسقة كشرب الخمر أو غيره من الكبائر فإنه ينعزل لحظة فسقه ولا تعتبر أحكامه بعد تلك اللحظة.

قال ابن قدامة : (فأما إن تغيرت حال القاضي بفسق أو زوال عقل أو مرض يمنعه من القضاء أو اختل فيه بعض شروطه فإنه يعزل بذلك ويتعين على الإمام عزله وجها واحدا).

٣/ الردة:

لأن الإسلام شرط في صحة ولاية القاضي، وشرط في استمرارها، وعلى هذا فلو ارتد قاض عن الإسلام فإن ولايته للقضاء باطلة من تلك اللحظة التي ارتد فيها.

٤/ الجنون والسفه:

وبعبارة أدق فقدان أهلية التكليف فإذا فقد القاضي هذه الأهلية لم يعد صالحا للقضاء وبالتالي فإنه ينعزل.

٥/ فقدان السمع أو البصر أو النطق:

فقد ذهب الجمهور إلى أن القاضي إذا أصيب بالصمم أو العمى أو الخرس، فإنه يخرج من ولاية القضاء.

٦/ المرض المعجز:

فإذا أصيب القاضي بمرض أقعده عن الحركة والنهوض وأعجزه عن القيام بعمله، ولم يرج شفاؤه فإنه ينعزل.

٧/ انتهاء مدة ولايته واختصاصه:

فإذا عين الإمام رجلا على القضاء مدة سنة فإن ولايته للقضاء تنتهي بانتهاء السنة، وكذلك إذا كلفه الإمام بالنظر في قضية أو مجموعة قضايا محدودة فإنه بمجرد الفراغ من النظر في تلك القضايا تكون قد انتهت ولايته.

٨/ استقالة القاضي من القضاء:

إذا استقال القاضي من وظيفته وقبل الإمام استقالته، فإنه تنتهي ولايته بذلك.

من وجد في نفسه عجزًا عن تولي القضاء؟

فإذا وجد الإنسان في نفسه ضعفًا بحيث لا يستطيع تحمل مسئولية القضاء؛ ابتعد عنه، وتركه لمن وجد في نفسه القدرة علي القيام بالقضاء مع توفر شروط القاضي فيه، روي أن حياة بن شريح دعي إلي أن يتولي قضاء مصر، فرفض فهدد بالسيف، فأخرج مفتاحًا كان معه وقال هذا مفتاح بيتي، ولقد اشتقت إلي لقاء ربي. (أي أنني مستعد للموت ولكن لن أتولي القضاء).

الحاكم يولي القاضي إذا لم يتقدم للقضاء أحد: فإذا لم يتقدم أحد لتولي القضاء؛ عين الحاكم رجلا تتوفر فيه شروط القاضي؛لأن القضاء فرض كفاية، إن قام به البعض سقط عن الباقين، وإن لم يقم به أحد؛ أَثِم الجميع. ومن هنا كان للحاكم إن لم يتقدم أحد، يتولي القضاء أن يختار من يجد فيهم القدرة علي تحمل القضاء، إن رفضوا وأبوا، ولاهم القضاء رغمًا عنهم.

تنظيم عملية القضاء الغرض من هذه القواعد والأصول هو تنظيم عملية القضاء وجعلها معروفة للمتخاصمين، وعلى نحو من السهولة والوضوح، وتيسير التوصل إلى إظهار الحق وإثباته وإيصاله إلى صاحبه بطريق مأمون خال من الخطأ والعثار والتطويل، وبأقصر وقت ممكن. والقاضي في الدولة الإسلامية ينظر منازعات الناس وخصوماتهم إذا رفعوها إليه وفق قواعد وضوابط معينة يسمى أصول استماع الدعوى، كما أن الدعوى تثبت عند القاضي بوسائل معينة معتبرة شرعا تسمى وسائل الإثبات. ويأمر القاضي بدون طلب من أحد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وينضر في أمر الأوصياء الناظرين في أموال اليتامى والمجانين وتفرقة الوصية بين المساكين، فيقصدهم القاضي بالنظر فيبقي منهم القوي الأمين على وصيته، ويضم إليه من يعينه إن كان ضعيفا أو يعزله إن كان فاسقا.

الدعوى ونظام الفصل فيها

الدعوى في اللغة: الطلب، ومنه قوله تبارك وتعالى: {وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} ، وجمع الدعوى دعاوى.

وفي الشرع: إخبار عن ثبوت حق على غيره، عند حاكم، أو محكم، أو القاضي أو ذي قوة.

حكم الدعوى هو وجوب الجواب على الخصم وهو المدعى عليه بلا أو نعم، فإذا أقر بما يدعيه المدعي ثبت المدعى به، وإن أنكر قال القاضي للمدعي، ألك بينة؟ "شهود"، فإن قال: لا، قال القاضي -استحبابا: لك يمينه، ولو سكت المدعى عليه فإن سكوته يعد إنكارا للدعوى فتسمع البينة عليه، إلا إذا كان أخرس.

الدعوى إما أن تكون صحيحة أو فاسدة، فالصحيحة هي ما يتعلق بها أحكامها، من إحضار الخصم، والمطالبة بالجواب، ووجوب الجواب، واليمين إذا أنكر ولا برهان، والإثبات بالبينة، ولزوم إحضار المدعى به إن كان نقليا لا يتعسر نقله.

وأما الدعوى الفاسدة فهي بخلاف ذلك، وفسادها يكون بفقد أحد الشروط التي اشترطها العلماء لصحة الدعوى، وإليك بيانا لهذه الشروط.

الدعوى وشروط قبولها:

الدعوى هي القول الذي يصدر من المدعي أمام القاضي لإخباره بأن له حقا معينا في ذمة المدعى عليه، وأنه يطالبه به ويريد من القاضي الحكم له به على المدعى عليه. وهي التي توفرت فيها الشروط التالية:

١: أن يكون الدعوى شرعية.

٢: أن يكون كل من المدعي والمدعى عليه عاقلا.

٣: أن يكون الحق المدعى به معلوما، ويدخل تحت ولاية القضاء وتجري عليه الأحكام.

٤: ألا يكون المدعى به مستحيلا عقلا ولا عادة، فالأول كما لو ادعى أن فلانا ابنه وكان أكبر منه سنا، والتاني كما لو ادعى فقير مشهور بالفقر أنه أقرض شخصا أموالا طائلة.

٥: أن يترتب على ثبوتها حكم ملزم للمدعى عليه، فلو ادعي شخص أنه فقير وأن فلانا من سكان محلته غني ويطلب شيئا من ماله لمجرد غناه لم تسمع دعواه؛ لأنها لو ثبتت لم يترتب عليه إلزام الغني بإعطائه شيئا من ماله.

المحاكمة الإسلامية:

قبل أن يباشر القاضي المرافعة فيستمع دعوى المدعى وبينته، ودفوع المدعي عليه أو إقراره فإنه يقوم بإحضار المدعى عليه إذا لم يحضر من تلقاء نفسه فإذا حضر هو وخصمه مجلس القضاء لزم القاضي التسوية بينهما وأجلسهما أمامه بحيث يستطيع أن يسمع كلامهما ويستطيعون أن يسمعوا كلامه دون حاجة إلى رفع صوت.

والقاضي مأمور بالتسوية بين الخصمين فيما يقدر عليه من أمور التسوية ومعانيها ومظاهرها، فمن ذلك أن القاضي يسوى بينهما في النظر ولين الكلام والبشاشة، فلا يبتسم لأحدهما ويعبس في وجه الآخر، ولا يظهر الاهتمام و الإصغاء لأحدهما دون الآخر، ولا يكلم أحدهما بلغة لا يفهمها الآخر ما دام قادراً على الكلام بلغة يفهمها الخصمان كلاهما، ويفعل القاضي ذلك بين جميع المتخاصمين حتى أنه يجب عليه أن يسوى بين الأب وابنه والخليفة والرعية وبين الغني والفقير. ويمهد القاضي بأن يعظ الخصمين من الخصومة بالباطل، ثم يسأل القاضي المدعي عن دعواه ويأمر كاتبه بكتابتها ويرد الدعوى إن كانت فاسدة، فإن كانت صحيحة توجب للمدعى عليه بطلب الإجابة عن الدعوى ولا تخلوا إجابة المدعى عليه من ثلاثة أمور:

١- الإقرار فإن أقر كتب إقراره وآمر بأداء ما أقر به.

٢- الإنكار فإن أنكر طلب من المدعي البينة من شهود أو نحوهم فإن لم تكن له بينة أو كانت له بينت غير صحيحة عرضت عليه يمين المدعى عليه فإن حلفت ردت الدعوى وإن امتنع ثبتت عليه دعوى المدعي.

٣- الامتناع عن الجواب فإن امتنع المدعى عليه عن الجواب ثبتت الدعوى عليه. وإذا كان الأصل في المرافعة أن تكون علانية لا خفاء فيها ويحضرها من شاء، فإنه قد يرى القاضي المصلحة في جعلها سرية لا يحضرها أحد من الناس، بل وحتى أعوانه فتبقى مختصرة عليه وعلى أطراف الدعوى فقط، وذلك إذا كانت طبيعة الدعوى تتعلق بأمور لا ينبغي إظهارها كأن تكون في أمور شنيعة بين الرجال والنساء (أو تكون في أمور مضحكة لا يؤمن أن يؤدى سماعها إلى ما يكره).

شروط صحة الحكم في الدعوى

أن لا يسبق من المدعي ما يناقض دعواه: اشترط العلماء هذا الشرط؛ لأن يستحيل الجمع في الصدق بين سابق كلامه ولاحقه، كما لو ادعى شخص ملكية دار بعد إقراره أنه استأجرها؛ لأن استئجارها إقرار بالملك للمؤجر، فيكون بدعواه متناقضا، والتناقض يمنع صحة الدعوى. اما لو أقر بالرضاع، فقال عن امرأة معينة: هذه رضيعتي، ثم اعترف بالخطأ في إقراره، فله أن يتزوج بها بعد ذلك.

وسائل الإثبات:

إذا رفع المدعي دعواه فإن القاضي، بعد أن يطلب منه أن يبين دعواه، يسأل المدعى عليه المدعي، فإن أقر بما يثبت بإقراره الحق، الذي يدعيه المدعي صدر الحكم به.وإذا أنكر المدعى عليه ما يدعيه المدعي طلب القاضي من المدعي أن يقدم بينته التي يثبت بها ما يدعيه كالشهود العدول مثلا، فإن قدم البينة ثبتت الدعوى وصدر الحكم بها وإن عجز المدعي عن تقديم البينة عرض عليه القاضي حق تحليف خصمه اليمين، فإن طلب تحليفه وحلف المدعى عليه رد القاضي الدعوى، وإن نكل المدعى عليه عن اليمين على المدعى حكم به للمدعى وحلفه كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

وسائل الإثبات أو دلائل لإثبات:

أولا: الإقرار:

وهو الاعتراف بثبوت حق للغير على نفس المقر ولو في المستقبل. الإقرار سيد الأدلة كما يقولون، وحجيته ثابتة بالكتاب والسنة

ولا بد أن يكون الإقرار بلفظ دال على ثبوت الحق للغير على نفس المقر نحو أن يقول : لفلان عندي ألف دينار، ويقوم مقام اللفظ إشارة الأخرس المفهومة كما تقوم الكتابة أيضا مقام اللفظ. ويشترط في المقر أن يكون بالغا عاقلا مختاراً غير سكران. كما يشترط في المقر به ألا يكون مما لا يمكن عقلا ولا شرعا، كأن يقر بأنه ابن فلان وهو أكبر منه سنا أو يقر الابن بالتسوية بينه وبين أخته في الميراث، فالأول محال عقلا، والثاني مخالف لأصول الشرع في الميراث. كما يشترط أيضا إن كان المقر له أهلا للاستحقاق ألا يكذب المقر في إقراره.

وإذا توفرت في الإقرار الشروط المطلوبة لزم المقر ما أقر به من مال أو قصاص، ولا ينفعه الرجوع إلا إذا أقر بحد فله الرجوع عن إقراره كما لو أقر بالزنا والسرقة ولكنه يلزمه رد المال المسروق. فأما حقوق الآدميين فقد اتفق العلماء على أنه لا يصح الرجوع عن الإقرار بها، لأنها حقوق تثبت للمقر له، فلا يملك المقر إسقاطها بغير رضاه، وبين بعض العلماء أن حق الله المالي، كالزكاة، والكفارة لا يصح الرجوع فيه عن الإقرار به لما فيه من شائبة حق الآدمي. وأما حقوق الله عز وجل الخالصة، وهي ما يسقط بالشبهة من الحدود كحد الزنا، وحد السرقة

والفرق بين الإقرار والشهادة والدعوى: أن الإقرار إخبار بحق على المقر، والشهادة إخبار بحق للغير على الغير، والدعوى إخبار بحق له على غيره.

ثانيا : البينة، الشهادة

وهي إخبار صادق في مجلس الحكم بلفظ الشهادة لإثبات حق على الغير وتسمى البينة لأنها تبين ما في النفس وتكشف الحق فيما اختلف فيه.

ويشترط في قبول الشهادة :

١) أن يكون الشاهد بالغا عاقلا مسلما عدلا غير متهم في شهادته لعداوة أو قرابة، وأن يكون عالما بما يشهد به.

٢) تقدم الدعوى بالحق المشهود به - إلا في شهادة الحسبة - حتى لا يكون الشاهد مدعيا وشاهداً في الوقت نفسه، وذلك في حقوق الله تعالى كحد الزنا والشرب والسرقة وقطع الطريق.

٣) طلب المدعى أداء الشهادة من الشاهد فلا تكون الشهادة إلا بطلب من المدعي.

٤) إذن القاضي للشاهد بأداء شهادته.

٥) نطق الشاهد بكلمة (أشهد) في مستهل شهادته ولا يقوم غيرها مقامها كقوله (أعلم) أو (أتحقق).

٦) أن يقتصر الشاهد في شهادته على ما ادعاه المدعي.

٧) أن يؤدي الشاهد ما تحمله من الشهادة مصرحا به بلفظه،فلا يقبل من الشاهد أن يقول : أشهد بمثل ما شهد به هذا الشاهد، بل لا بد من تصريحه هو بما تحمله وقت أدائه الشهادة.

٨) أن ينقل الشاهد ما سمعه أو رآه من وقائع إلى القاضي،لا أن يشهد بما يستنتجه هو مما رآه. لأن تكييف الوقائع وما يستنتج منها، وما يترتب عليها من آثار وأحكام كل ذلك متروك لتقدير القاضي واجتهاده.

٩) إذا ارتاب القاضي في الشهود فله أن يفرقهم ويسأل كل واحد عن شهادته على حده فإن اختلفوا سقطت شهادتهم، وإن اتفقوا حكم بها القاضي إن عرف عدالتهم.

١٠) أن يبلغ عدد الشهود النصاب المحدد حسب ما يشهدون عليه ففي الشهادة على الزنا : لا يقبل أقل من أربعة رجال عدول مسلمين.

وفي بقية الحدود وهي القذف والسرقة، والحرابة وشرب الخمر والردة وكذلك القصاص، فإن نصاب الشهادة المقبول هو شهادة رجلين عدلين.

وفي النكاح والطلاق والرجعة والإيلاء ونحو ذلك يشترط شهادة رجلين ذكرين أو شهادة رجل وامرأتين.

وفي الأموال وحقوقها كالقروض والإتلاف، والديات والبيوع ونحوها نصاب الشهادة هو رجلان، أو رجل وامرأتان باتفاق.

وفي الولادة والرضاع وعيوب النساء تحت الثياب تقبل شهادة النساء وحدهن دون أن يكون معهن رجل.

ثالثا: علم القاضي:

كما لو سمع القاضي شخصا يطلق امرأته، ثم ترافعا إليه، فهل يجوز له أن يحكم بما علمه من حالتهما قبل الترافع، إن القاضي لا يقضي بعلمه لقوله - صلى الله عليه وسلم -: (إنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم الحف بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها).

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن القاضي إنما يقضي بالأدلة المسموحة كالإقرار والشهود، ولا يقضي بما يعلمه هو في ضميره إذا لم نقم عليه بينة ظاهرة.

رابعا: القرائن:

أخذ الفقهاء بالقرائن واعتبروها وسيلة من وسائل الإثبات وطريقا من طرق الحكم، فمنهم من صرح بالأخذ بها والتعويل عليها ومنهم من رتب عليها أحكاما فقهية دون أن يصرح باعتبارها.

الحكم في الدعوى وقواعده:

والقاضي مطالب بالإسراع في الحكم بعد سماع البيانات والمشاورة وظهور الحق في القضية المطروحة أمامه، لأن الغرض من نصب القاضي فصل الخصومات وحسم المنازعات، وكلما كان الفصل سريعا أوفي وقت قصير كان ذلك أحسن لوصول الحق إلى صاحبه.

هذا وينبغي للقاضي أن يدعو الخصمين إلى الصلح، ولو ظهر له الحق في مسألة الدعوى قبل أن يصدر حكمه في المسألة فإن أجابا إلى الصلح فالصلح خير فينبغي أن يردهما إليه ولا يقضي حتى ييأس من الصلح بينهما، وذلك لأن القضاء يورث الضغينة والبغض، لذا ينبغي أن يبذل وسعه للبعد عنه مهما أمكن خاصة إذا كانت الدعوى بين الأقارب أو خشي القاضي من الفتنة إذا حكم فيها بغير الصلح.

هذا ولا يصدر القاضي حكمه في الدعوى إلا بعد سماع كافة حجج الخصمين ويقرر ختام المرافعة بعد أن يقول الخصمان لم يبق لنا قول نقوله ولا حجة ندلي بها

وإذا أصدر القاضي حكما في قضية ثم ظهر له أن هذا الحكم خطأ يتعين نقضه، قام هو بنقضه، فإذا حكم القاضي بحكم يخالف نص القرآن أو السنة أو إجماع الصحابة و السلف الصالح فإن هذا الحكم الينقض.